

أعلام العرب

١١٩

الشيخ الأكبر  
محيي الدين بن العربي  
سلطان العارفين

تأليف: عبد الحفيظ فرغلي على الترقى



اعلام العرب

( ١١٩ )

الشيخ الأكبر  
محيي الدين بن العربي  
سلطان العارفين

تأليف: عبد الحفيظ فرغلي على القرني



المكتبة الوطنية للمملكة العربية السعودية

١٩٨٦

الاخراج الفنى : اليبير جورجى

---

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**« رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا »**



## مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، والصلاة والسلام  
على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .  
وبعد ..

فهذه سيرة كريمة لرجل من رجال التصوف الأفاضل ، الذين  
تركوا ثروة ضخمة من الآثار والآراء والأذواق ، ضمنها عددا لا يحصى  
يحصي من كتبه التي عدت عليها عوادي الزمان ، فما ضاع يعد  
اضعافا مضاعفة لما بقي منها .

هي سيرة الصوفي المرسى العظيم « محيي الدين بن العربي »  
الذي عاش في الفترة التي تجمع بين منتصف القرنين السادس  
والسابع الهجريين ، هذه الفترة التي كانت زاخرة بالأدب  
والتصوف ، في بيئة من أخصب بلاد العالم الإسلامي رقة ونوفا  
وأدبا وتصوفا ، هي بيئة الأندلس ، التي على رباعها نشأ عاهل  
التصوف العظيم ، ثم خطت قدماه تزرع البلاد شرقا وغربا ،  
بحثا عن المعرفة ، وارتدادا للحكمة .

هي سيرة « ابن عربي » الذي سطع نجمه في أفق الثقافة  
الإسلامية الصوفية حيا وميتا ، ووجد من الانتصار والخصوم من

يتناصرون ويتناوئون ، وشغل يآرائه وأفكاره العقول والأذهان، وأثار  
ثائرة قوم وأعجاب آخرين ، وظلت كتبه الى ذلك الوقت منيعا فياضا  
وكنزا دفيناً يهرع اليه طلاب المعرفة ورواد الثقافة وعشاق الروح  
ومحبو الفلسفة وجامعو الحكمة .

هى سيرة ذلك البطل الذى أطلق عليه عارفو فضله لقبين لهما  
دلالتهما العظيمة .

أما اللقب الأول فهو « الشيخ الأكبر » وهذا اللقب لم يطلق  
عليه الا بعد أن اجتمعت له أصول الرياسة ومقومات القيادة  
الروحية ، وتخرج على يديه الكثير من تلاميذه الذين كانوا يجتمعون  
حوله بالآلاف فى كل مكان يحل فيه ، يتحلقون حوله ويستمعون الى  
محاضراته ، وينصتون الى آرائه وأذواقه فى شعره ونثره .  
فيجدون فى ذلك بلسماً شاقياً لجراحهم ، وبعثاً قوياً لموات نفوسهم ،  
وحفزاً صادقاً لهممهم ، وأرواء لظلمة أرواحهم . وكانوا هم عند  
حسن ظنه بما أقادوا من تعاليمه ، وساروا على طريقه واستجابوا  
لصادق نصحه ، فشفت نفوسهم ، وأطمأنت قلوبهم ، وارتوت  
أرواحهم وانطلقوا يحلقون فى فضاء الروح .

ولقد وضع « الشيخ الأكبر » مناهج تتناول الصوفى فى جميع  
مراحل طريقه من لدن انبعاث الرغبة فى نفسه ، ثم مضى به مريداً  
سالكاً حتى تتكشف أمامه الطريق ، فيتمكن من الوصول الى غايته  
بنجاح .

كما وضع مناهج للشيوخ أنفسهم يستأنسون بها فى إرشادهم ،  
كما يستأنس بها مريدوهم حتى يعرفوا القائد الحق فيحترمونه له  
قبولته ويحفظون له حقه وبذلك يزهر غرسه ويدنو ثمره .

وكان هو نفسه - سلوكاً وتصرفاً وقولاً وعملاً وأدباً وأخلاقاً -  
فى الذروة العليا من الكمال الانسانى الذى بلغ به مراتب أهل



الفضل ، وجعل شيوخ عصره يجلونه ويكبرونه ويعترفون له بالمكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة .

من أجل ذلك كله أطلق عليه لقب « الشيخ الأكبر » .

أما اللقب الثاني فهو « سلطان العارفين » وهو لقب يكاد يكون متلازماً مع اللقب السابق ، فلم يستحق ابن عربي لقب « الشيخ الأكبر » إلا بعد أن تبوأ عرش المعرفة ، وأدرك من الأسرار ما عز على غيره ، واستطاع أن يشير إلى حقائق تاهت في الطريق إليها العقول ، وتفرقت العزائم ، وأدلى بمعان رائعة وحكم بالغة ، تدل على رسوخ قدمه وعلو كعبه وسعة معرفته .

ولقد شهد بذلك أعظم الصوفيين في عصره ، ومنهم أبو مدين في المغرب والسهورودي في بغداد ، وابن الفارض في مصر .

أطلق عليه أبو مدين هذا اللقب « سلطان العارفين » .

وقال عنه السهروردي : أنه بحر الحقائق .

وأدرك ابن الفارض روعة الفتوحات المكية التي كتبها ابن عربي فقال : أنها خير شرح لتأنيته المشهورة « نظم السلوك » .  
وهذه تقارير أن دلت على شيء فأنما تدل على ما وصل إليه الشيخ الأكبر من تاللق ومقدرة .

ومن أجل ذلك أطلق عليه « سلطان العارفين » وهو جدير بهذا اللقب ، لأنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة في هذا الطريق الصوفي الغاص بالعقبات والمقاويز والمتاهات إلا وأدلى فيها ببيان واف ، وعبارات رائعة نظماً ونثراً . واتسعت معرفته فشملت غير العلوم الصوفية براعة ودقة وفهما وأداء .

هذه سيرة الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي سلطان العارفين ، التي نرجو أن تكون حافزاً لنا ، ومناراً نهتدى به في حياتنا الجديدة . والله خير موفق ومعين .

عبد الحفيظ فرغلي القرني



## مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله مصطفىا من خلقه ومجتباه من عباده وعلى آله وصحابه ومن سار على نهجه واتبع طريقته واهتدى بهديه الى يوم الدين ،

ويعد ٠٠

فتحن بين يدي الطبعة الثانية من كتاب القطب الريانى سيدى محيى الدين بن العربى - رضى الله عنه - وقد صدرت الطبعة الاولى منه فى سبتمبر عام ١٩٦٨ م فى سلسلة اعلام العرب .

والامام محيى الدين بن العربى جسدირ بان تكتب عنه آلاف الصفحات وتصدر عنه مئات الكتب والمجلدات ، فقد شغلت حياته وافكاره ومؤلفاته الناس عبر القرون من لدن القرن السابع الهجرى حتى هذا القرن الخامس عشر الذى تعيش فيه ، وأغلب الظن أنه سيظل يشغل الناس الى مالا نهاية ، فانه من الذين كتب الله لهم الخلود بسيرهم الزكية وأعمالهم المرضية .

ولقد شهدنا فى مصر فى نهاية القرن الرابع عشر لونا من هذه الشواغل التى اثارها حياة الشيخ الاكبر ومؤلفاته ، ظهر فيما

فوجدنا به من تدخل سافر يحاول أن يحجر على حرية الفكر ويحول بين الناس والمعرفة ويقضى على أكبر مؤلفات ابن عربي « الفتوحات المكية » ذلك أن الهيئة المصرية العامة للكتاب قد نشرت منه أجزاء في طبعة أنيقة محققة تحقيقاً دقيقاً بقلم الدكتور عثمان يحيى ، ومراجعة وتصدير الدكتور إبراهيم مدكور وكلاهما علم من أعلام الفكر والعلم والثقافة ، وبرعاية المجلس الأعلى للفنون والآداب الاجتماعية في مصر ، وبالتعاون مع معهد الدراسات العليا في السوربون ، ويعنى ذلك كله الاعتراف بأهمية كتاب الفتوحات المكية وبأنه يمثل خلاصة المعارف الصوفية والفكرية في الإسلام وقد تبه الدكتور المحقق إلى ذلك في صدر الكتاب .

فبعد أن أصدرت الهيئة من هذا السفر الجليل عدة أجزاء إذا بنا نسمع أصواتاً تطالب بإيقاف صدور الكتاب وجمع ما صدر منه من الأسواق ، متذرعة بحجة واهية هي أن طبع هذا الكتاب يعد ترفاً علمياً وغيره من أمهات الكتب السليمة في موضوعها ومنطقها أجدى بالرعاية والاهتمام وبأن بعض العلماء السلفيين أدانوا كتب ابن عربي فمن أجل هذه الإدانة يجب أن يوقف تراث ابن عربي .

ولقد ثارت ضجة صاخبة حول هذا الأمر شاركت الأقاليم الفكرية والأدبية فيها ، ومما يصد لكثير من هذه الأقاليم أنها وقفت وقفة موضوعية مدافعة عن هذا الإمام الكبير وسفره الجليل ، منوهة بضرورة حرية الفكر لأن هذه الحرية هي التي تمكن للعقل من أن يأخذ حقه الكامل في البحث والدراسة والاستفادة ، ولن يقهر الفكر بالحجر أبداً مهما حاول المتعصبون أن يفرضوا سلطانهم ويحولوا بين الإنسان وحقه في التزود من المعرفة الإنسانية والدينية ، ومن أطرف ما جاء في ذلك قول بعض الأدباء المفكرين : (١) ومن العجيب حقاً أن ابن عربي قد تعرض للافتتيال في مصر منذ سبعة

---

(١) هو الاستاذ أنيس منصور في الأهرام ١٩٧٩/٧/٤ .

قرون فهل نهنيء انفسنا نحن المصريين على هذا الاصرار على قتل ابن عربي حيا او ميتا ؟ واذا كانت هناك نصيحة لأحد في هذا الموقف الاثيم فأنني اقترح ان يشتري كتابا للامام السيوطي في دفاعه عن هذا الفيلسوف المتصوف ، الكتاب بعنوان تنبيه الغيبي في تبرئة ابن عربي .

وكتبت حينذاك ردا على قرار المصادرة لم يفتح له ان ينشر قلت فيه بعنوان « كل ممنوع مرغوب » : كان لي شرف الكتابة عن الشيخ الاكبر في سلسلة اعلام العرب ، وقد دفعتني الى الكتابة عنه منذ أكثر من عشر سنوات ما دفع غيري من الاعجاب الشديد بشخصية ابن عربي الفريدة بين رجال التصوف الذين سجلت عنهم أروع الصفحات ، والفرد هو من بين هؤلاء بلقيين لم يمنحهما اعتبارا هما ( الشيخ الاكبر ، وسultan العارفين ) وقلت : ويكفي ابن عربي فخرا ان يتوفر على دراسته ودراسة آثاره المئات من الغربيين والمستشرقين الذين راعهم هذا النتاج الضخم من مؤلفاته الغاصة بالدرر الفريدة والتي أنارت الطريق أمام كثير منهم لاعتناق الاسلام ، ومن بين الذين اعتلوا بدراسته المستشرق الأسباني أسين بلاثيوس الذي قال عن الفتوحات :

ان كتاب الفتوحات يعد كنزا دينا ، والمستشرق الألماني بروكلمان الذي أورد ثبنا كاملا لمؤلفاته في موسوعته الكبرى : تاريخ الأسب العربي .

وفي دار الكتب المصرية عام ١٩٦٨ التقيت في قاعة المخطوطات بعالم الماني معني بدراسة ابن عربي وساعدني في ترجمة هذا الثبت الذي ضمته كتابي عن ابن عربي ولم يكن الجزء الذي يتضمن هذا الثبت مترجما الى العربية وكان التقائي بهذا العالم مصادفة اعتبرتها توفيقا من الله وتفتح من تفحات ابن عربي وعلامة من علامات التيسير في اتمام هذا البحث بحمد الله

والآن فلنتساءل : هل مصادرة كتاب تمنع تداوله ؟ انهم يقولون كل ممنوع مرغوب ، وبناء على هذا القول فقد اغرى الناس بسبب مصادرة كتاب «الفتوحات» بالاقبال على فكر ابن عربى وتتبع مصدره والاطلاع عليها فى اى مكان ، ولئن صودر الكتاب فى مصر فهل صودر فى مشرق الارض ومغربها فى وقت تقاربت فيه الاماكن وقصرت المسافات وتيسرت وسائل الاتصال والانتقال حتى اصبح من الممكن الوصول الى اى هدف بايسر جهد واقصر وقت ؟ ان مصادرة الفكر هى اقصى ما تبثلى به الأمم فى عصورها وليس هناك امة مستغنية تخشى الكلمة وانما عليها ان تقارعها بالحجة والبرهان وهذا اساس من اساس الاسلام الذى دعا الى مجادلة غير المسلمين بالتلى هى احسن ، ولم يدع الى مصادرة حججهم ، فما بالك اذا كانت هذه الكلمة لا تبطن كفرا ولا تظهر تكرا ، ولكنها ربما تحتاج فقط الى شرح وتوضيح وبيان لأن صاحبها قصد الى تموضها صونا للأسرار ؟

ليس من العجيب ان يثور المفكرون الأحرار على قرار مصادرة كتاب الفتوحات سواء منهم من يقرأ التصوف ومن لم يقرأه لأن المحرمات الفكرية كما يقول بعض الأدباء أخطر ما يواجه حياتنا الفكرية والثقافية ، فإذا ما صودر كتاب بلغ من العمر مئات السنين وطبعت منه آلاف النسخ وترجم الى اللغات العالمية فماذا نحن فاعلون اذا حاول واحد منا ان يستخدم عقله او ان يسلك مسلك الاجتهاد ؟

لقد اشتركت عشرات الأقلام الاصيلية الحرة فى مناقشة هذه القضية ، وكان من العجيب حقاً الا تفعل ذلك ، حتى اجبرت هذا القرار الجائر على التراجع واستأنفت الهيئة اصدار الاجزاء الباقية من هذا الكتاب الذى لم تمتد قامة حتى الآن لتناول صاحبه هى تكره

ومعرفته وصفاء روحه ، والآمل كبير ان شاء الله في ان نرى بقية  
أجزائه .

وسيجد القارئ الكريم في هذا الكتاب جهدا متواضعا في القاء  
الضوء حول هذا الرجل العظيم ومؤلفه الخبير «الفتوحات» المكية  
معتزفا بأنه جهد المقل ومحاولة العاجز ، وحسبني من ذلك أن يجعل  
الله هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وان يثير به الطريق الى معرفته  
انه نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف





## البيئة والعصر

---

كانت الأندلس هي الوطن الأصلي لابن عربي ، ففيها ولد وعاش ما يقرب من أربعين سنة من حياته العامرة الزاخرة الشخصية .

والأندلس اسم أطلقه المسلمون على شبه جزيرة « إيبيريا » التي كانت اقليما رومانيا مزهرا (١) .

وكان لموقع الأندلس الجغرافي الممتاز أثر كبير في خصوصية تربيتها واعتدال جوها وحسن مناخها ، مما كان سببا في صحة أجسام أهلها ، وقوة جناتهم ، وسعة ادراكهم وخصوصية خيالهم وسرعة خاطرهم وشدة ذكائهم ، مما دعا « لسان الدين الخطيب » أحد وزرائها الأعلام الى وصفها بقوله : « خص الله تعالى بلاد الأندلس من الريح ، وغدق السقيا ، ولذاذة الأقوات ، وفراهة الحيوان ، ودرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبحر العمران ، وجودة اللباس ، وشراف الآنية ، وكثرة السلاح وصحة الهواء ، وبيضاض اللون الانساني ، ونبل الأذهان ، وفنون الصنائع ، وشهامة

---

(١) دائرة معارف الشعب مادة « أندلس » .

الطبائع ، ونفوذ الإدراك ، وأحكام التمدن والاعتماد بما حرمه الكثير من الأقطار مما سواها ، (١) .

ويقول أبو عامر السلمي عن إقليم الأندلس : « هو خير الأقاليم وأعدلها هواء وترابا ، وأعذبها ماء ، وأطيبها هواء وحيوانا ونباتا ، وهو أوسط الأقاليم وخير الأمور أوسطها » (٢) .

وكذلك قول أبي عبيد البكري عن الأندلس : « الأندلس شامية في طبيعتها وهوائها يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها ونكائها ، أموازية في عظم جبايتها . صينية في جواهر معادنها ، عدينية في مواقع سواحلها » .

تلك هي الأندلس التي افتتحها المسلمون في سنة ٩٢ هـ بقيادة « طارق بن زياد » وظلت تحت حكم الاسلام زهاء ثمانية قرون ، ازدهرت في خلالها الحضارة الاسلامية ازدهارا عظيما ، وكانت مركز اشعاع امد العالم الغربي بالعلم والتقدم ، واناير امامه الطريق الى رسم مستقبل علمي مجيد ، وانطلقت من آفاق الأندلس اشعاعات مضيئة في شتى العلوم والمعارف والفنون ، مما جعلها تتنافس شقيقاتها في المشرق علما وثقافة وتالقا وازدهارا .

ونبغ في ربوعها اعلام افاضل دانت لهم الحياة ، واحنت امامهم قامتها الأيام اجلالا واعزازا .

واشتهرت في الأندلس مدن كانت لها سوايق ومزايا في تلك الأمور المقدمة .

---

(١) نفع الطيب - ١ ص ٢٥٤ مطبوعات دار المأمون .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٥ .

من بين هذه المدن « مرسية » •

وتقع « مرسية » على وادى شقورة قرباً مصبه ، وهو  
قسيم نهر الوادى الجديد الكبير •

وهذه المدينة كانت حاضرة شرق الأندلس فى العصر  
الاسلامى ، وهى مدينة اسلامية محدثة ، أسسها الأمير  
عبد الرحمن الأوسط سنة ٢١٦ هـ •

وازدهرت « مرسية » فى عصر الخلافة وعمرت ، وأصبحت من  
حواضر الأندلس الكبرى ، حتى سقطت الخلافة الأموية بقرطبة  
وتمزقت وحدة الأندلس •

وتعرضت « مرسية » لحكومات متعاقبة على اثر ذلك ،  
حتى آلت الى المرابطين ثم الموحدين ثم استولى عليها ملك  
قشتالة فى سنة ٦٤١ هـ •

وكانت « مرسية » بلد العلم والأدب ، وقد وفد من علمائها  
عدد كبير الى المشرق ، وعلى الأخص مصر ، ومن بينهم أبو عبد الله  
محمد بن يوسف المرسى المتخصص فى الفقه والكلام ، ومنهم  
الشيخ الزاهد أبو العباس المرسى تلميذ الشاذلى (١) •

ومنهم الفقيه الفصيح الجليل العالم الورع عبد الحق بن  
سبعين الذى ذاع صيته وكثر أشياعه وتعددت مصنفاته (٢) •

ومن هذه المدن « أشبيلية » •

وتقع هذه المدينة على الضفة اليمنى لنهر الوادى الكبير قرب  
مصبه ، فى خليج عميق بحيث تصلح لأن تكون ميناء بحرياً فى

---

(١) راجع دائرة معارف الشعب مادة اندلس •

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ١٨٨ •

جنوب أسبانيا ، ويتميز هذا النهر بشدة صعود المد فيه ، حتى  
أنه ليصل الى اثنين وسبعين ميلا ثم يحسّر ، وفيه يقول  
الشاعر ابن سقر :

شق النسيم عليه جيب قميصه

فانساب في شطيه يطلب ثاره

ففضا حكت ورق الحمام بدوحها

هذا فضم من الحياء أزاره (١)

وتتوسط « أشبيلية » سهلا فسيحا ، وكانت زمن المسلمين  
مدينة عامرة ، بها أسواق قائمة وتجارات رائجة ، وتمتعت  
— ولا سيما في عهد بني أمية — بازدهار شامل في حياتها ، وأقام  
فيها الأمراء المنشآت العظيمة ، وشهدت على تعاقب الولاة تقدما  
لم تشهده من قبل لا في عصر الرومان ، ولا في عصر القوط ،  
ووصل بها الأمر الى أن أصبحت أعظم مدن أسبانيا الإسلامية  
بعد أن تخلت لها قرطبة عن الزعامة .

وقد بالغ مؤرخو العرب في وصف روائع « أشبيلية »  
وما كانت تنفرد به دون غيرها من الحواضر الأندلسية ، وكانت  
— على حد تعبيرهم — عروس بلاد الأندلس وقاعدتها ، ويرع في  
ظلالها كثير من الأدباء والعلماء والفنانين (٢) .

تلك هي الأندلس ، وفي هاتين المدينتين منها ولد « الشيخ  
الأكبر » وعاش الشطر الأول من حياته ، في تلك الظلال الباسقة  
من العلم والعرفان .

وكانت البيئة العربية في ذلك الوقت الذي نشأ فيه « سلطان

(١) المرجع السابق ح ١ ص ٣٠٨ .

(٢) دائرة معارف الشعب مادة « أندلس » .

العارفين ، بيئة مهيأة خصبة لازدهار العلوم والمعارف ، وأدى التنافس الشديد بين الدولتين العربيتين الكبيرتين في المشرق والمغرب الى ظهور كثير من العلماء المبرزين في شتى انواع العلم والمعرفة ، وبخاصة في التصوف الذى امتدت فروعه وزكت اصوله واتسعت معارفه ، ووصل الى اقصى ما يمكن أن يصل اليه من نمو وازدهار ، ودان به كثير من العلماء الأجلاء الذين رسخت أقدامهم ومضوا فى طريقهم ينشرون الهدى والنور من حولهم .

كان عصر « ابن عربى » عصرًا ذهبيًا في التصوف ، وشهد مشرق كثير من فحولته من أمثال السهروردى البغدادى ، والشاذلى ، والدرسى ، والبدرى ، وعمر بن الفارض ، وجلال الدين الرومى ، وعفيف الدين التلمسانى ، وأبى الحسن الصباغ ، وأبى العباس المرسى وأبى العباس الخورجى الأندلسى ، وعبد الحق بن سبعين ، وأبى مدين المغربي ، وأبى الحجاج الأقرسى ، وكثير غيرهم عمروا بهم البلاد الإسلامية في شرقها وغربها .

وقد نضج التصوف نضجًا كبيرًا ، وخطا على يد أربابه خطوات فسيحة ، وظهرت فيه الأنواق المختلفة التى تمثل اتجاهات الصوفية في ذلك العصر .

وكان ذلك ثمرة من ثمار النضج الروحى والفكرى الذى ظهر في خضلال ذلك العصر ، والذى أدت اليه حركة المد العلمية الواسعة التى شملت جميع أجزاء الدولة الإسلامية المتعددة الأطراف ، وكان حظ الأندلس من العلوم والآداب كبيرًا للغاية ، فتقدمت تقديما ملموسا منذ العهد الأموى ، واشتغل منهم كثيرون

في الطب والكيمياء والهندسة والعلوم الرياضية ، ونبغوا في الفلسفة والتصوف والنحو والشعر ، (١) .

ويوجد مئات من العلماء الأعلام الذين كان لهم اثر مرموق في الرقي الفكري والعقلي والروحي ، ذكرتهم كتب التاريخ والطبقات ، وعلى أيديهم تخرج الآلاف من الطلاب الذين زخرت بهم المدارس والجامعات ، وامتلات بهم المدن ، وامتدت بهم آمال الأمة العربية والإسلامية ، وارتبطت بهم أوصالها ، حيث اتسعت حركة الهجرة بين شرقها وغربها .

وقد ترجم « المقرئ » في كتابه نفح الطيب لكثير من هؤلاء الأعلام الذين هاجروا من الأندلس الى المشرق ، ومن بينهم الكثير من الصوفية .

وعلى قدر ما كانت ترفل فيه الأندلس من حلال الترف والحضارة والنعمة ، مما أدى الى انصراف كثير من المترفين الى المتعة واللذة واستغراقهم في اللهو واللعب كان هناك التصوف الذي لعب دورا كبيرا في حياة بعض الأفراد ، ووقف يلوح بعصاه ليهذب من ضراوة النفوس ويكبح من جماح الشهوات .

وكان التصوف قد تطور في أطواره المختلفة التي نقلته من مجرد نزعة تقشفية الى التغلغل في صميم الكون والنفس الانسانية واكتشاف أعماق الحياة ، وأصبح التصوف في هذا العصر يمثل ناحيتين هامتين ، أحدهما الجانب العملي ، ويقصد به ضروب المجاهدة والمكابدة وما تدعوان اليه من تهذيب خلقى ، وما تكلفانه من سلوك ألوان خاصة في الرياضة الروحية كالصوم والعزلة والسنهر والصمت والفكر والسياسة والذكر وغير ذلك .

---

(١) دائرة معارف الشعب مادة أندلس من ١٩٧ .

وثانيهما الجانب النظرى الذى تثمره الناحية العملية من معرفة  
لواجب الوجود وتعبير عما يشاهده العارف وعما يحس به فى  
إثناء سيره فى طريقه من إحاسيس القرب أو المشاهدة أو الشوق  
أو الانس أو الوجد أو غير ذلك .

واختلفت تعبيرات الصوفية بين هاتين الناحيتين اختلافًا  
إثار كثيرا من النقاش والجدال ، بين مؤيد ومعارض ومدافع  
ومهاجم ، وكانت هذه الحالة حركة فكرية كان لزاما أن تشغل  
عقول العلماء والمفكرين .

فى هذه الظروف نشأ ابن عربى الشيخ الأكبر ، الذى أثار  
أكبر ضجة فى تاريخ التصوف ، وترك من خلفه ثروة ضخمة من  
المعارف الصوفية ، وكان لآرائه الجريئة صدى عميق ظل إلى  
وقت طويل يثير ثائرة المعارضين وأعجاب المؤيدين .





## نسبه ومولده ونشأته

---

### أسرته :

ولد ابن عربي في أسرة عريقة تعزز بأصلها العربي السامق .  
فهو من نسل حاتم بن عبد الله الطائي المتوفى سنة ٥٧٨ م ، وهو  
الجواد الفارس المشهور بكرم الأخلاق ، وكان مظفراً ، إذا قاتل  
غلب ، وإذا أسير أطلق ، وإذا غنم أعطى ، وإذا سئل أجاب ،  
ضرب المثل بجوده حتى لقد رويت عنه الأخبار ، ونسجت حوله  
القصص في الآداب العربية والفارسية والتركية والهندوسستانية ،  
وله ديوان شعر يدور حول الجود والخلق الكريم (١) .

وورث أولاده وأحفاده هذه الصفات منه ، واعتزوا بها  
وحرصوا عليها ، وكانت مثار فخر لهم ، ولم ينس ابن عربي - وهو  
شاعر مجيد - التغنى بهذه الصفات الكريمة التي ورثها أياها نمبه  
العظيم ، فقال في إحدى قصائده :

إذا قل سبيقي لم تفسل عزائي  
فلي عزمات شاحذات صوامي

---

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٨٨ .

والا فسل عنا القنا هل وقت لنا  
 واسـيافنا يوما بقدر عزائمي  
 لنا الجود ، اذ كنا سـلالة حاتم  
 وما زال منذ قلدته في تمـائمي  
 وقال في قصيدة أخرى :

لنا همـة ان الثريا لدوتها  
 نعم ، ولنا فوق السـماكين منزل  
 قدـمت سـبقا في المكارم والعلـا  
 وفي كل ما يتكى العـدا انا اول  
 ولم الف صمصاما بقدر عزائمي  
 ولو جمعوا الـسـياف عزمى اول  
 كذلك جودى لا يفى الغيث والثرى  
 اذا كان أموالا به حين ابدل  
 انا العربي الصائمى اخو التـدى  
 لنا في العـلا المجد القديم المؤثـل \*

ولأسرة الطائي سابقة في الاسلام جديرة بالتسجيل ، وهى  
 ان عديا الطائي بن حاتم وكان يعرف بالجواد ابن الجواد ، وقد  
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع ، واسلم  
 وحسن اسلامه ، ونزع له النبي صلى الله عليه وسلم وسادة  
 كانت تحته فاقامها له حتى جلس عليها ، ولما ارتدت العرب ثبت  
 عدى وقومه على الاسلام ، وكان اول صدقة قدم بها على أبى بكر  
 صدقة عدى وقومه ، وشهد فتح المدائن ، وشهد مع سيدنا على  
 حروبه ، وفقتت عينه يوم الجمل وتوفى سنة ٦٨ هـ عن نحو  
 ١٢٠ سنة (١) \*

(١) نفع الطيب ج ٧ ص ٩٢ هامش \*

## تسميته :

وتنسب ابن عربى كما ورد فى أكثر من مرجع هو : أبو بكر محيى الدين محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائى الأندلسى (١) . من ولد عبد الله بن حاتم أخى عدى بن حاتم الفقيه الصوفى المشهور الظاهرى (٢) .

وتضيف دائرة المعارف الإسلامية أنه كان يعرف فى الأندلس « بابن سراقه » ولعلها استندت فى ذلك الى ما جاء فى نفح الطيب نقلا عن كتاب « عنوان الدراية فى تاريخ بجاية » ولكن الواقع أن الذى يعرف بابن سراقه ليس هو الشيخ الأكبر ، ولكنه الامام محيى الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصارى ، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة ، ولد سنة ٥٩٢ هـ وله مؤلفات فى التصوف ، وهو أحد الأئمة المشهورين بوزارة العلم ، وتوفى سنة ٦٢٢ هـ (٣) ، وكان أحد الملازمين لدروس سيدي أبى الحسن الشاذلى فى مصر (٤) . وقد ترجم له صاحب كتاب « المغرب فى حلى المغرب » وذكر أنه : أبو بكر محمد بن أبى عبد الله محمد بن سراقه ، وأنشد له شعرا (٥) .

وكان الشيخ الأكبر يطلق عليه فى الأندلس : « ابن العربى » بالآلف واللام ، أما فى المشرق فكانوا يطلقون عليه « ابن عربى »

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية - دائرة معارف البستانى - شلوات الذهب

ج ٥ ص ١٩٠ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ٩٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٩ .

(٤) أبو الحسن الشاذلى لعبد العظيم محمود ص ٤٢

(٥) المغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ٢٨٨ .

من غير أداة التعريف • تمييزاً بينه وبين القاضي أبى بكر بن العربى  
المعافرى ، قاضى قضاة « أشـبيلية » وهو أحد علماء الأندلس  
المشهورين الراحلين الى الشرق ، ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة ،  
وتوفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة • قبل مولد الشيخ الأكبر  
بسبعة عشر عاماً تقريباً •

### مولده :

وقد اجمعت المصادر على أن ابن عربى الشيخ الأكبر ولد  
يوم الاثنين سابع عشر من رمضان المعظم سنة ستين وخمسمائة  
هجرية ، فى مدينة « مرسية » بالأندلس ، من أبوين كريعى المحتد ،  
وفى ظل أسرة عريقة غنية مشهورة بالتقوى والصلاح •

أما أبوه على بن محمد فقد كان رجلاً صالحاً مواظباً على  
تلاوة القرآن الكريم ، وله مع سورة « يس » صحيفة خاصة ،  
ويبدو أنه كان مباركاً ، بدليل أنه قد تنبأ باليوم الذى سيموت  
فيه فكان كما تنبأ ، ويحدث ابن عربى عن الكرامات التى صاحبها  
أباه يوم وفاته وعن الاشراف الذى كسا وجهه وغشى جسمه حتى  
أضياء ما حوله فيقول فى كتاب « الفتوحات المكية » : « وكان  
قيل أن يموت بخمسة عشر يوماً أخبرنى بموته ، وأنه يموت يوم  
الأربعاء ، وكذلك كان ، فلما كان يوم موته ، وكان مريضاً شديداً المرض  
استوى قاعداً غير مستند ، وقال لى : يا ولدى ، اليوم يكون  
الرحيل واللقاء فقلت : كتب الله سلامتك فى سفرك هذا وبارك لك  
فى لقاءك ، ففرح بذلك ، وقال لى : جزاك الله يا ولدى عنى خيراً ،  
فكل ما كنت أسمعك تقول ولا أعرفه ، وربما كنت أنكر بعضه هوذا  
أنا أشهده ، ثم ظهرت عاى جبينه لمعة بيضاء تخالف لون جسده  
من غير سوء ، لها نور يتلألأ ، فشعر بها الوالد ، ثم أن تلك اللمعة  
انتشرت على وجهه الى أن عمت بدنه ، فقبلت يده وودعته

وخرجت من عنده وقلت له : أنا أسير الى المسجد الجامع الى أن يأتي نعيك ، فقال لي : رح ولا تترك أحدا يدخل على ، وجمع أهله وبناته ، فلما جاء الظهر جاءني نعيه فجننت اليه فوجدته على حالة يشك الناظر فيه بين الحياة والموت ، وعلى تلك الحالة دفناه ، وكان له مشهد عظيم « (١) » .

وأما أمه فاسمها «نور» وهي امرأة صالحة كانت تحثه دائما على ارتياد طريق الصلاح ، واقتباع سبيل الهدى . ولم تجزع حينما ترك ابنها الدنيا وسلك طريق الزهادة والتقوى . وحينما ألزم نفسه خدمة العارفة بالله « فاطمة بنت ابن المثنى القرطبي » بأشيبيلية كانت أمه تزوره عندها ، فتقبل لها فاطمة : يا نور هذا ولدي وهو أبوك ، قبريه ولا تعقيه . فلا تجد في نفسها غضاضة مما تسمع ، وكانت تتلقاه بقبول حسن .

أما أخواله فمنهم الأعلام الذين سلكوا طريق التصوف ، وبلغوا منه مبلغا عظيما ، وقد كان أحدهم وهو « يحيى بن يغان » ملكا على مدينة تلمسان وكان في زمنه رجل فقيه زاهد متبتل ، قد انقطع في مسجد يعبد الله فيه .

وبيتما كان هذا العابد سائرا في طريقه بين مدينتي تلمسان وإقادير ، إذ لقيه « يحيى بن يغان » وقد أحاط به خدمه وحشمه . فسأل عن هذا الزاهد ، فقالوا له : هو أبو عبد الله التونسي عابد وقته ، فوقف بجواره ، وسلم على الشيخ ، فرد عليه الشيخ السلام ، ثم قال الملك - وكان يرتدى ثيابا فاخرة - للشيخ : يا شيخ ، هل يجوز لي أن أحلى في هذه الملابس التي ارتديها ؟ .

فضحك الشيخ ، فقال له الملك : مم تضحك ؟

---

(١) ابن مري حياه وملعبه ترجمة ميد الرحمن بدوي .

فأجاب الشيخ : من سخف عقلك وجهلك بنفسك ، مالك تشبيه عندى الا بالكلب ، يتمرغ فى دم الجيفة وأكلها وقذارتها ، فإذا جاء يبول يرفع رجله حتى لا يصيبه البول ، وأنت وعاء ملئ حراما وتسال عن الثياب ، ومظالم العباد فى عنقك !!

قبكى الملك « يحيى بن يغان » خال ابن عربى ، وخرج عن ملكه من حينه ، ولزم خدمة الشيخ ، فالزمه الشيخ بأن يحتطب ، فكان يحمل الحطب على رأسه ويمضى به الى السوق لبيعه ، فيقتات منه ويتصدق بالباقي ، وظل على ذلك حتى مات ودفن بجوار الشيخ .

وكان الناس اذا جاءوا يقصدون الشيخ للتبرك ، ويطلبون منه الدعاء يقول لهم : التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان ، فانه ملك وزهد ، ولز ابتليت بما ابتلى من الملك ربما لم ازهد (١) .

وكان من أخواله أيضا « أبو مسلم الخولانى » الذى كان له فى الطريق الصوفى مجاهدات شاقة لا يصبر عليها الفحول من الرجال .

أما أعمامه فكان منهم « عبد الله بن محمد » الذى كانت له قدم ثابتة فى الطريق ووصل الى درجة من درجات كبار الصوفية ، وهى درجة جلاء البصيرة ومعرفة بواطن الأمور .

هذه عمومته القريبة ، أما عمومته البعيدة فقد مر بنا قول « المقرئ » الأنف عنه : أنه من ولد عبد الله بن حاتم أخى عدى ابن حاتم الفقيه الصوفى المشهور .

فى هذا الظل الوارف من الصلاح والتقوى نشأ ابن عربى ، فكان جديرا بأن يكون ابن هذه البيئة الطيبة الصالحة ، حتى

---

(١) ابن عربى ص ٦ .

إذا اكتمل شبابه اكتملت معه الهالة المشرقة الوضاعة من حوله بزواجه من فتاة تقيّة صالحة ، هي « مريم » ابنة محمد بن عبدون ابن عبد الرحمن البجائي ، التي كان لها اثر كبير في دفعه الى طريق الهدى والنور .

وكان مولد ابن عربي في مدينة « مرسية » وكان يحكمها في ذلك الوقت « محمد بن مردنيش » ولم تلبث جيوش الموحدين أن زحفت الى الأندلس واستولوا على أغلب مدنها ، قاعد لهم « ابن مردنيش » جيشا وخرج لقتالهم ، وتبادل الفريقان النصر والهزيمة ، حتى انتهى أمر « ابن مردنيش » الى اللدبار فهزم في ذي الحجة سنة ٥٦٠ هـ ، وابن عربي في ذلك الوقت عمره شهور ، وحاصر الموحدون « مرسية » فترة من الزمن ثم أقبلوا عنها ، ثم عاودوا هجومهم عليها مرة أخرى ، وشددوا الحصار ، وأخيرا استسلم « بنو مردنيش » وأثروا الطاعة « لأبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي » سنة ٥٦٧ هـ (١) .

وقد أجمع المؤرخون على أن « ابن عربي » ولد في « مرسية » باستثناء « ابن الأبار » فيما نقله عنه صاحب نفح الطيب ، من أنه من أهل « المريّة » (٢) ، ولكن يبدو أن « المريّة » محرفة عن « مرسية » وقد أثبت ذلك فعلا الأستاذ أحمد يوسف نجاتي في هامش الصفحة التي ذكر فيها ذلك .

وكانت طفولة ابن عربي الأولى في « مرسية » في ظل ذلك الصراع الدائر حول المدينة ، ولكن ذلك لم يكن ليشغل أسرته عن اعداد هذا الطفل لمستقبله ، فدفعوه الى من يأخذ بيده الى التهيؤ لحفظ القرآن الكريم .

---

(١) دائرة معارف الشعب مادة مرسية ص ٤٨ .

(٢) نفح الطيب ج ١ ص ٩٥ .





## أقبله على طلب العلم - شيوخه في طلبه

---

في سنة ثمان وستين وخمسمائة تحولت الأسرة الى «أشبيلية» وهناك أقبل «ابن عربى» على التعلم ، وبدأ يعلم القرآن الكريم . وكان استأذه في علم القراءات «أبا بكر محمد بن خلف اللخمى الأشبيلى» وهو من أكبر العارفين بالقراءات والعربية ، وكان مقدما فيهما ، وله مؤلفات نافعة في اللغة والقراءات والتفسير ، توفي سنة ٥٨٦ هـ .

قرأ «ابن عربى» القرآن الكريم بالمسبع على هذا الأستاذ الفاضل ، وانتفع في ذلك أيضا بكتاب «الكافي في القراءات السبع» عن طريق ابن مؤلفه : أبى الحسن بن محمد بن شريح الرعيني ، الذى كان يحدثه بهذا الكتاب عن أبيه .

وانتفع بهذا الكتاب أيضا عن طريق شيخ آخر هو : أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد القرطبى المعروف بالشرائط ، وكان عالما بالقراءات وطرقها بصيرا باللغة العربية وأدائها ، له حظ من قرض الشعر فاضلا زاهدا ورعا ، وتوفى سنة ٥٨٦ هـ .

وقرأ «ابن عربى» كتاب «التيسير لأبى عمرو الدانى» على شيخ جليل هو «أبو بكر محمد بن أبى حميرة» وكان والد هذا

الشيخ من أهل الحفظ والعلم والمعرفة ، وكان شديداً في الحق ،  
 وتلقى ابنه أبو بكر عنه علومه ومعرفته وفهمه وحذقه .  
 وكان من شيوخ « ابن عربي » في الحديث والفقه والأدب :  
 أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد المعروف بابن زرقون  
 المتوفى سنة ٥٨٦ هـ ، كان أحد سداة الرجال حافظاً للفقه مبرزاً فيه ،  
 مشهوراً له بالبراعة في الأدب والمشاركة في قرض الشعر وحسن  
 التصرف في طرفي النظم والنثر ، ولى القضاء ، وله مؤلفات ناقة .  
 ومن شيوخه أيضاً : أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن  
 ابن عبد الله بن حسين بن سعيد الأزدى الأشبيلي ، وكان فقيهاً  
 حافظاً عالماً بالحديث وعلمه ، عارفاً بالرجال موصوفاً بالخير  
 والصلاح والزهو والورع أديباً شاعراً ، توفي سنة ٥٨١ هـ .  
 كذلك كان من شيوخه في الحديث والفقه : أبو بكر  
 محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجند ، وكان في وقته فقيهاً الأندلس  
 وحافظ المغرب لمذهب مالك غير مدافع ولا منازع ، لا يدانيه أحد في  
 ذلك ولا يجاريه ، وأليه كانت رئاسة بلده والانفراد بها ، ثم ورثه عقبه  
 من بعده ، وكان فصيحاً خطيباً مفوهاً ، وقد جل قدره في « أشبيلية »  
 وكان يعرف بالحافظ لكونه أعجوبة في سرعة ما يحفظه ، وبلغ به  
 العلم إلى مرتبة عالية بحيث أن يوسف بن عبد المؤمن كان ينزل له  
 عن فرسه أكراماً له . توفي سنة ٥٨٦ هـ (١) .  
 ومن شيوخه أيضاً « أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم  
 الخزرجي الغرناطي » ، وكان له تحقق بالعلوم على تفاريقها ، وأخذ  
 منها في كل فن ، وكان من أعلم أهل الأندلس بمذهب مالك ، وهو من  
 أهل بيت عريق في العلم توفي سنة ٥٩٧ هـ .  
 ومن شيوخه « أبو القاسم جمال الدين عبد الصمد بن محمد  
 ابن أبي الفضل الخرستاني » قاضي القضاة ، ولد سنة ٥٢٠ هـ ،  
 وكان قاضياً فقيهاً شافعيًا صالحاً عابداً عدلاً ، وتوفي سنة ٦١٤ هـ .

(١) المغرب في حلى المغرب ج ١ ص ٢٤٢ .

وسمع الحديث في « قرطبة » من « أبي القاسم خلف بن عبد الملك  
ابن مسعود بن بشكوال » . وكان من علماء الأندلس ، وله  
التصانيف المفيدة ، ولد في ذي الحجة سنة ٤٩٤ هـ ، وتوفي في  
رمضان سنة ٥٧٨ هـ .

وقرأ ابن عربي كتباً كثيرة في مختلف العلوم والفنون ومن  
بينها كتب « ابن حزم » حدث عن نفسه قائلاً في إحدى رسائله إلى  
الملك المظفر غازي :

ومن شيوخنا الأندلسيين « أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن  
ابن عبد الله الأشبيلي » رحمه الله تعالى ، حدثني بجميع مصنّفاته  
في الحديث ، وعين لي من أسمائها : تلقين المبتدئ ، والأحكام الكبرى  
والوسطى والصغرى ، وكتاب التهجّد ، وكتاب العاقبة ونظمه  
ونثره ، وحدثني بكتب الإمام « أبي محمد بن أحمد بن حزم عن  
أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه » (١) .

و « ابن حزم » كان حجة ، وأمام وقته ، ومن كتبه التي يشير  
إليها « ابن عربي » ويغلب أنه قراها : كتاب الإيصال لأفهم الخصال ،  
لجمع شرائط الإسلام في الواجب والحلال والحرام ، وموضوعه فقه  
الحديث ، ومنها : الأحكام لأصول الأحكام ، والفصل بين الأهداء  
والنحل ، والاجماع ومسائله على أبواب الفقه ، ومنها كتاب مراتب  
العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض (٢) .

عن هؤلاء الشيوخ السابقين وكثير غيرهم تلقى « ابن عربي »  
علوم القرآن والحديث والفقه والأدب واللغة والأصول وغيرها .  
وكان لتوجيهاتهم - لاسيما الأدباء منهم - أثر كبير في صقل

---

(١) فتح الطيب ج ٧ ص ٩٩ .

(٢) دائرة معارف البستاني مادة « ابن حزم » .

موهبة الأدبية والشعرية التي أعان عليها طبعه العربي ، واستعداده الموروث من أسرة عريقة في الشعر والأدب ونشأته في هذه البيئة الأندلسية ذات الطبيعة الساحرة التي تهذب الوجدان وتثير العاطفة وترقق الشعور وتغنى الخيال .

يقول « أسين بلاثيوس » : « لما بلغ الثامنة من عمره انتقل مع أهله إلى « أشبيلية » بعد أن خضعت « مرسية » لحكم الموحدين ، ولابد أن يكون قد تلقى تربية أدبية ودينية كاملة ، لأنه في كتبه يشير مرارا عديدة إلى شيوخه في القراءات والتاريخ والأدب والشعر والحديث ، وقد أقرأه في أشبيلية خصوصا الكتب الرئيسية في كل فن » (١) .

شغفه بالعلم ومقدرته فيه :

وكان لدى « ابن عربي » استعداد قوى لطلب العلم وإقبال شديد على ارتياد موارده وانتهال فيضه ، وكان عنده نهم شديد إلى قراءة كل ما يتصل بفنون العلم المختلفة ، وهو يحدثنا في كتاب « المحاضرة » عن قراءاته لكثير من الكتب في مختلف الفنون : منها كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، وكتاب المجالسة للدينوري ، وكتاب بهجة الأسرار للامام ابن جهضة ، وكتاب المبتدأ لاسحاق بن بشر ، وكتاب دلائل النبوة للامام الحافظ أبي نعيم ، وكتاب السيرة لمحمد بن اسحاق وكتاب السيرة لابن هشام ، وكتاب صفوة الصفوة لابن الجوزي ، وكتاب مسند الشهاب لابن سلالة القضاعي ، وكتاب المسند للأزرق في مكة تأليف الأزرق بن عمرو القضاعي الأزرق ، وكتاب المسند الكبير لابن حنبل ، وكتاب السنن للسجستاني ، وكتاب الترمذي وصحيح مسلم وصحيح البخاري وغيرها (٢) .

(١) ابن عربي حياته ومله من ٨ .

(٢) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ج ١ ص ٥ .

وقد أشار هو الى هذه الكتب وغيرها بعد قوله : - « كل ما سطرته في كتابي هذا قمته ما شاهدته أو حدثني به من شاهده ، ومنه ما نقلته من كتب مشهورة رويتها سمعا أو قراءة أو مداولة أو كتابة مثل ٠٠٠ » ثم يحدثنا عقب ذلك عن روايته عن كثير من الشيوخ في مختلف الفروع ، مما يشهد له بالحرص الشديد على طلب العلم والدقة في الرواية والتمكن فيها . ويذكر عددا من الشيوخ الذين روى عنهم العلم وانتفع بهم مما يدل على أنه كرس كل وقته وكافة جهده لطلب العلم ، ويشهد لذلك الانتاج الضخم الذي انتجه في مختلف المعارف .

وقد بدأ استعداده للتعلم مبكرا ، ولم يعق هذا الاستعداد ما يصرف مثله في هذه السن المبكرة من دوافع الصبا ، والرغبة في مشاركة الرفاق بعض لهوهم الساذج ومقتهم البريئة .

ولقد كانت تغلبه في بعض الأحيان طبيعة سنه ، فيقبل على الصيد في السهول المحيطة بأشيبيلية ممطيا صهوة جواد يركض به ، ولكن ذلك الاقبال لم يلبث أن يفتر سريعا تحت رغبة ملحة كامنة ، توحى اليه بوجوب انتهاء الوقت في تحصيل ما لا يمكن تداركه بعد فوات الأوان ، وربما كان ذلك تعهدا الهيا لهذا الذي يوشك أن يصبح فيما بعد رجلا عارفا بصيرا ريانيا مبارك الخطوات .

ويفضل هذا الاقبال العظيم على الطلب والافادة أصبح هذا الطالب المجد استاذنا يشار اليه بالبنان ، وأصبحت لديه المقدرة الكاملة على المقارنة والاستنباط ، وأعانته قريحته النفاذة على ادراك ما استكن من أسرار العلوم ودقائق الاشارات ، ولكنه مع ذلك كان متمسكا بطريقة السلف الذين لم يروا غير الأخذ بالكتاب والحديث والاجماع ، فتجده ينحو باللائمة على من ينسبه الى ابن حزم أو غيره من المجتهدين الأئمة ، وإن كان يكن لابن حزم وغيره من هؤلاء كل أجلال واكبار، ويعترف بقراءة كتبهم وتعلمه عليها . جاء

في شذرات الذهب : « كان ابن عربي » مجتهدا مطلقا بلا ريب .  
قال في رائيته :

لقد حرم الرحمن تقليد مالك  
وأحمد والتعمان والكل قاعدروا

وقال أيضا :

لست ممن يقول : قال ابن حزم  
لا ولا أحمد ولا التعمان « (١)

ويقول أيضا في ذلك :

نسبوتى الى ابن حزم واتى  
لست ممن يقول : قال ابن حزم  
لا ولا غيره فسان مقسالى  
قال نص الكتاب ذلك علمى

او يقول الرسول او اجمع الخلق على ما اقول . ذلك حكمى

ويعلق الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل على هذه الأبيات بقوله :  
« أبو محمد بن حزم الظاهري يأخذ بالنقل وظاهر النصوص  
ويستكثر من السنن ، وعن طريق النقص في النقل وضعف الثقة في  
الناقلين هاجم ابن حزم الملل الأخرى ، وراها لا تثبت أمام النقد  
الصحيح ، و « ابن عربي » مع اتفاقه مع ابن حزم في الاعتماد على  
النقل والنصوص لا يرى أن يأخذ بظاهرها وحسب ، بل ومعها  
بواطنها ، ولذا فهو يتنصل من اتهام بعض الناس له من أنه مقلد  
لابن حزم الظاهري ، ولم يقلد « ابن عربي » فقيها آخر . . . سواء  
كان من الذين أخذوا بالظاهر ، او جاسوا خلال الكلام وأخذوا بالرأى

---

(١) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٩٩ .

كالقدرية أو المعتزلة أو الفلاسفة ، وإنما يعتمد في كل ما يقوله على نصوص الكتاب الكريم وأحاديث الرسول الشريفة واجماع المسلمين ، غير واقف عند الظاهر ولا شاطح وراء الضلال ، ومهما كان تأويل « ابن عربى » لقول من الأقوال ، فإنه لم يعتمد علما ولا حكما الا كما ورد عن الله وعن رسوله أو أجمع عليه جمهور المسلمين » (١) .

ومما يؤكد ذلك قوله فى الفتوحات : - وليس عندنا بحمد الله تعالى تقليد الا للمشارع صلى الله عليه وسلم » (٢) .

ويعلق ابن العماد على قول ابن عربى : لست ممن يقول قال ابن حزم قائلا : « وهذا صريح بالاجتهاد المطلق ، كيف لا ؟ وقد قال: عرضت أحاديثه صلى الله عليه وسلم جميعها عليه ، فكان يقول من أحاديث صحت من جهة الصناعة ما قلتها ، وعن أحاديث ضعفت من جهتها قلتها ، وإذا لم يكن مجتهدا فليس لله مجتهد ، أن لا تراه فهذه آثاره » (٣) .

### تفسوره من الفلسفة :

تبحر «ابن عربى» فى كل العلوم الشرعية واللغوية ، وأخذ منها حظه الكامل ، ووصل الى مكانة مرموقة ، ولكنه لم يعرف عنه أنه اختلف الى أحد علماء الفلسفة ليتعلم منه ، فقد كان بطبعه ينفر منها ، وهو يقص علينا فى كتاب الفتوحات قصة لقائه مع فيلسوف الأندلس : « أبى الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبى » ومنها نفهم أنه لم يكن يرغب فيما كان يشغله به ابن رشد عقله ، فلنستمع

---

(١) مجلة منبر الاسلام : ذو القعدة ١٣٨٦ هـ .

(٢) الكبريت الأحمر ص ٣ .

(٣) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٩٩ .

اليه يقول : « دخلت يوما بقرطبة على قاضيهـا أبى الوليد بن رشد . وكان يرغب فى لقائى لما سمع ، وبلغه ما فتح الله به على فى خلوتى ، وكان يظهر التعجب مما سمع ، فبعثنى والدى اليه فى حاجة قصدا منه حتى يجتمع بى ، فانه كان من أصدقائه ، وأنا صبى ما بقل وجهى ولا طر شاربى ، فلما دخلت عليه قام من مكانه الى محبة وإعظاما ، فعانقنى وقال لى : نعم ، فقلت له : نعم ، فزاد فرحه بى لفهمى هته ، ثم أنى استشعرت بما أفرحه من ذلك ، فقلت له : لا ، فانقبض وتغير لونه ، وشك فيما عنده ، وقال : كيف وجدتم الأمر فى الكشف والفيض الالهى ؟ هل هو ما أعطاه لنا النظر ؟

قلت له : نعم ، لا ، وبين نعم ولا تطير الأرواح من موادها والأعناق من أجسادها ، فاصفر لونه وأخذ الأكل(١) ، وقعد يحوقل ، وعرف ما أشعرت به اليه ، وهو عين هذه المسألة التى ذكرها هذا القطب الامام أعنى مداوى الكلوم(٢) .

وطلب من أبى بعد ذلك الاجتماع بنا ليعرض ماعنده علينا . هل هو يوافق أو يخالف ، فانه كان من أرباب الفكر والنظر العقلى، فشكرا لله تعالى الذى كان فى زمان رأى فيه من دخل خلوته جاهلا ، وخرج مثل هذا الخروج من غير درس ولا بحث ولا مطالعة ولا قراءة ، وقال : هذه حالة اثبتتساها وما رأينا لها أربابا ، فالحمد لله الذى اتنا فى زمان فيه واحد من أربابها الفاتحين مغاليق أبوابها ، والحمد لله الذى خصنى برؤيته .

« ثم أردت الاجتماع به مرة ثانية ، فأتيت لى رحمة من الله فى الواقعة فى صورة ضرب بينى وبينه فيها حجاب رقيق أنظر اليه منه ولا يبصرنى ولا يعرف مكانى ، وقد شغل بنفسه عنى ، فقلت :

(١) الأكل على وزن أحمد : الرمدة — تاموس .

(٢) مداوى الكلوم لقب أحد الاقطاب الذين عرف اليهم ابن عربى .



أنه غير مراد لما نحن عليه ، فما اجتمعت به حتى درج ، وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسائة بمدينة مراکش ، ونقل إلى قرطبة وبها قبره ، ولما جعل التابوت الذي فيه جسده على الدابة جعلت تأليفه تعادله من الجانب الآخر ، وأنا واقف ومعى الفقيه الأديب أبو الحسن محمد بن جبير ، كاتب السيد أبي سعيد ، وصاحب أبي الحكم عمر بن السراج الناسخ ، فالتفت أبو الحكم إلينا وقال : ألا تنظرون إلى ما يعادل الإمام ابن رشد في مركوبه ؟ هذا الإمام وهذه أعماله ، يعنى تأليفه ، فقال له ابن جبير : يا ولدى ، نعم ما نظرت لأفض فوك ، فقيدتها عندى موعظة وتذكرة رحمهم الله جميعهم ، وما بقى من الجماعة غيرى ، وقلنا في ذلك :

هذا الإمام وهذه أعماله

يا ليت شعري هل أتت أماله ؟ (١)

فنحن نفهم من قول ابن رشد : أنه في زمان رأى فيه من دخل خلوته جاهلاً وخرج مثل هذا الخروج من غير درس ولا بحث ولا مطالعة ولا قراءة ... وهو يقصد « ابن عربى » بقوله هذا ... أن « ابن عربى » حين دخل الخلوة لم يكن على دراية بعلوم الفلسفة التى يعتبرها ابن رشد هى العلوم الجديرة بالاطلاع ، ومن لم يطلع عليها فهو جاهل . كما يفهم من قول « ابن عربى » عن ابن رشد : أنه غير مراد لما نحن عليه عدم رغبة « ابن عربى » في تلقى هذه العلوم التى كان يدرسها ابن رشد .

وكذلك يفهم من حوار الأصدقاء يوم وفاة ابن رشد مدى الرثاء لحالته ، وكيف يرثى « ابن عربى » لحالة شخص ويرغب في أن يكون عليها ؟

كما نفهم أيضا كراهيته للفلسفة من هذه القصة التى يقصها

(١) ابن عربى ص ١٢ .

في كتاب التدبيرات الالهية » رأيت لبعض أهل الكفر في كتاب  
سماء » المرتبة الفاضلة » رأيت يبد شخص بمرشاة الزيتون .  
ولم أكن رأيت قبل ذلك ، فأخذته من يده وفتحته لأرى ما فيه ،  
فأول شيء وقعت عيني عليه قوله : وأنا أريد في هذا الفصل أن  
ننظر كيف تصنع الها في العالم .. فتعجبت من ذلك ورميت الكتاب  
إلى صاحبه « (١) » .

فاننا نرى أن « ابن عربي » حكم على ذلك الفيلسوف أنه من  
أهل الكفر وذلك يبين مدى ما كان يكنه لهذا العلم من احساس .  
ومع ذلك فإن « ابن عربي » لم يؤثر عنه التزامت والجمود ولكنه كان  
يناقش قضايا هؤلاء الفلاسفة في هدوء ويرد على ما لم يقتنع  
به بالمنطق .

### مكانته في العلم وشهادة العلماء له :

والقد بعدت همة « ابن عربي » في طلب العلوم وكانت له عزيمة  
لا تعرف الكلل ، وتكبد في سبيل تحصيله كثيرا من المشاق ، وكان  
كالنحلة دائب الانتقال من روض إلى روض ، حتى جمع في ذلك  
تخيرة شهد له بها القاصي والداني ، وسيأتي بيان عن ذلك بعد .

وقد أجازته كثير منهم مثل « ابن عساكر » امام وقته في علمه  
ودينه . والذي اشتغل عليه خلق كثير وتخرجوا على يديه وصاروا  
أئمة فضلاء وكان مسددا في الفتوى - توفي في العاشر من رجب  
سنة عشرين وستمائة بدمشق .

و « ابن الجوزي » الذي كان علامة عصره في الحديث وصناعة  
الوعظ ، وقد صنف في فنون عدة منها : زاد المسير في علم التفسير .

---

(١) ابن عربي ص ٣١ .

أربعة أجزاء ، وله فى الحديث تصانيف كثيرة توفى سنة  
سبع وتسعين وخمسمائة .

و « الحافظ السلفى » أحد الحفاظ الكثيرين رحل فى طلب  
الحديث ويدخل ثغر الاسكندرية سنة ٥١١ و أقام به وقصده الناس  
من كل حدب ، وبنى له العادل وزير الخليفة الظاهر مدرسة بالثغر  
سنة ٥٤٦ هـ توفى ٥٧٦ بالثغر .

وأجازة هؤلاء الأعلام « لابن عربى » شهادة لها قيمتها ، لأنها  
تدل على مدى ما وصل اليه من مقدرة فائقة وبراعة لا نظير لها ،  
وتفوق لا حد له فى سائر العلوم التى برع فيها هؤلاء الأعلام  
الأفاضل .



## سلوكه الطريق الصوفى – الرحلات التى قام بها

---

كان للبيئة التى نشأ فيها « سلطان العارفين » اثر كبير فى اتجاهه الصوفى فقد سبقت الاشارة الى صلاح أبويه وأعمامه وأخواله ، ثم من الله عليه بزوجة صالحة ، كانت نعم العون له على ارتياد الطريق الى الله .

وكان « ابن عربى » قد قلد أعباء وظيفة كاتب فى حكومة « أشبيلية » (١) ، ويذكر الشعرانى أن هذه الوظيفة كانت لدى بعض ملوك المغرب ، فيقول : « كان رضى الله عنه – أولا من الموقعين عند بعض ملوك المغرب » (٢) ويذكر صاحب نفح الطيب أنه « كتب لبعض الولاة ثم رحل الى المشرق » (٣) ويذكر ابن العماد فى شذرات الذهب نقلا عن المناوى أنه « كان يكتب الانشاء لبعض ملوك المغرب » (٤) .

ولا تعارض بين هذه النصوص فى حقيقة الأمر ، فقد كانت

---

(١) ابن عربى ص ٩ .

(٢) اليواقيت والجواهر ص ٧ .

(٣) نفح الطيب ج ٧ ص ٩٣ .

(٤) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٦٠ .

أشبيلية ومرسية وغيرهما من المدن الأندلسية الشهيرة تحت سيطرة الموحدين ملوك المغرب .

ولكنه سرعان ما ضاق بقيود الوظيفة ، وتاق الى الحرية ليتفرغ لما اختاره لنفسه على هدى من الله من زهادة وتقشف ، وقد كان ذلك في حياة أبيه ، وساعده على ذلك مرض شديد أصابه فالزمه الفراش ، فلما برئ منه كانت نفسه قد خلصت من شوائبها كالذهب الذي تهذبه النار ، وتهايا للانصراف كلية الى حياته الجديدة ، ولكن تفرغه الكامل لها لم يتم الا بعد وفاة أبيه .

وكان في ذلك الوقت قتي في حوالي العشرين من عمره ، وكان قد سبق ذلك الانقطاع قيامه ببعض المجاهدات ومن بينها الزام نفسه الخلوة بين الدين والحين ، يدل على ذلك المحاورة التي تمت بينه وبين ابن رشد التي أشير اليها سابقا ، والتي أراد ابن رشد بواسطتها أن يجعل من « ابن عربي » موضوع دراسة ويبحث .

وحبب الى « ابن عربي » العزلة ، فانقطع عن الناس وعاش بين المقابر . يقول الشعراني « ثم انه طرده طارق من الله عز وجل فخرج في البراري على وجهه ، الى أن نزل في قبر فمكث فيه مدة ثم خرج » (١) . ويقول صاحب شذرات الذهب : « برز منفردا مؤثرا للتخلي والاتعزال عن الناس ما أمكن ، حتى انه لم يكن يجتمع به الا الأفراد » (٢) .

ويحدث هو عن نفسه في كتاب الفتوحات قائلا : « ولقد كنت انقطعت في القبور مدة متفردا بنفسى ، فبلغنى أن شيخنا يوسف ابن خلف الكرمي قال : أن فلانا — وسماني — ترك مجالسة الأحياء وراح يجالس الموتى (٣) ، وقد حدثت محاورة بين هذا الشيخ وبين

(١) الأيوافيت والجواهر ص ٨ .

(٢) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٩٠ .

(٣) ابن عربي، ص ١٣ .

« ابن عربى » انتهت باعتراف الشيخ بأن الذى يجالس الأموات هو الذى يعيش بين الأحياء لا الذى يعيش بين القبور . وحقا ذلك ، فكم من ميت حى ، وكم من حى ميت . ولطالما سمعنا هذا الأثر : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، والقرآن الكريم يقول : « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (١) .

بدأ تحول « ابن عربى » الى الطريق الصوفى مبكرا ، وبدأ يتلمذ على كتب الصوفية ثم عقد العزم على التعرف الى رجالهم والبحث عن شيوخهم وأعانتته مرآته الصافية على الانتفاع السريع بكل ما قرأ والافادة ممن لقى وعرف .

والمعرفة الصوفية ليس لها سوى مفتاح واحد ان فقدته الانسان حرم ، ولو كانت في يده حلقة بها مئات المفاتيح ، وهذا المفتاح هو العمل ، يصدق ذلك القرآن الكريم « واتقوا الله ويعلمكم الله » (٢) . والأثر الشريف : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .

ولقد كان « ابن عربى » عاملا بما يعلم ، فتفتحت أمامه مغاليق العلوم ، وأعطته ما غمض من أسرارها ، وتمكن في وقت وجيز أن يترجم عن مفهومات حيرت الفحول من الرجال ، وجعلته كعبة القصاد في الوقت الذى كان هو يشد الرجال نحو كل من يسمع عنه أنه ذاق من هذا الطريق شيئا . وهذا هو التواضع الكريم الذى جعله الله حلقة الكمل من الرجال .

ولذلك نراه قد كثرت رحلاته في داخل الأندلس وخارجها ، وكلها رحلات لم يكن الهدف منها سوى لقاء الشيوخ وتحصيل العلم واكتساب المعارف وبناء الرجال . وبالرغم من أن « ابن عربى » وصل الى منزلة عالية كريمة

---

(١) سورة ق ٢٢ .

(٢) البقرة ٢٨٢ .

الا انه كان يعترف دائما بأن كل من يلقاه شيخ له ، فكان يقول :  
شيخي فلان ، ولقيت شيخي فلان ، وجاء لزيارتي شيخي فلان .

وشيوخ ابن عربى فى الطريق كثيرون ، وكل شيخ له مزية خاصة  
وذوق خاص والطريق الصوفى غاص بالأسرار وعلى بالعقبات ، وكل  
سر له طريق لا يمكن النفاذ اليه الا بإرشاد يعرفه شيخ ولا يعرفه  
آخر . فمن أجل هذا لم يأنف ابن عربى من أن يتكلم على الشيوخ  
جميعا ، وهذا الذى جعله يغرف من كل البحور ، ويفهم كل الاشارات  
ويترجم بمختلف الأسرار ولا يلتوى عليه أى مسلك ويشهد له العام  
والخاص .

فمن شيوخه الذين ذكرهم فى كتابه الفتوحات « موسى  
البيراثى » ويعد « ابن عربى » من الأبدال ، ويتذكر أنه قدم اليه  
خاصة « أشبيلية » ليراه ، رغم أنه لم يكن قد بلغ بعد  
السادسة والعشرين من عمره ، وليس ذلك بغريب ، فليس التقدم  
بالسن ، فمن معانى كلمة « الشيخ » أنه من بلغ مرتبة أهل الفضل  
ولو صبييا .

ومن شيوخه أيضا « أبو عمران موسى بن عمران المارتنلى »  
وكان منقطع القرين فى الورع والزهد والعبادة والعزلة ، وكان ملازما  
لمسجده داخل أشبيلية ، وكان الملوك يزورونه ولا يلتفت اليهم ، ربه  
نثر ونظم فى الزهد مدون مشهور ، فمن نثره : كل ما يفنى ماله  
معنى — من خف لسانه وقدمه كثر ندمه — من أعطاك رقبه فقد  
منحك وده — ملك قزادك من أفادك . ومن نظمه :

الى كم اقول ولا افعل	وكم ذا أحوم ولا أنزل ؟
وأزجر عينى فلا ترعوى	وأنصح نفسى فلا تقبل ؟
وكم ذا تعلل لى ويحسها	بعل وسوف وكم تمطل ؟
وكم ذا أومل طول البقا	وأغفل والموت لا يغفل ؟



توفي سنة ٦٠٤ هـ عن اثنتين وثمانين سنة (١) . وكان « ابن عربي » يجل هذا الشيخ كثيرا ، ويذكر عنه أنه سيد وقته ، ويعترف بأنه هو الذي أرشده الى كيفية تلقى الانعامات الالهية .

ومنهم « أبو الحجاج يوسف الشيربلي » وهو شيخ معتقد له كرامات ظاهرة وكان ملازما لتلاوة القرآن .

ومن شيوخه « يوسف الكومي » العالم الورع المجاهد الذي كان يحث اتباعه على لزوم المجاهدة ، حتى يمكنهم اجتياز العقبات في طريقهم الى الله .

ومنهم « أبو عبد الله بن المجاهد » و « أبو عبد الله بن قيسوم » وكلاهما من الشيوخ الأجلاء المدققين الذين بلغوا في محاسبة النفس على الأقوال والأفعال مبلغا كبيرا ، وقد ترك كل هؤلاء أثرا في نفس « ابن عربي » نظرا لما تختلف عليه مشاريعهم وأتواقهم .

وقد رسم هو على ضوء لقاءاته للشيوخ طريقه ومذهبه ، وبواسطتهم قد استقار سبيله ووضحت محجته ، ومضى في طريقه لا يلوى على شيء ، مضيفا الى زاده ما يراه ناقما له في رحلته ومعينا له على وعورة الطريق . لذلك نراه يدقق في محاسبة نفسه فلا يكتفى بمحاسبتها على الأقوال والأفعال كما فعل « ابن المجاهد » وابن قيسوم ، ولكنه يزيد عليهما في التدقيق فيحاسب نفسه على الخواطر ، وتلك نهاية الورع ، وما أحسب أن وصل اليها أحد الا من كان في مرتبة الصديقين .

ويقول « أمسين بلاثيوس » عن « ابن عربي » : « انه عمل على تكوين روحه منذ سنوات شبابه بالزهد في الشهوات نماذج رائعة في الزهد قدمها زهاد في أشبيلية على رأسهم جميعا يجدر أن نذكر عبد الله المغاوري » (٢) .

---

(١) المغرب في حلى المغرب ج ١ ص ٦٠٤ .

(٢) ابن عربي ص ١٧ .

و « أبو محمد عبد الله الماغوري » شيخ جليل له كلام رائع وتوجيهات كريهة. عنها قوله يوصي أبا الحسن الأشبيلي : « أمرك بخمس وأنهاك عن خمس ، أمرك باحتمال أذى الخلق ، وإدخال الراحة على الأخوان وأن تكون أذنا لا لسانا ، والخامس أن تكون مع الناس على نفسك ، وأنهاك عن معاشرة النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وعن الدعوى وعن الوقوع في رجال الله » فما أجمله من كلام خرج من نفس صافية !

وما أجدر « ابن عربي » بالانتفاع بمثل هذه التوجيهات وهو الحريص على تحصيل البجيد من القول والنافع من العمل ، ليتخذ منهما دليله ومرشده .

ولقى من شيوخه « شعيب بن الحسين الأندلسي الملقب بأبي مدين » وقد دلت « ابن عربي » على لقائه خارقة من خوارقه العديدة<sup>(١)</sup> ، وقد شهد هذا الشيخ لابن عربي ولقيه بسسلطان العارفين « وكلام الرجل أدل دليل على مقامه الباطن »<sup>(٢)</sup> .

وأبو مدين أحد الصوفية العظام وأصله من أشبيلية ، طوف سائحا في الأرض وسكن « بجاية » مدة ثم « تلمسان » وكان من أهل العمل والاجتهاد وكان أمام وقته ، وقد أقام مدرسة صوفية في مدينة « بجاية » تخرج فيها الكثير من الأجلة . وقد لقيه « ابن عربي » في أثناء جولاته التي قام بها في بلاد المغرب وكان يطلق عليه « شيخ الشيوخ » وقد خاض أبو مدين كثيرا من الأحوال ، وكان في مقام التوكل لا يشفق له غبار . توفي سنة ٥٩٠ أو ٥٩٤ على خلاف بتلمسان .

ومن الشيوخ الذين كان لهم تأثير خاص في حياة « ابن عربي »

(١) طبقات الشمراني ج ١ ص ١٣٣ .

(٢) طبقات الشمراني ج ١ ص ١٦٣ .

الشيخ أبو العباس العرينى \* ويذكر أسين بلاثيوس عنه : أنه كان من الشيوخ المتوفرين فى أشبيلية على تربية الشباب وإعدادهم ليكونوا محل نظر الله فى الأرض ، فكانوا يجتمعون لديه ، ويقراءون من علمه وينتفعون بزمده ، وكانت له هيمنة خاصة على مريديه ، ويعتبرونه جميعاً أباهم وهم أخوة بين يديه ، يستشهد لذلك بتفسيره معنى « الأقربون » فى قوله تعالى « الأقربون أولى بالمعروف » بقوله : الأقربون هم الأقربون إلى الله لا الأقربون فى الرحم \* وهذا التفسير ذكره « ابن عربى » فى كتابه الفتوحات نقلاً عن شـيـخـه العرينى \*

وتلقى « ابن عربى » عن هذا الشيخ كثيراً من التوجيهات ، ونقل عنه كثيراً من المعلومات وربما كانت تحدث بينه وبين شيخه مناقشات فى بعض الأحيان ، فيحدث فيها « ابن عربى » ، لأنه لم يكن قد أخذ بعد على ذلك النظام الذى وضعه شيخه العرينى لمريديه من وجوب التسليم المطلق للشيخ ، فيتدخل « الخضر » حينذاك لرد « ابن عربى » إلى الطريق السوى ، وهو وجوب عدم معارضة الشيوخ ، وقد ذكر ابن عربى فى كتابه الفتوحات هذه الوقائع فى أكثر من موضع ، تذكر منها هذه الواقعة نقلاً عن كتاب ابن عربى : « الخضر صاحب موسى - عليه السلام - أطال الله عمره إلى الآن بخلاف علماء الرسوم لخبر صحيح تأولوه ، قد رأيناه مراراً واتفق لنا فى شأنه أمر عجيب ، وذلك أن شيخنا العباس العرينى ، جرت بينى وبينه مسألة فى حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله صلى عليه وسلم فقال لى : هو فلان بن فلان \* وسعى لى شخصاً أعرفه باسمه وما رأيت ، ولكن رأيت ابن عمته ، فتوقفت فيه ولم أخذ بالقبول ، أعنى قوله فيه ، لكونى على بصيرة فى أمره ، ولا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى فى باطنه ، ولم أشعر بذلك فى بداية أمرى ، فانصرفت عنه إلى منزلى ، ولما كنت فى الطريق لقينى شخص لا أعرفه ، فسلم على ابتداء سلام محب

مشفق ، وقال لى يا محمد صدق الشيخ ابا العباس فيما ذكر لك عن فلان ، وسمى لى الشخص الذى ذكره أبو العباس العرينى . فقلت له : نعم وعلمت ما أراد ، ورجعت من حينى الى الشيخ لأعرفه بما جرى ، فلما دخلت عليه قال لى : يا أبا عبد الله ، الاحتاج معك اذا ذكرت لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها الى « الخضر » يتعرض اليك ويقول : صدق فلانا فيما ذكره لك ؟ ومن أين يتفق لك هذا فى كل مسألة تسمعها منى فتتوقف ؟ فقلت : ان باب التوبة مفتوح ، فقال : وقبول التوبة واقع ، فعلمت أن ذلك الرجل كان الخضر ، ولا شك انى استفهمت الشيخ عنه : أهو هو ؟ قال : نعم هو الخضر ، (١) .

ولا شك فى أن ظهور الخضر لابن عربى أمر له أهمية ، وهو أن دل على شيء فانما يدل على قوة مكانته ورفعة منزلته ، وعلى أنه سيكون ذا شأن عظيم فى الطريق ، والا لما كان ارشاده الى وجوب التسليم للشيوخ وعدم منازعتهم على يد الخضر الذى أخفى الله صورته عن الناس لحكمة تدق على الأفهام .

وقد عد بعض المحققين « الخضر » من شيوخ « ابن عربى » فقد كان له معه اجتماع كثير (٢) . وانطلق « ابن عربى » فى طريقه وقد وضع هدفه ، وهو يحاول الانتفاع بتوجيهات شيوخه والافادة من كل من يلقاه من أهل الطريق — وقد لقى كثيرا منهم — وكان ديدنه التواضع للجميع وخدمة الرفقاء ، وقد تعلم من ذلك علوما جمعة ، واستفاد فوائد كثيرة ، فقد عرف كيف يسوس نفسه وكيف يربى ارادته وكيف يجمع همه وكيف يصبر فى الشددة وكيف يزهد عن ملك ويعقب عن قدرة وكيف يوجد بما عنده ويؤثر غيره

(١) ابن عربى ص ٢٢ .

(٢) نفع الطيب ج ٧ ص ١٥٨ .

على نفسه • ورفع ذلك من همته فرمى بقصده الى الله ، عن طريق  
الحب يعرفه ، أو عن طريق المعرفة يحبه •

ولم يأنف في طريق الصعود الى الله أن يتعلم من كل من يلقي ،  
صغيرا كان أو كبيرا ، ذكرا كان أو أنثى ، عظيما كان أو حقيرا •

وقد مر بنا كيف أنه خدم امرأة أدرك أنها عارفة بالله اسمها  
« قاطمة بنت ابن المثني القرطبي » ووصل من اعزازها له وانقطاعه  
لخدمتها أن كانت تدعوه بابنها ، وتقول له : أنا أمك الالهية  
« ونور » أمك الترابية ، وقد حكث معها عامين يخدمها • كما عرف  
امراة أخرى مسنة اسمها « ياسمين » وكان يعتبرها من الأواهين ،  
كما صاحب ، « أبا يحيى الصنهاجى » الضرير وهو من أصحاب  
الكرامات و « يوسف الأستجى » وكان من الأميين المنقطعين الى  
الله ، و « أبا عبد الله الشرقى » وكان من أصحاب الخلوات  
« وصالحا البربرى » وكان صوفيا سائحا كثير التجوال • يقول :  
« كان عندنا بأشبيلية رجل عابد حسن الصوت كثير الاجتهاد  
سريع الدمعة دائم العبرة كثير الفكرة والتهجد ، بت معه ليالى  
عدة ، فلم يكن يفتر ، فريما أسمعته فى بعض الأحايين ينشد بصوت  
غرد ، ودموعه تنحدر على خديه :

قطع الليل رجاال ورجال وصلوه

رقدوا فيه أناس وأناس سهروه

لا يميلون الى النوم ولا يسس تعبوه

فكان النوم شىء لم يكونوا يعرفوه (١)

من هؤلاء جميعا تلقن « ابن عربى » فن الحكمة الصوقية ،

---

(١) محاضرة الأبراد ج ٢ ص ٢٢ •

وتلقى دروس الطريق وآدابها وكون لنفسه شخصيته الفذة التى  
أشرقت فى الميدان الصوفى ، وكان لها ذلك الانتاج الغزير الوافر الذى  
لا يكون الا لمن عمر الله أوقاتهم وبارك فيها . فكانت أيامهم الهية  
موفورة الجنى مباركة الثمرات .

### رحلاته فى داخل الأندلس وفى بلاد المغرب :

وبدا « ابن عربى » مرحلة جديدة من حياته ، بدأ يسير  
فى البلاد توجها الى ارواء ظمئه الى المعرفة ، وقد تعلم من تجاربه ان  
المعرفة بحر لا ساحل له ، اذ كلما ازداد الانسان منها شربا ازداد  
ظما .

و « ابن عربى » شأنه شأن الراسخين من رجال التصوف ،  
فقد تصوف عن علم بعد ان تبحر فى علوم الشريعة وشهد له فيها  
كثير من اعلام الفقه والحديث والتفسير واللغة ، وهذه منزلة كفيلة  
وحدها ان ترفع من قدره بين اقدار الرجال ، ولكن ذلك وحده  
لم يكن كافيا لارضاء طموحه ، فقد كانت همته أبعد من ذلك ، وكان  
مثله كمثال حجة الاسلام الغزالى ، الذى سلك طريق التصوف بعد  
ان أروى ظمائه من كافة العلوم الأخرى مع فارق يسير ، يظهر فى  
غزارة انتاج « ابن عربى » فى علوم التصوف ، وغزارة انتاج الغزالى  
فى العلوم الأخرى . والسبب راجع الى تبكير « ابن عربى » فى  
ارتياك الطريق الصوفى ، اما الغزالى فلم يتصوف الا بعد ان أفنى  
زهرة شبابه فى العلوم الظاهرية .

والسياحة عنصر من عناصر الطريق الصوفى ، فعن طريقها  
يربى المرء ارادته ، ويهذب نفسه ، ويصحح عزمه ، ويوثق  
صلته بالله ، ويقهر دواعى نفسه التى يولدها الركون الى الاستقرار ،  
وفى السياحة اعانة على الفكر وحث على المعرفة واكساب للتجربة  
وانس بالله والتجاء اليه واعتصام به ، لذلك لا نكاد نجد صوفيا  
الا وله سياحاته المتعددة ورحلاته المختلفة .

بدأ « ابن عربى » رحلاته فى داخل بلاد الأندلس وفى بلاد المغرب العربى ، وكانت رغبته فى المعرفة رائده ، وكان لا يكاد يخلو بلد من البلاد التى رحل اليها من شيخ فاضل أو عالم جليل . وكان يتعلم من كل رحلة علما جديدا ، وكان يقيد كل ما يعن له من فوائد وفيوضات ومعارف .

بدأ رحلاته بزيارة مدينة « مورور » قبل سنة ٥٩٠ هـ وهناك التقى بشيخ صوفي عظيم اسمه « أبو محمد المورورى » وكان عقده التوكل ، وكانت له معه صحبة جميلة أثمرت ثمارا يانعة وفوائد رائعة .

ورحل الى مدينة « الزهراء » ثم الى « قرطبة » ثم ارتد الى « اشبيلية » ولقيه بها كثير من الشيوخ الذين تسامعوا بعلو كعبه فى الطريق الصوفى ، فقصدوا اليه طلبا للتعرف به والاقادة من علمه وخبرته .

ولم يلبث « ابن عربى » أن انطلق الى خارج الأندلس ميمما شطر المغرب العربى ، فذهب الى « تونس » فى حوالى سنة ٥٩٠ هـ ، ولكنه لم يطل اقامته بها فقد عاد الى « اشبيلية » فى نفس العام . وقد أفاد من رحلته هذه أفادة كبرى ، فقد لقى فى تونس صوفيا كبيرا اسمه « أبو محمد عبد العزيز » الذى توطدت الصداقة بينه وبين « ابن عربى » كما لقى صوفيا آخر هو الشيخ « جراج ابن خميس الكتانى » من سادات القوم .

ورجع الى « اشبيلية » عن طريق محاذاته للشاطئ ، فمر على تلمسان ، وزار قبر خاله « يحيى بن يغان » الذى سبقت الإشارة اليه .

وفى العام التالى سافر الى « فاس » ثم عاد الى « اشبيلية » مرة أخرى ، وفى عام ٥٩٣ هـ ارتد الى « فاس » وأقام بها فترة

عاكفا على العبادة والمجاهدة وملاقة الشيوخ الأجلاء من الصوفية ،  
أمثال الشيخ « أبي عبد الله محمد بن قاسم » امام مسجد الأزهر  
« بفاس » وكان عالما جليلا ، وله مصنفات مشهورة من بينها كتاب :  
المستفاد في ذكر الصالحين من العباد ، وقد استمع « ابن عربي »  
الى هذا الكتاب من مؤلفه .

وقد تتلمذ على « ابن عربي » كثيرون في « فاس » وكان يلتقى  
بهم في مكانه المختار « بستان بن حيون » يستمعون الى محاضراته  
الصوفية التي كان يلقيها عليهم .

ثم ذهب الى « سبتة » والتقى هناك ببعض الصالحين ، وكان  
ذلك في طريق عودته الى الأندلس سنة ٥٩٤ هـ ، وهو يريد عبور  
مضيق جبل طارق اليها .

وفي « غرناطة » التقى بشيخ جليل هو « أبو محمد عبد الله  
الشسكان » ويصفه « ابن عربي » بأنه من اكبر من لقيهم في هذا  
الطريق ، ولم ير مثله في الاجتهاد ، وكان ذلك اللقاء في صسدر  
سنة ٥٩٥ هـ .

وفي العام نفسه توجه الى مسقط رأسه « مرسية » ومنها  
توجه الى « المرية » التي كانت مركزا هاما من مراكز التصوف في  
الأندلس ، ويبدو أن « ابن عربي » قد اقام فيها فترة طويلة يعكف  
على العبادة والتأليف ، ويلتقى بصديقه الصوفي « أبي محمد عبد الله  
الغزالي » تلميذ الشيخ « أبي العباس بن العريف » أحد اعلام  
التصوف ومؤلفيهم ، ومن الكتب التي ألفها « ابن عربي » في المرية  
كتاب « مواقع النجوم » وهو من الكتب الهامة .

ولم يلبث في عام ٥٩٧ هـ أن اتجه الى المغرب مرة أخرى ،  
وللتقى في « مراکش » بشيخ زاهد من شيوخ التصوف اسمه  
« أبو العباس السبتي » ومن هناك انتقل الى « فاس » بناء على



أمر الهى صدر اليه ليصطحب من هناك شخصا اسمه « محمد  
الحصار » الى المشرق .

هذه هي الرحلات التي قام بها « ابن عربى » فى داخل حدود  
الأندلس والمغرب والتي بدأت برحلته الى « مرور » قبل سنة ٥٩٠ هـ  
بقليل وانتهت برحلته الى « مراكش وفاس » فى عام ٥٩٧ هـ .

### رحلاته الى المشرق :

بدأ « ابن عربى » رحلته الكبرى الى المشرق سنة ٥٩٨ هـ  
كما تقول المصادر . وتختلف وجهات النظر حول أسباب هذه  
الرحلة ، فبعضهم يرجعها الى أسباب سياسية تعود الى ما ساد  
البلاد فى المغرب من فتن واضطراب فى ذلك الحين ، بسبب اقوال  
شمس الموحدين . يقول الدكتور جودت الركابى : « ولما اضمحل  
شأن الموحدين وضعف أمرهم بالمغرب والأندلس فى أوائل القرن  
السابع الهجرى ، واجتاحت الفتنة معظم البلاد والخفور الأندلسية .  
غادر الأندلس فى تلك الفترة كثير من الكتاب والعلماء الذين توقعوا  
سوء المصير وآثروا العمل فى جو أكثر استتقارا وطمأنينة مثل  
الشيخ محيى الدين بن العربى شيخ المتصوفين الشهير وابن البيطار  
المالقي » (١) .

ويرى صاحب كتاب « الشمر الأندلسى » أن السبب فى  
هجرة كثير من العلماء والشعراء ومنهم « ابن عربى » يرجع الى  
اضمحلال الأندلس الاسلامى تحت وطأة الاسترداد التى شاعت فى  
ذلك الوقت (٢) .

---

(١) الشمر الأندلسى لاميولوجوس ترجمة حسين مؤنس ص ٣٦ .

(٢) فى الأدب الأندلسى للدكتور جودت الركابى ص ٥٧ .

..... ولكن يبدو أن « ابن عربي » لم يكن مختاراً في القيام بهذه الرحلة ، ولكنها كانت توجيهاً إلهياً ، وليس ذلك بغريب ، فإن من صفت مراقبتهم وارتقت أحوالهم أصبحت حركاتهم وسكناتهم لا تصدر إلا بناء على توجيه إلهي يدركونه بأرواحهم وأذواقهم ، فقد تخلوا عن حظوظهم البشرية ، وارتقوا إلى مستوى يجعلهم ربانيين يدخلون في نطاق الأثر القدسي : عبدي اطعني أجعلك ربانياً ، والرباني هو الذي يذكره القرآن الكريم بقوله : « ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » (١) .

رأى رؤيا في « مراکش » يلقي إليه فيها الأمر بالتوجه إلى مدينة « فاس » ومن هناك يصطحب شخصاً اسمه « محمد الحصار » إلى المشرق . ويستجيب ابن عربي للأمر ويلتقي بالحصار الذي يخبره بأنه رأى مثل هذه الرؤيا ، ويتجهان معا نحو « تلمسان » .

أما الرؤيا العجيبة التي تكشف عن مستقبل « ابن عربي » وعلو منزلته فهي التي رآها في « بجاية » في العام نفسه ، وهذه الرؤيا يقصها علينا صاحب تفح الطيب على لسان « ابن عربي » « رأيت ليلة أني انكمت نجوم السماء كلها ، فما بقي نجم الا انكحته بلذة عظيمة روحانية ، ثم لما كملت نكاح النجوم اعطيت الحروف ( وفي نسخة اعطيت البدور ) فنكحتها ثم عرضت رؤياي هذه على من قصها على رجل عارف بالرؤيا بصير بها ، وقلت للذي عرضتها عليه : لا تذكرني ، فلما ذكر الرؤيا اسستعظمها وقال : هذا هو البحر الذي لا يدرك قعره ، صاحب هذه الرؤيا يفتح الله تعالى له من العلوم العلوية وعلوم الأسرار وخواص الكواكب ما لا يكون فيه أحد من أهل زمانه ، ثم

---

(١) آل عمران ٧٦ .

سكت ساعة وقال : ان كان صاحب هذه الرؤيا في المدينة ، فهو ذلك الشاب الأندلسي الذي وصل إليها « (١) » .

وبدأت رحلته الكبرى الى المشرق في العام التالي ٥٩٨ هـ وتوقف في « تونس » فترة طويلة بلغت حوالى تسعة شهور ، استأنف بعدها السفر قاصدا مكة المكرمة ، وتمر في طريقه « بمصر » ، ولكن اقامته لم تطل بها في هذه المرة ، وفي « مصر » فقد صاحبه الذى أمر باصطحابه ، فقد مات ودفن بها ، وواصل « ابن عربى » رحلته الى مكة وحيدا .

وكانت شهرته قد سبقت الى هناك ، وتوافد عليه الأولياء والعلماء من كل فج يطلبون رؤيته والافادة من علمه وقضله ومعرفته .

وتوثقت الصلة بينه وبين « مكين الدين أبى شجاع زاهد ابن رستم بن أبى الرجا الأصفهاني » امام مقام ابراهيم . ولهذا الشيخ أخت عالة مسنة أطلق عليها « ابن عربى » لقب : شبيخة الحجاز وفخر النساء : وله ابنة من أرباب الأحوال والمقامات . جمعت بين الحسنيين الظاهري والمعنوي ، ووصفها بأنها من العابدات العالمات الساتحات الزاهدات ، وأطلق عليها لقب : شبيخة الحرمين ومربية البلد الأمين ، أما اسمها فهو « النظام » .

وكانت هذه الفتاة آية من آيات الله في العلم والفهم والابانة . وكان من الطبيعي أن تدور مناقشات علمية صوفية بين « ابن عربى » وبين أفراد هذه الأسرة الكريمة . ويعجب بهذه الفتاة التي بلغت في المعرفة حدا كبيرا ، وكانت مصدر الهام أوحى له بدويان « ترجمان الأشواق » الذى نسج فيه قصائده الرمزية على طريقة الصوفية التي يتغزلون فيها بانسان حى ، ولا يقصدون من ورائه

---

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٥٠ .

سوى الإشارة الى معان علوية دقيقة ، ثم لم يلبث أن وضع شرحا لذلك الديوان خوفا من أن يسبق الى ذهن أحد فهم خاطيء لا يتناسب وجلال هذه المقطوعات الصوفية الرائعة .

وأقام « بالطائف » قريبا من « مكة » فترة من الوقت وعاد الى مكة ، ولقى بها بعض الصوفية ، والتقت روحه مع روح بعض الذين فارقوا الحياة الدنيا من الأولياء والصالحين والصدّيقين .

وفي عام ٦٠١ هـ رحل الى « بغداد » ولكنه لم يبق بها سوى اثني عشر يوما استأنف بعدها السفر الى « الموصل » للقاء شيخ من شيوخ الصوفية اسمه : « على بن عبد الله بن جامع » وكانت لهذا الشيخ روح خاصة وتعلق شديد بالخضر .

واتجه « ابن عربي » صوب « مصر » في سنة ٦٠٣ هـ حيث أقام هناك في صحبة بعض الصالحين ، يعمرن أوقاتهم بالعبادة والطاعات في أحد البيوت « بزقاق القناديل » بالقاهرة ، وكان ذلك في خلافة الملك العادل ، وقد تعرض لمحنة ستعرض لها فيما بعد .

ومن القاهرة توجه الى « الاسكندرية » حيث لم يبق فيها طويلا ، ثم غادرها الى مكة .

ويذكر الدكتور « على صافي حسين » أن « ابن عربي » التقى « بابي الحسن الصباغ » في أرض الصعيد بمصر ، في أثناء ذهابه الى مكة ، وحضر مجالسه ، و « الصباغ » شاعر صوفي مشهور ، ولكن شهرته لم تصل الى شهرة غيره ممن جاوزوا مواطنهم الأصلية وساحوا في البلاد ، واسمه « على بن أحمد بن اسماعيل ابن يوسف » وكنيته : أبو الحسن الصباغ وأصله من مدينة « قوص » وتوفي سنة ٦١٣ هـ ، واشتهر بالزهد والورع والعمق في التصوف ، وأنه كان من خير شيوخ التصوف تربية ، وأستاذه

الشيخ « عبد الرحيم القناوي » أكبر رجال التصوف شهرة وأعظمهم قدرا وأبعدهم عينا في القرن السادس الهجري (١) .

والتقى في مصر أيضا بسلطان العاشقين « ابن الفارض » على رأى ، وسيأتى حديث عن ذلك بعد .

واقام الشيخ الأكبر في « مكة » عقب رحيله من مصر إليها فترة لم تطل ، فسرعان ما أخذ أهبطه ، بناء على التوجيه الروحي إلى مواصلة السياحة ، فرحل إلى آسيا الصغرى وحط رحاله في « قونية » سنة ٦٠٧ ، وكانت « قونية » عاصمة الإقليم الخاضع للمسلمين في الدولة البيزنطية ، وقد استقبل هناك استقبالا حافلا ، وخرج الملك بنفسه لاستقباله احتراماً له وقياماً بواجب الضيافة ، وأهداه داراً تقدر المصادر قيمتها بمائة ألف قطعة من الفضة ، ولكنه تصدق بها .

وربى في « قونية » كثيراً من المريدين ، على رأس القائمة منهم « صدر الدين القونوي » الذي كان من أحب تلاميذه إليه ، والذي كان له فضل كبير في تيسير تلقى علوم أستاذه للمتعلمين ، وفي حمل لواء الدفاع عنه ضد المهاجمين والناقدين .

ولم يستقر في « قونية » طويلاً ، فقد واصل تجواله في آسيا الصغرى ، واستمر في هذه الرحلة ما يقرب من عام ، مر في خلاله بكثير من المدن الهامة في الأناضول مثل « قيصرية » و « ملطية » و « سيواس » و « أرزن الروم » وقد كانت آسيا الصغرى تطلق على « أرمنية » و « تركيا والأناضول » .

ثم لم يلبث أن دخل « العراق » فزار « حران » في نفس

---

(١) الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري ص ١٢٠ . الدكتور على صالح حسين .

العام يصحبه في هذه الرحلات بعض أخوانه من أهل الطريق ،  
 فيأتسون في سياحاتهم أشد ما يكون الأتس ، وينعمون بما يتلقونه  
 من قبض الهى ومعد روحى ، ولقد أشار « الشيخ الأكبر » في كتابه  
 « الفتوحات » الى هذه الرحلة بقوله يمجّد أحد أخوانه الذى  
 سره منه حسن بره بأمه وعنايته بها : « أعرف ذلك الشخص  
 بعينه وصحبته وكان يعظمنى ويرى لى كثيراً ، واجتمعت به في  
 « دمشق » وفي « سيواس » وفي « ملطية » وفي « قيصرية » ،  
 وخدمنى مرة ، وكانت له والدّة كان باراً بها ، واجتمعت به في  
 « حران » في خدمة والدته ، فما رأيت من ببر أمه مثله ، وكان ذا  
 مال ، ولّى سنون فقده من دمشق ، فما أدري هل عاش  
 أو مات » (١) .

وفي عام ٦٠٨ التقى « بالشهاب السهروردى » في بغداد « حين  
 رحل اليها بعد انتهاء رحلته في « أسيا الصغرى » ماراً « بدتيسر »  
 في ديار بكر ، وشاهد ماء الفرات وقد جمد تحت برد الشتاء  
 القارس في أقصى الشمال حتى عاد « أرضاً تمشى عليه القوافل  
 والناس والدواب ، والماء تحت ذلك الجليد حار » (١) .

و « السهروردى » كان في ذلك الوقت شيخ الصوفية في  
 « بغداد » ، وقد وصل في التصوف الى منزلة لا تدانيها منزلة ،  
 ولذلك كان حرص « ابن عربى » على لقائه شديداً .

والصوفية لهم تقاليد خاصة في مقابلاتهم ، وهى تختلف من  
 شخصية الى أخرى ، ولكنها تقاليد لها احترامها ، فمن تقاليد  
 بعضهم في اللقاء الصمت ، ولكنه صمت أبلغ من الكلام . وهذا  
 ما حدث بين « ابن عربى » و « السهروردى » حين تقابلا ، كان

---

(١) ابن عربى ص ٦٨ .

بينهما صمت باللسان ، ولكن كان هناك تخاطب بالجنان ، خرس  
الالفاظ وتحدثت اللحاظ ، ومكثا هكذا مدة طويلة ، وانصرف كل  
منهما دون أن ينبس ببنت شفة . وحين سئل « ابن عربى » عن  
« السهروردى » بعد ذلك أجاب بأنه : مملوء سنة من فرقه الى  
قدمه . ولا سئل « السهروردى » : ما تقول فى « ابن عربى » ؟  
قال : انه بحر الحقائق (١) .

و « السهروردى » هو شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد  
ابن عبد الله بن عمرو بن محمد « السهروردى » كان امام وقته  
لساننا وحالا ، ولد سنة ٥٣٩ هـ وتوفى « ببغداد » سنة ٦٣٢ هـ  
ومن شعره الذى يدل على صفاء روحه قوله على طريقة الرمز  
بالخمر :

لا تسقنى وحدى فما عودتنى  
أنى أشج بها على جلاسى  
أنت الكريم ولا يليق تكـرما  
أن يصير الندماء دون الكاس

وارتفعت منزلة « ابن عربى » فى « بغداد » ارتفاعا عظيما .  
وكثر التلاميذ من حوله ، وتطايرت شهرته الى كل مكان ، ولعله  
وجد فى « بغداد » أنسا روحيا جعله يركن الى الاستقرار فيها  
فترة من الزمن ، قبل أن يتركها عائدا الى « مكة » فى سنة ٦١١ هـ .

ولم يبق فى « مكة » طويلا ، ففى رمضان سنة ٦١٢ هـ سافر  
الى « قونية » مرة اخرى ، ثم تركها الى « حلب » فى السنة التى  
تليها ، وصادف لدى أميرها تكريما عظيما جعله مقصد أصحاب  
الحاجات والمظالم .

---

(١) ابن الفارض سلطان الماشقين ص ٨٦ .

وسافر الى « حمص » حيث وجد تكريم سلطانها له لا يقل عن تكريم غيره من الملوك والأمراء الذين سعدوا بقاء « ابن عربي » في ممالكهم ، وأراد « أسد الدين شيركوه » سلطان « حمص » أن يظفر بأبقائه عنده نهائيا ، بأن يجعله يتخذ من « حمص » دار إقامة له ، فأمر له بعطاء يومي يقدر بمائة درهم ، ولكن كيف يقبل العصفور الطليق البقاء في قفص ولو كان من ذهب ؟

ولو كان « ابن عربي » هدفه الدنيا وطلب الأمان لوجد ضالته في كل مكان ذهب اليه وحل به ، ولكنه كان قد ملك عنان الزهد ، وانصرف بكليته عن الدنيا التي نظر اليها من وجهة نظر القرآن الكريم حيث يقول : « اعلّموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم » (١) فلم يلبث أن انطلق كعادته محلقا في فضاء الكون الواسع تصرفه القدرة حسبما تريد ، فامر « حمص » سائحا فمر « بملطية » وهناك ولد له غلام في رمضان سنة ٦١٨ هـ .

ولكن هذه الحياة المضنية والتجوال المستمر والجهد المتواصل ، في ظل نظام صارم من الزهد والتقشف وملازمة العبادة والسهر كان لكل ذلك اثر كبير في توجه الشيخ الأكبر الى « دمشق » ليستقر نهائيا بها منذ سنة ٦٢٠ هـ . حتى وافقه منيته المحتومة ، قلبى نداء ربه الكريم وسعد بجواره هنيئا في سنة ٦٢٨ هـ .

وقد كان اختياره « دمشق » لتكون مقرا نهائيا له اختيارا مبثيا على هدى من توجيه الرسول الكريم — صلوات الله عليه وسلامه — الذي ثبت عنه أنه قال : عليكم بالشام ، فانه خيرة الله من أرضه واليها يجتبي خيرته من عباده (٢) .

(١) سورة الحديد ٢٠ .

(٢) ابن عربي ص ٨٥ والمبارة منقولة من الفتوحات ج ٤ ص ٤٦٩ .



وفي دمشق بشره النبي صلى الله عليه وسلم بتحقيق أمنيته  
في أخراج « فصوص الحكم » الذي يقول في مقدمته : « رأيت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ميثرة أدبتها في العشر الآخر  
من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق ، وبيده  
صلى الله عليه وسلم كتاب ، وقال لى : هذا كتاب فصوص الحكم ،  
خذه وأخرج به الى الناس ، ينتفعون به ، فقلت : السمع والطاعة  
لله ولرسوله وأولى الأمر منا » (١) .

### حياة حافلة :

على أن استقرار الشيخ الأكبر في « دمشق » لم يكن يعنى  
خلوده الى الراحة فقد ظل ساكفا على مجاهداته في العبادة وتأليفه  
في علوم التصوف حتى آخر نفس من حياته ، وبذلك يمكن أن  
ندرك أن حياة « ابن عربى » كانت حافلة بجلال الأعمال منذ  
الأيام الأولى حتى الأيام الأخيرة منها .

لقد كانت هذه الحياة سلسلة متواصلة الحلقات من الرحلات  
التي لم تكد تنتهى واحدة منها حتى تبدأ أخرى ، ولم تكن هذه  
الرحلات الا هادفة دائما الى تحقيق أغراض كريمة ، وفي مقدمتها  
تحصيل المعارف أو لقاء الشيوخ أو تربية المريدين ، وفي أثناء ذلك  
كانت تظهر له مؤلفات نافعة تنم عن عبقرية فريدة في نوعها .

وإذا تتبعنا خطوات سياحته يمكن أن نقف على أحداث هامة  
في حياته ارتبطت بهذه السياحات ارتباطا بالأسباب بعسبباتها .  
ولنضرب لذلك بعض الأمثلة :

١ - كانت رحلته الى مكة في فترات المتعاقبة موحية له بتأليف

---

(١) شرح القاضى على فصوص الحكم ص ١٠ .

كتب من أهم كتبه التي كان لها دوى هائل في الأوساط العلمية والصوفية والأدبية .

منها « ترجمان الأشواق » الذي ألفه في سنة ٥٩٨ هـ ، وتذكر دائرة المعارف الإسلامية عنه ما يأتي : « وتعرف «ابن عربي» أثناء إقامته بمكة عام ٥٩٨ هـ بامرأة عالمة من تلك المدينة ، ولما عاد إلى مكة عام ٦١١ هـ نظم مجموعة صغيرة من الأشعار الغزلية أشاد فيها بعلم هذه المرأة وجمالها الفتان وما كان بينه وبينها من حب ، وفي العام التالي رأى أنه من المفيد أن يتبع أشعاره بشرح صوفي ، وقد نشر هذه الأشعار وشرحها وترجمها إلى الانجليزية نيكلسون » (١) .

ولكن الحقيقة أن هذه القصائد ألفت في عام ٥٩٨ هـ ، وليس في عام ٦١١ هـ ، وأن الشرح هو الذي كان في عام ٦١١ هـ . يذكر ذلك « ابن عربي » نفسه في مقدمة « ذخائر الأملق شرح ترجمان الأشواق » حيث يقول : « لما نزلت مكة سنة خمس مائة وثمان وتسعين ألفيت بها جماعة من الفضلاء . . ولم أر فيهم مع فضلهم مثل الشيخ العالم الامام بمقام ابراهيم عليه السلام نزيل مكة مكين الدين أبي شجاع . . وكان لهذا الشيخ رضى الله عنه بنت عذراء طفيلة هيفاء تقيد النظر وتزين المحاضر وتحير المناظر تسمى « بالنظام » من العابدات العالمات السانحات الزاهدات شبيخة الحرمين . . فراعينا في صحبتها كريم ذاتها مع ما انضاف الى ذلك من صحة العمة والوالد فقلدناها من نظمنا في هذا الكتاب احسن القلائد » (٢) .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة ابن عربي ج ١ .

(٢) ذخائر الاملاق في شرح ترجمان الاشواق ص ٤ .

وقد اثبت ذلك « أسسين بلاثيوس » في كتابه « ابن عربي » حيث يقول : « انه في نفس السنة سنة ٥٩٨ بلغ الغاية من رحلته ، اذ بلغ مكة وسرعان ما ذاع صيته في هذه المدينة المقدسة ، وبنا العلماء والصالحون يتوددون اليه ، ومن بين هؤلاء الامام الموكل بمقام ابراهيم واسمه « أبو شجاع » الذي انعقدت بينه وبين « ابن عربي » مودة وثيقة ، وكانت لهذا الامام بنت ذات جمال . فأوجت الى ابن عربي بموضوع كتاب من أشهر كتبه هو ترجمان الاشواق . ثم يقول : نراه في سنة ٦١١ هـ لا يزال في مكة عاكفا على عبادته المعتادة في الكعبة ويكتب شروحه على ترجمان الاشواق » (١) .

ولسنا بصدد الدفاع عن « ابن عربي » في قصائده تلك التي اثارته حوله ثائرة الفقهاء والمتشككين ، فان حياة الشيخ الأكبر نفسها تضعه فوق مستوى أى شبهة من الشبهات وتدفع عنه ، والمنهج السلوكي الذي اختاره لنفسه قد جعله زاهدا في كل متعة من متع الحياة رخصت أو غلت ، وليس من المستساغ أن يقبل هذا السائح الرامي بقصده الى الله أن يتغزل غزلا حسيا في فتاة كان هو في ضيافتها وضيافة أبيها ، فان لم يتناف هذا مع صلاحه وصلاحها فانه يتنافى مع طبيعته كعربي جواد شهم فتى ينتسب الى أرقى أرومة من أرومات العرب مجدا وأبا وشهامة ، وهي أرومة طيبة .

وان هذه الخواطر التي حاكتها أخيلة المهاجمين هي التي جعلته يسارع في تأليف شرح لهذه القصائد الصوفية الغزلية ، التي نحا فيها منحى الرمن الصوفي الذي ناب الصوفية على

---

(١) ابن عربي ص ٥٧ .

استعماله منذ أن تطور التصوف الى أدواق ومواجيد وانطلق الصوفية بعواطفهم نحو الله ، ولكنهم لم يتمكنوا من أن يصرحوا بذلك فرمزوا عن حبهم لله بالغزل الحسى ضمنا بأسرارهم وحفاظا على معانيهم ، ولذلك نرى ابن عربي يقول : « وقد شرحنا من ذلك نظما لنا بمكة سميناه ترجمان الأشواق وشرحناه في كتاب سميناه الذخائر والأعلاق بسبب اعتراض بعض فقهاء حلب علينا ، في كوننا ذكرنا أن جميع ما نظمناه في هذا الترجمان انما المراد به معارف الهية وأمثالها ، فقال : انما فعل ذلك لكونه منسوبا الى الدين ، فما أراد أن ينسب اليه مثل هذا الغزل والتشبيب ، فجزاه الله خيرا لهذه المقالة » فانها حركت دواعينا الى الشرح فانتفع به الناس ، فأبدينا له ولأمثاله صدق ما نؤيناه وما ادعينا ، فلما وقف على شرحه تاب الى الله من ذلك ورجع » (١) .

ولكن الدكتور زكي مبارك يتابع دائرة المعارف الاسلامية في فهمها عن ابن عربي من أنه كان يقصد الغزل الحسى ، وذلك في كتابه التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق ويقول : انه حين أراء أن يوجه هذه القصائد وجهة صوفية ارتكب كثيرا من التعسف ، وهذا القول له خطورته ، فابن عربي مصدق في قوله ، ووقائع حياته تؤيده يقول الأستاذ محمد ابراهيم الجيوشى : « وعن البين لكل من له صحة في الشعر الصوفي أنه يتمذر كثيرا على دارسه التمييز بين هذا الضرب من الشعر وبين الشعر الغزلى ، هل هذا قيل في معشوقة من البشر أو منشودة من السموات ؟ حتى أن ابن عربي اضطر الى كتابة شرح لتوضيح الغرض من أشعاره ولازالة ما علق بالأذهان من أنها قيلت تشبيها بامراة » (٢) .

(١) ابن عربي ص ٧٥ .

(٢) بين التصوف والأدب لمحمد ابراهيم الجيوشى ص ٨٢ .

ولو صح قول الدكتور زكي مبارك عن ابن عربي لصح إطلاقه على كل شاعر صوفي له شعر غزلي ، ولصح عن رابعة العدوية التي يطلق عليها شهيدة العشق الالهى أن معشوقها أنسان في تلك الأشعار الرائعة التي وقفت أنفاس المحبين حولها لاهثة .

وليس هناك تعسف في شرح قرجمان الأشواق ولكنها المعانى العميقة والأسرار الالهية التي مازالت تجد صيانتها في قلم ابن عربي عن الابتذال رغم الشرح . وستظل كذلك في صون وحفاظ حتى ولو وضع حولها الشارحون ألف شرح وشرح .

ومن كتبه الهامة في « مكة » الفتوحات المكية الذي يقول عنه الشعراى : انه بعد أن ألفه وضعه فوق الكعبة عاما كاملا ، ثم بعد ذلك تناوله فوجده بالحالة التي وضعه عليها لم تؤثر فيه شمس ولا أمطار ولا رياح (١) .

ويعتبر تأليف هذا الكتاب صدئ لما وصل اليه « ابن عربي » من منزلة روحية عظيمة وكما يقرر هو أن ما ورد فيه كان فيضاً الهيا القاه الله في روعه فترجم عنه في هذه الأجزاء الضخمة ذات الستين والخمسمائة فصل .

وكتاب الفتوحات - الذي نرجو أن نتحدث عنه فيما بعد - له أثره الخطير بين الصوفية ويعد من الكتب الرئيسية في علم التصوف .

٢ - مجيئه الى « مصر » في سنة ٦٠٣ هـ كان سببا في إثارة ثائرة الفقهاء عليه حتى أؤغروا عليه صدر السلطان العادل ، وهما بأن يبطشوا به لولا أن قبض الله له من كان سببا في أنقاده من هذه الفتنة التي أوشكت أن تعصف به .

---

(١) اليواقيت والجواهر ص ١٢ .

وقصة ذلك أنه حين قدم القاهرة نزل في دار بها جماعة من الصوفية في « زقاق القناديل » والتأم شمل هؤلاء حول ذكر الله والتزام عبادته على نحو خاص أدى الى ظهور بعض الخوارق على أيديهم ، وفي ليلة انبعثت من أجسام الذاكرين أنوار مضيئة بددت ظلام الحجرة ورأى « ابن عربى » شخصا يخاطبه بلسان عذب فصيح قائلا : « اعلم أن الخير في الوجود والشر في العدم ، أوجد الانسان بجلوه وجعله وحدانيا في وجوده ، تخلق بأسمائه وصفاته وفنى عنها بمشاهدة ذاته ، فرأى نفسه بنفسه وعاد العدد الى اسمه فكان هو ولا أنت » .

وقد فهم « ابن عربى » هذه الاشارات وحاول أن ينظم حولها شعرا يترجم عن معانيها ، ويبدو أن عوام الصوفية لم يدركوا جلال هذه المعاني فنقلوها عفوا أو تباهيا الى أسماع الفقهاء الذين يغارون على السنة ، ولعل ما كان قد شاع من أشعار ترجمان الأشواق قبل كتابة شرحها قد وصل أيضا الى أسماع هؤلاء قاضيف هذا الى ذلك ، وأوصلوه الى الملك العادل متهمين « ابن عربى » بالكفر والتبور وعظائم الأمور ، طالبين منه اهدار دمه حتى يكون عبرة لغيره .

ولكن الغريب أن « ابن عربى » لم يتأثر بذلك ولم يتزعزع ايمانه. وكان ذلك بسبب توقعه لما يحدث له وتوطينه النفس على الصبر على ذلك . جاء في شذرات الذهب : « وقد أودى الشيخ كثيرا في حياته وبعد مماته بما لم يقع نظيره لغيره ، وقد أخبرهم عن نفسه بذلك . وذلك من غرر كراماته . فقد قال في الفتوحات : « كنت نائما في مقام ابراهيم ، وإذا يقاتل من الأرواح يقول لى عن الله : ادخل مقام ابراهيم أنه كان أواما حليما ، فعلمت أنه لا بد أن يبتلىنى بكلام فى عرضى من قوم فاعاملهم بالحلم قال : ويكون اذى كثيرا فانه جاء بحليم بصيغة المبالغة ، ثم وصفه بالأواه ، وهو من يكثر التاوه لما

يشاهد من جلال الله» (١) وقد وطن الشيخ الأكبر نفسه على الصبر لهذا الأذى حتى يكون جديرا بالتخلق بمقام الخيلية .

يقول مؤلف كتاب « ابن عربى » ومن حسن الحظ في هذه المناسبة أن هذه الاتهامات لم تلق أذنا سميعة عند الملك العادل لسياسته الحرة السميحة ، وكانت توصية من جانب الشيخ أبى الحسن البجائى صديق ابن عربى ، كانت هذه التوصية كافية لتفسير مذهب ابن عربى في وحدة الوجود تفسيرا رمزيا فأمر بإطلاق سراحه» (٢) .

ولم تثن هذه المحنة عزيمة « ابن عربى » ولم تعقه عن طريقه . لأنه عرف هذا الطريق وأدرك نهايته وأيقن بسلامته ، واستهان بكل خطورة فيه .

#### هل التقى ابن عربى بأبن الفاراض ؟ :

شيء آخر في مصر يعد من الأحداث الهامة في حياة الشيخ الأكبر ذلك هو لقاءه بأبن الفاراض .

كان ابن الفاراض معاصرا لابن عربى ، وإن اختلف موطن كل منهما . فقد ولد ابن الفاراض في مصر سنة ٥٧٦ هـ ونشأ بها في ظل الدولة الأيوبية ورحل الى مكة وقضى بها خمسة عشر عاما ، رجع بعدها الى القاهرة حيث مكث بها حتى وأفته منيقه سنة ٦٢٢ هـ بعد أن بلغ في العلوم الدنية والصوفية مبلغا كبيرا ، وقد ضمن خلاصة معرفته أشعاره التي سرت مسرى الشمس ، ووضع حولها الشراح كثيرا من الشروح والتعليقات وأطلق عليه من أجلها « سلطان العاشقين » وكان أهم أشعاره قصيدته « نظم السلوك » (٣) .

(١) شلوات الذهب ج ٥ ص ١٩٠ .

(٢) ابن عربى ص ٦٥ .

(٣) راجع عمر بن الفاراض سلطان العاشقين ص ١٢٠ ، ١٢٧ .

ولقد أشارت بعض المصادر اشارات طفيفة حول امكان هذا اللقاء ، فقالت : ان محيي الدين بن عربي طلب من ابن الفارض ان ياذن له في شرح تائيته الكبرى فاجاب ابن الفارض : بأن كتابك الفتوحات المكية شرح لها ، ومن هذه المصادر ما نقله المقرئ في نفح الطيب عن « المقرئى » في ترجمته لعمر بن الفارض (١) .

ولكن تفصيلات هذا اللقاء لم يتعرض لها أحد، حتى يمكن معرفة الزمان والمكان وبقية ما دار بين هذين الشيخين من حديث ، مما جعل بعض المهتمين في العصر الحديث بدراستهما يفقلون هذه الحادثة اطلاقا ، كما فعل « أسين بلاثيوس » في ترجمته « لابن عربي » فانه برغم تعرضه لبعض التفصيلات الدقيقة لحياته لم يتعرض لذكر واقعة لقائه بابن الفارض ، وان كان قد ذكر عن « ابن الفارض » انه بلغ مرتبة عليا في التصوف والارتفاع في قلوب المسلمين ، وذلك حينما تحدث عن شهرة « ابن عربي » « الذى طبقت شهرته بلاد المشرق كلها ، لا ينافسه في شهرته غير صوفي آخر معاصر له هو عمر بن الفارض الشاعر المصرى الصوفى المشهور » (٢) .

ويجوز ان يقال : ان منهج « أسين بلاثيوس » في ترجمته لابن عربي يعتمد على ابن عربي نفسه في كتيبه ، ولاسيما كتاب الفتوحات لأنه يقول في مقدمة كتابه : « حياة الصوفى المرسى ابن عربي وهى موضوع القسم الأول من هذه الدراسة قد استخلصناها مما ورد من تصوص تتعلق بحياته في كتيبه خصوصا في كتاب الفتوحات المكية ، ودون أن نهون من شأن المعلومات القليلة التى يقدمها لنا من ترجموا لحياته فاننا نعتقد ان ما قدمه لنا ابن عربي نفسه اكبر أهمية » .

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٠٧ .

(٢) ابن عربي ص ٨٥ .



و «ابن عربي» لم يتحدث عن هذا اللقاء بينه وبين «ابن الفارض» كما تحدث عن غيره من اللقاءات التي تمت بينه وبين شيوخ كثيرين . وكما اغفل «أسين بلاثيوس» هذه الواقعة انكرها غيره من المستشرقين مثل «نيكلسون» «وماسينيون» يذكر ذلك الدكتور محمد مصطفى حلمي قائلا : «ومن هنا ذهب المستشرق الانجليزى نيكلسون الى أن ابن الفارض وابن عربي لم يلتقيا قط ، كما ذهب الى مثله المستشرق الفرنسى الأستاذ ماسينيون ، وذلك في محاضرة القاها بقاعة الجمعية الجغرافية عن ابن الفارض والششتري فقد استبعد أن يكون ابن عربي في زيارته لمصر قد عرف ابن الفارض ، وإن كان كل منهما قد أحس بوجود صاحبهما في عالم الشعير والتصوف» (١) .

والدكتور مصطفى حلمي يذكر ذلك بعد قوله : «نحن لا ننكر زيارة ابن عربي لمصر أو المأمة بها ، ولكن الذى لا نستطيع التثبت منه هو أن يكون ابن عربي قد التقى حقا بابن الفارض ونشأت بينهما صلة شخصية تبودلت فيها الآراء الصوفية والأذواق الروحية ، إذ ليس ثمة ما يثبت هذه الصلة اثباتا قاطعا» .

ونحن لا يمكننا اضافة شيء جديد الى ذلك ، ولكن يمكن أن نذهب الى رأى الذى يثبت امكانية هذا اللقاء وحديثه ، مستمدين من حرص «ابن عربي» الزائد على لقاء الشيوخ دليلا قويا على حدوث هذا اللقاء ، فان المتتبع لرحلات هذا الشيخ الجليل يرى مدى شغفه بالتحرف الى رجال الوقت من الصوفية ، وفي كل مكان يحل فيه يبحث عمن يرى أنهم محل نظر الله في الأرض . وابن الفارض لم يكن شيخا مغمورا من شيوخ الصوفية ، ولكنه كان علما من اعلامهم تشد اليه الرحال من كل مكان ، فليس من المعقول ان تمنح لابن عربي فرصة ثمينة كهذه ولا يفتنمها وهي فرصة وجوده في القاهرة .

---

(١) ابن الفارض سلطان الماشقين ص ٩١ .

على أن هذا اللقاء قد لا يكون حدث في القاهرة ، إذ من الجائز حدوثه في مكة ، ونحن نعلم أن ابن الفارض « قضى في ظل الحجاز أكثر أيامه اشراقاً بأنوار الفتح فيما بين سنتي ٦١٢ هـ و ٦٢٨ هـ في أواخرها أو ٦٢٩ هـ في أوائلها » (١) وابن عربي يقينا كان يلم كثيراً بمكة في السنين قبل رحيله نهائياً إلى دمشق سنة ٦٢٠ هـ ، ففي هذه السنوات السبع السابقة على استقراره في دمشق لا يبعد أن يكون قد حدث لقاء بين الشيخين العظيمين ، ولعل ذلك هو الأرجح ، فإن ابن الفارض قبل رحيله إلى الحجاز لم يكن قد ألف بعد « تائيته الكبرى » التي يعتبر أن الفتوحات المكية شرح لها .

أما اغفال « ابن عربي » قصة هذا اللقاء فذلك سر من أسرار الصوفية يظهر في تصرفاتهم الغريبة في بعض الأحيان ، وقد يكون هذا الاغفال متعمداً من جانب « ابن عربي » لأن هناك من الأحاديث التي دارت بينهما ما لا يمكن الإباحة به أو الخوض فيه بين شخصين أحدهما سلطان العارفين والآخر سلطان العاشقين ، وبين العشق والمعرفة تدق الأسرار وتقوه الأفكار .

إن هذا اللقاء ممكن من غير شك ، وكل ما أمكن أن يسجل منه هو هذا الحوار القصير الذي لا يؤدي إلى هتك سر أو كشف حجاب . هذا الحوار الذي دار حول شرح التائية الكبرى وإن الفتوحات المكية خير شرح لها .

والتائية الكبرى قصيدة طويلة اسمها « نظم السلوك » وكانت ثمرة من ثمرات الوجد والغيبة والدهش وغيرها من الأحوال الصوفية التي كانت تعرض لنفس ناظمها وتعتبر ترجمة ذاتية لحياة الشاعر الروحية (٢) ، وهي بوصفها هذا يمكن أن يصمدق عليها قول

(١) ممر بن الفارض سلطان العاشقين ص ٦١ .

(٢) ممر بن الفارض سلطان العاشقين ص ٢١٢ .

ابن الفارض لابن عربي : كتابك الفتوحات المكية شرح لها ، لأن الفتوحات تتجه هذا الاتجاه وفيها بيان توضيحي لما كان يمر به الشيخ الأكبر من مراحل روحية وأذواق وجدانية .

### منزله لدى الملوك والأمراء :

ويمكن للمتتبع لحياة هذا الرجل العجيب الذي قضى حياته كلها منهكا جسمه وقواه في رحلات دائبة مستمرة ، أن يدرك مدى الأحداث الهامة في حياته التي لم تخل من حيوية دافقة وحماس علمي بالغ وانتاج خصب وفير في كل المعارف الصوفية التي قوبلت في بعض الأحيان بالانكار والمعارضة ، وقد رأينا لونا منها في أثناء مروره بالقاهرة ، والتي اشتدت فيما بعد حتى حرضت الناس على عدم مطالعة كتبه وقراءتها بل ونادت بأحراقها ، وقد أدى ذلك الى ضياع كثير من مؤلفاته التي لم يبق منها الا اقل القليل .

ولكن حياته مع ذلك كانت مباركة عامرة زاخرة بجلائل الأعمال ، وقد بلغ الشيخ الأكبر لدى الملوك والأمراء منزلة عالية ، وصل اليها بالزهد ، وقد ورد عن الصوفية هذه الحكمة الخالدة : ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس . وكان « ابن عربي » كذلك ، فقد وجد الملوك فيه نموذجا فريدا غير ما كانوا يرونه من العلماء والفقهاء ، ففي الوقت الذي يتنافس فيه هؤلاء للتقرب الى أولى الأمر وأصحاب السلطة ، طمعا فيما ينالونه منهم من مغنم مادية أو أدبية ، كان هو ينفر من ذلك ، وقد وطد نفسه على الفرار من كل قيد يقيد حريته ولو كان هذا القيد من ذهب . يضاف الى هذا عدم تحرج بعض العلماء في اكتساب المال ولو كان على حساب الدين ، في حين ان الشيخ الأكبر كان يعمل للدين حسابه ويرعى له حرمة وقداسته ، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي أفنى حياته على أساس قواعده في الوصول الى حقيقة المعرفة ؟ .

ولنضرب مثلاً على ذلك حتى لا يظن أن هذا الكلام يطلق على  
علائه : بلغ « ابن عربى » فى نفس الملك الظاهر غازى صاحب مدينة  
حلب ، منزلة عظيمة ، وأصبحت له كلمة مسموعة لديه فى الشفاعة  
لأصحاب الحاجات ، وكان الملك يقصده كثيراً فى منزله ، وقد رفع  
إليه « ابن عربى » فى مجلس واحد مائة وثمانى عشرة حاجة قضاهما  
الملك جميعها لأصحابها ، ومنها الاستشفاع لشخص كان متهما  
بتدبير مؤامرة لاغتيال الملك نفسه ، وكان من جملة بطائنه فجعاً عنه  
أكراما لشفاعة محبى الدين بن عربى فيه .

وقد غطى جلال الشيخ الأكبر على كل ما كان للعلماء والفقهاء  
من نفوذ فى بلاط ذلك السلطان وكان هؤلاء لغلبة الهوى فى نفوسهم  
« قد تركوا المحجة البيضاء وجنحوا إلى التاويلات البعيدة »  
ليحققوا ما يريده الملوك من أغراض لهم فيها هوى محاولين بذلك  
الاستناد إلى نصوص شرعية رغم أن هذه الفتاوى التى يصدرونها  
ربما لا يعتقدونها ، ولقد صرح الملك « غازى » لابن عربى : بأن  
الأمور التى تنكرونها على ما أقدمت على منكر منها — رغم علمى  
بتكرانه — إلا يفتوى فقيه وخط يده يشهد على ذلك . وقد بلغ  
من جرأة أحدهم أن أفتاه بأنه يجوز له أن يفطر فى شهر رمضان  
ويكفيه أن يصوم أى شهر فى السنة ، فليس رمضان بالذات هو  
الذى فرض على الناس صومه ، (١) .

ومن العجيب أن يتهم أمثال هؤلاء الفقهاء « ابن عربى »  
واضرا به ممن هم على الجادة بالزيغ والفساد والزندقة ، ويبرئون  
أنفسهم من هذه التهم التى هم أولى بها منهم .

وقد مر بنا كيف أن ملك « قونية » كيكائوس الأول خرج

---

(١) راجع ابن عربى ص ٧٨ وما يمدى .

بنفسه لاستقبال ابن عربي وأكرمه وبألف في أكرامه وأهداه داراً نفيسة تقدر بمائة ألف درهم<sup>(١)</sup> .

أما صاحب حمص « أسد الدين شيركوه » فقد أكرم مقدمه وأراد أن يستبقيه عنده ورتب له كل يوم مائة درهم<sup>(٢)</sup> .

أما الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل الأيوبي صاحب دمشق ، فقد كان له شرف جوار الشيخ الأكبر لفترة طويلة تقدر بحوالي ثمانية عشر عاماً ، وقد أكرم هذا الملك « ابن عربي » أكراماً كبيراً ، وكان ينظر إليه نظرة المريد إلى أستاذه ، وقد أذن له « ابن عربي » أن يروى عنه كتبه . نقل المقرئ عن الفيروزبادي : « وقفت على أجازة كتبها للملك المعظم ، فقال في آخرها : وأجزته أيضاً أن يروى عن مصنفاتي ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفا وأربعمائة مصنف »<sup>(٣)</sup> .

وقد حاول ملك « قونية » استقدامه مراراً إليه ، وكان يكتب إليه يستشيريه في كثير من الأمور ، وكان « ابن عربي » يرد عليه بما يراه صالحاً للمسلمين ، ومن ذلك مثلاً هذه الرسالة التي كتبها ووردت في الفتوحات : « عليك بمراعاة كل مسلم من حيث هو مسلم ، وساو بينهم كما سوى الإسلام بينهم في أعيانهم ، ولا تقل : هذا ذو سلطان وجاءه مال كبير وهذا صغير وفقير وحقير ، ولا تحقر صغيراً ولا كبيراً في نعمته ، واجعل الإسلام كله كالشخص الواحد ، والمسلمين كالأعضاء لذلك الشخص ، وكذلك هو الأمر فإن الإسلام ما له وجود إلا بالمسلمين كما أن

(١) نفع الطيب ج ٧ ص ١٠١ .

(٢) نفع الطيب ج ٧ ص ١٠٨ .

(٣) نفع الطيب ج ٧ ص ١٣٩ .

الاسلام ما له وجود الا باعضائه وجميع قواه الظاهرة والباطنة» (١) .

ومن هذه الرسالة يبدو مدى حرص « ابن عربى » على مصلحة المسلمين ، كما يبدو منها اخلاص النصيح للملك الذى كان يلجأ اليه مستشيرا فكان يجده دائما عند حسن ظنه . ويرد عليه بما يعينه على سياسة رعيته واصلاح شأن المسلمين .

ولم يكن « ابن عربى » يرهب الخلفاء والحكام ، لأنه كان مؤيدا بصلوة الحق ونور المعرفة بل كان الأمر بالعكس ، فقد كانوا هم الذين يرهبونه ويعملون له ألف حساب ، لشخصيته هو أولا ثم لقوة نفوذه بين أتباعه ومريديه ، وما كان « ابن عربى » من الأشخاص المغامرين الذين يفكرون فى أحداث ثورات أو اضطرابات ضد أولى الأمر ، ولكنه كان زاهدا متواضعا مطيعا ، منفذا لأمر الله فى طاعة أولياء الأمور . وهو بما أعطاه الله من بصيرة أصبح لزاما عليه أن يقوم بواجبه الدينى كاملا بما فى ذلك المشاركة فى أسداء النصيح والتوجيه الكريم لمصلحة الاسلام والمسلمين كما رأينا فى رسائله العديدة ونصائحه المختلفة للملوك .

حدث مرة فى بغداد أن كان يسيير بين طائفة من تلاميذه ، ومر عليهم الخليفة فى موكبه ، فأمر « ابن عربى » أتباعه ألا يبدعوا بتحية الخليفة جريا على العادة التى كانت متبعة ، فانصاعوا لأمره ، حتى حاذاهم الخليفة فبداهم هو بالسلام فردوا عليه .

وابن عربى لم يكن يريد من ذلك الانتقاص من قدر الخليفة ، ولكنه أراد أن يعيد الى المسلمين تقليدا شرعيا فى التحية تناساه الناس امام جبروت الخلفاء . ذلك التقليد هو أن يبدأ الصغير الكبير ، والراكب الماشى ، والماشى الجالس بالتحية ، وقد كان

---

(١) ابن عربى ص ٧٤ .

الخليفة ممطليا صهوة جواده وهم راجلون ، فيجب على الخليفة أن يكون هو الياديء بالتحية بناء على هذا الأدب العالي الذي وضعه الاسلام .

على أن هذه المنزلة التي لقيها « ابن عربي » في المشرق لدى الخلفاء ، كان يقايلها بعض التحفظ من ملوك المغرب ، ويمكن تحليل ذلك بأن السلطة في ذلك الوقت كانت في يد الموحدين ، وكانوا يصدد تكوين دولتهم في الأندلس وتوطيدها في أفريقيا ، ومنشئو الدول عادة يقفون من كل من يظن له نفوذ موقف التحفظ ، لا سيما وهم يدركون أن للدين سطوته ورمبته ، وأن التصوف بخاصة يحمل أصحابه على التضحية والفداء ، وهم لا يريدون إثارة الحمية الصوفية في النفوس ، حتى لا تتحول مع الزمن الى ثورة عاتية ربما تقضى عليهم وتبديد دولتهم . هذا سبب . وسبب آخر هو أن سلطة الفقهاء في ذلك الوقت كان لها تأثير مضاد ضد الصوفية ، وهم ما زالوا يحملون لواء الخصومة للتصوف وأنصاره ، وقد استطاعوا بتأثيرهم أن يوغروا صدر السلطان ضد شيخ من شيوخ التصوف هو « أبو مدين » وقد أراد ابن عربي أن يزيل ما الصق بهذا الشيخ المجاهد من اتهامات زينها له الفقهاء فدارت بينه وبين السلطان « يعقوب المنصور » مناقشة في شأنه انتهت على غير ما كان يرجو « ابن عربي » فخرج غاضبا من عنده .

على أن ما فقده الشيخ الأكبر من منزلة لدى هؤلاء لم يكن له أدنى تأثير في نفسه ، وقد عوضه الله عن ذلك بما هو أعز وأرفع لدى جميع ملوك أهل المشرق . حتى إذا ما قضى وجد هؤلاء الملوك أنفسهم ملزمين بأن يتابعوا وأجيبهم تحره ، فأولوا مدقنه

عناية فائقة ، وتعهد بذلك الخلفاء المتعاقبون على دمشق وبخاصة العثمانيون الذين جددوا هذا المزار مرارا . وكان لهم في الشيخ الأكبر اعتقاد خاص . يذكر الشعرائي سببه وهو تنبؤه بسلطان العثمانيين<sup>(١)</sup> . وقد أجريت عليه الأوقاف وأصبح مزارا مشهورا يقصده الناس من كل مكان . وبنى عليه السلطان سليم خان مدرسة عظيمة<sup>(٢)</sup> .

---

(١) طبقات الشعرائي ج ١ ص ١٦٣ .

(٢) نفع الطيب ج ٧ ص ١٤٩ .



## أخلاقه

أفنى الشيخ الأكبر حياته في الطريق الصوفي حتى وصل إلى غايته ، ومبنى الطريق الصوفي قائم على الأخلاق ، ولعناية التصوف بها جعلها أساسا ووسيلة وغاية ، والصوفية يحكمون على مراتب بعضهم بما يرونه من أخلاق ، لذلك يقولون : كل من زاد عليك في خلقه زاد عليك في تصوفه . ويضعون للتصوف تعريفات مختلفة لا تخرج في مجموعها عن التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل .

والشيخ الأكبر رائد عظيم من رواد هذا الطريق الذي نظر إليه المتصوفة وغيرهم نظرة الكبار وأعظام ، وغنى عن القول بأن هذه المنزلة وصل إليها بما كان عليه من استقامة على الجادة وصدق في الطلب وورع كامل بلغ إلى حد لا يمكن أن يصل إليه إلا من ندر وأخلاق كريمة حبيت فيه الخاص والعام .

وقد كان لنشأته الأولى في أسرة صالحة نقية إلى جانب أرومته النقية إلى جانب مصاحبته كل من صاحبه التوفيق أثر كبير في تلك النفحات العطرة الكريمة التي تضويع بها هذه الشخصية المحببة .

والشيخ الأكبر حقيق بهذا الوصف الذى وصفه به  
« ابن مسدى » أنه كان جميل الجملة والتفصيل . ولكن هناك  
مناقب بارزة فى حياته جديرة بالوقوف عندها قليلا .

فمن ذلك زهده الشديد الذى كان مضرب الأمثال ، ذلك  
الزهد الذى رفعه فى أعين الناس . والزهد عند الصوفية منازل  
ودرجات . أعلاها الزهد فيما سوى الله . وقد كان زهد الشيخ  
الأكبر من هذا النوع الذى جعله يهجر كل نعمة ويترك كل راحة ،  
ويحقر كل لذة . ويضحي بكل غال فى سبيل الظفر بأمنيته .

ولقد توفر المال بين يديه فما أمسك منه شيئا ، ورغب  
الملوك والسلاطين فى أن يؤمنوا له حياته ويوفروا له كل أسباب  
الراحة والنعمة ، ولكنه رغب عن كل ذلك ، وأطلق نفسه من كل  
أسر ، وانطلق يحلق فى الأجواء .

ومرت عليه فترة من حياته زهد فيها معايشرة زوجته عملا  
بنصيحة شيخه « المغاورى » التى سمعها من أحد تلاميذه والتى  
ينهى فيها عن معايشرة النساء . ولم يقبل عليها بعد ذلك إلا امتثالا  
لسنة النبى صلى الله عليه وسلم فى أمره بإعطاء المرأة حقها من  
المعايشرة الحسنة . فهو يقول : « كنت من أكره خلق الله تعالى فى  
النساء فى أول دخولى الى هذا الطريق وبقيت على ذلك نحو من  
ثمانى عشرة سنة الى أن شهدت هذا المقام ، وكان تقدم عندي خوف  
المقت لذلك » ويقصد بالمقام مقام امتثاله لسنة النبى صلى الله  
عليه وسلم ودعوته الى الزواج ومعايشرة الزوجة . وخاف على  
نفسه المقت لأنه خالف سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك .  
والزهد رأس الفضائل لا سيما إذ كان عن قدرة .

ومن صفات « ابن عربى » الجديرة بالتسجيل كرمه الذى  
كان مضرب الأمثال ، وهو كرم متوارث من أسرته الطائفة المشهورة  
زكاه دينه وورعه وخلقه وتصوفه . والتصوف لا يعقت شيئا كما

يمقت البخل ، فانه لم يحب في شيء بعد الايمان كتحييه في الاتفاق والبذل ، ولم ينفر بعد الشرك كما نفر من البخل والشح لأنهما من اسباب سوء الخلق .

وكرم « ابن عربى » ارتفع الى درجة الايثار ، وهو ارفع منازل الجود ، « امر له ملك الروم في ( قونية ) مرة بدار تساوى مائة الف درهم قلما تزلها واقام بها ، من به في بعض الايام سائل ، فقال له : شيء لله ، فقال : مالى غير هذه الدار ، خذها لك ، فتسلمها السائل وصارت له » (١) .

وكان ينفق عطاءه اليومي جميعه على الفقراء والمساكين وكان كثيرا قدر بمائة وثلاثين درهما .

ولقد أدرك « ابن عربى » المعنى الصوفى للمصدقة ، فانها ليست مجرد اعطاء للفقير ، ولكن لها معنى أبعد من ذلك ، تعلمه من شيخه « يوسف الأسستجى » الذى يروى عنه هذه القصة : « وقفت انا وعبد صالح معى يقال له : يوسف الأسستجى على سائل يقول : من يعطى شيئا لوجه الله ، ففتح الرجل صرة دراهم كانت معه ، وجعل ينتقى له من بين الدراهم قطعة صغيرة يدفعها للسائل ، فوجد ثمن درهم ، فأعطاه اياه ، وهذا العبد ينظر اليه فقال لى : يا فلان ، تدرى على ما يفتش المعطى ؟ قلت : لا ، قال : على قدره عند الله . لأنه أعطى السائل لوجه الله ، فعلى قدر ما أعطى لوجهه ذلك قيمته عند ربه » (٢) .

ويصل الكرم باين عربى الى درجة التصديق بثواب ما يعمن من طاعة ، رغبة في جزاء السيئة بالحسنة ، وهذا منتهى المروءة ، فان مقابلة الاخسان بالاخسان امر طبيعى اما مقابلة الاسماء بالاخسان فذلك امر لا يكون الا من سوايق الهمم ، ولا ينل الا على عظم اتساع القلب والارتفاع فوق مستوى البشرية .

(١) فتح الطيب ج ٧ ص ١٠١ .

(٢) ابن عربى ص ٢٦ .

جاء في نفع الطيب : « قال الشيخ محيي الدين ٠٠ : أنه بلغني في مكة عن امرأة من أهل بغداد أنها تكلمت في أمور عظيمة ، فقلت : هذه قد جعلها الله سبيبا لخير وصل الى فلانكا فثنتها ، وعقدت في نفسي أن أجعل جميع ما اعتمرت في رجب لها وعنها ، ففعلت ذلك ، فلما كان الموسم استدل على رجل غريب ، فسأله الجماعة عن قصده فقال : رأيت « بالينع » في الليلة التي بت فيها كأن الأفا من الابل أوقارها المسك والعنبر والجوهر ، فمجبت من كثرت ثم سألت : لمن هو ؟ فقل : هو أحمد بن عربي يهديه الى فلانة - وسمى تلك المرأة - ثم قال : وهذا بعض ماتستحق . »

« قال سيدي ابن عربي : فلما سمعت هذه الرؤيا واسم تلك المرأة - ولم يكن أحد من خلق الله تعالى علم متى ذلك - علمت أنه تعسيف من جانب الحق ، وفهمت من قوله : أن هذا بعض ما تستحق أنها مكذوب عليها ، فقصدت المرأة ، وقلت : اصدقيني ، وذكر ما كان من ذلك ، فقالت : كنت قاعدة قبالة البيت وأنت تطوف ، فشكرت الجماعة الذين كنت فيهم ، فقلت في نفسي : اللهم اني أشهدك اني قد وهبت له ثواب ما أعمله في يوم الاثنين وفي يوم الخميس وكنت أصومهما وأتصدق فيهما ، قال : فعلت أن الذي وصل مني اليها بعض ما تستحق فأنها سبقت بالجميل والفضل للمتقدم » (١) . »

فهذه القصة تفهمنا مسارعة ابن عربي الى اهداء ثواب أعماله الى امرأة سبق الى ظنه - بناء على ما أبلغه - أنها أساءت اليه ، فأراد أن يكافئها على ذلك ، ولور كان ما يهديه اليها شيئا ماديا لكان جديرا بالفضل ، فما بالك حين تعلم أن الهدية ثواب طاعة وهو أحرص ما يكون الانسان عليه ؟ فلن يدل ذلك الا على نهاية المروءة

(١) نفع الطيب ج ٧ ص ١٢٧ .

والكرم والايثار يقول المقرئ : « وحصلت له بدمشق دنيا كثيرة  
فما ادخر منها شيئا ، وقيل ان صاحب حمص رتب له كل يوم  
مائة درهم وابن الزكي كل يوم ثلاثين درهما فكان يتصدق  
بالجميع » (١) .

والقصة المتقدمة تسلمنا الى فهم آخر في اخلاق « ابن عربي »  
هو الاحسان الى من اساء والعفو الجميل الصادر عن قلب صاف  
خال من اى ذرة من ذرات الحقد أو الغل أو الكراهية . وهذا أوفى  
درجات الحلم .

وقد وطن الشيخ نفسه منذ ان نذرهما للطريق الصوفي ان يكون  
مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، محتملا للأذى ومعينا للاخوان ، وتلك  
ثمرة من ثمار هذا الطريق وتوجيهات ائمة التصوف ، ولن يكون  
الصوفي صوفيا الا اذا كان ذا قلب واسع يملؤه الصفيح وتنيره  
الرحمة ، والصوفي في ذلك ينظر الى نبيه الكريم الذى وصفه الله  
عز وجل بهذه الصفات العالية « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم  
بالمؤمنين رؤوف رحيم » (٢) « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (٣)  
ويحدث هو عن نفسه قائلا : « انما انا رحمة مهداة » .

جاء في شذرات الذهب : « مما وقع له ان رجلا من دمشق  
فرض على نفسه ان يلعبه كل يوم عشر مرات ، فمات ، وحضر  
ابن عربي جنازته ثم رجع وجلس في بيته وتوجه للقبلة . فلما جاء  
وقت الغداء أحضر اليه قلم يأكل ، ولم يزل على حاله الى بعد  
العشاء ، فالتفت مسرورا ، وطلب العشاء واكل ، ف قيل له في ذلك .  
فقال : التزمت مع الله انى لا اكل ولا اشرب حتى يغفر لهذا الذى

---

(١) نفع الطيب ج ٧ ص ١٠٨ .

(٢) التوبة ١٢٨ .

(٣) الانبياء ١٠٧ .

يلعننى ، وذكرت له سبعين ألف لا اله الا الله ففقر له « (١) ثم يقول ابن العماد : « وقد أوردني الشيخ كثيرا في حياته وبعد مماته مما لم يقع نظيره لغيره ، وقد أخبر هو عن نفسه بذلك ، وذلك من غرر كراماته » وقد سبق الإشارة الى ذلك الاخبار وتعقيبه عليه بقوله : « فعلمت أنه لا بد أن يبتلي الله بكلام في عرضي من قوم قاعاملهم بالجلم » (١) .

هذا وشخصية الشيخ الأكبر صفحة مشرقة بكل ما يملأ النفوس اجلالا واعظاما ، وفي كل ناحية من نواحي العظمة الخلقية تجد له قدما راسخة واثرا مشهودا ، مما يطول بيانه ويعجز للوفاء به ، وقد صدق ابن العماد في قوله : « من تأمل سيرة ابن عربي وأخلاقه الحسنة وأنسلاخه عن حظوظ نفسه وترك العصبية حمل ذلك على محبته واعتقاده » (٢) .

ومن اقوال ابن عربي الماثورة التي تدل على سعة قلبه وجميل عفوه : « شرط الكامل الاحسان الى أعدائه وهم لا يشعرون تخلقا بأخلاق الله ، فانه دائم الاحسان الى من سماهم أعداءه مع جهل الأعداء به » (٣) .

و « ابن عربي » رغم الكرامات التي كانت تحدث على يديه ، فانه لم يكن يعبا بذلك أو يعلق عليه أهمية تذكر ، وهذا يضيف الى أخلاقه صفة أخرى ، هي صفة التسامى الى أعلى مدى يمكن أن تصل اليه روح ، وكثيرا ما كان ينصح أتباعه ومريديه ألا يتطلعوا الى شيء من هذه الخوارق أو الكرامات ، لأنها كثيرا ماتقف عقبة في طريق وصول المريد الى الكمال ، فان حدث شيء من ذلك عفوا

(١) شلرات الذهب ج ٥ ص ١٩٢ .

(٢) . (٣) الرجوع السابق ص ١٩٧ .

فعليه أيضا الا يلتفت اليه بل عليه ان يستغفر منه لأنه امتحان في  
قالب اكرام .

والكرامة الحقيقية في نظر « ابن عربي » وأمثاله هي الاستقامة  
على الجادة ، والمضي قدما الى الامام دون الالتفات الى أى عارض  
يعترض الطريق ، ومن نصائحه في ذلك : « لا تطلب من الله في  
خلوتك سواء ، ولا تعلق الهمة بغيره ، ولو عرض عليك كل ما في  
الكون فخذ به بآدب ولا تقف عنده ، وصمم على طلبك فانه يبتليك ،  
ومهما وقفت مع شيء فاتك ، وإذا حصلته لم يفكك شيء » وقد  
عبر عن هذا المعنى صوفي آخر من تلاميذ الشاذلي هو ابن عطاء الله  
المسكندي في حكمة من حكمه الرائعة بقوله : « ما أرادت همة  
سالك أن تقف عندما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة : الذي  
تطلب أمامك ، ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادته حقائقها : انما  
نحن فتنة فلا تكفر » (١) .

---

(١) شرح الرندي على حكم ابن عطاء الله السكندي .





## ابن عربى الأديب

**بيئة الأندلس والأديب :** سبق الإشارة الى طبيعة الأندلس الجميلة المحببة الى النفوس فقد أحاطت بها المياه من أعظم جوانبها ، وتمتعت بتربة خصبة صالحة لما نما فيها من أشجار باسقة وأزهار متفتحة وثمار يانعة ، وتعددت فيها الأنهار التى من أهمها النهر الكبير ونهر تاجة ، وذلك الى جانب ما يوجد فيها من جبال متدرجة تثمر على سفوحها مختلف الزروع وشتى الثمار ، وقد تغنى كثير من الشعراء والأدباء بمفاتن الأندلس ووصفوا جمالها الأخاذ الساحر ، وتفننوا فى عرض هذه الصور فى منظومات رفيقة وتعبيرات أنيقة .

وقد كانت هذه البيئة مهدا صالحا لإخراج مئات الشعراء والأدباء الذين صقلت مواهبهم تلك المناظر الفاتنة وأبرزت استعداداتهم هذه المشاهدات البارة :

**استعداد ابن عربى :** وكان هذا كفيلا بتهيئة الفرصة لظهور موهبة كموهبة « ابن عربى » الذى هيأته أرومته العربية الأصيلة الشاعرة فزودته بالاحساس المرفه والانفعال الصادق ، والتجاوب مع كل ما يقع تحت سمعه وبصره من فن مطبوع ومصنوع .

والتقى ابن عربي في صباه بطائفة من العلماء الأجلاء «الفنانيين»  
الذين يحيون الأدب ويتذوقونه ويقولونه . فاستأذه في القراءات  
« أبو القاسم الششراط » كان بصيرا باللغة وأدائها وله حظ من  
قرض الشعر . واستأذه « أبو محمد عبد الحق الأشبيلي » كان  
أديبا شاعرا ومن شعره :

ان في الموت والمعناد لشقلا  
لأولى الدين والنهى وبلاغ  
فاغتتم خطتين قبل المتايا  
صحة الجسم يا أخى والقراغا

وغيرهما من أساتذته كان له ذلك الحظ من الأدب ، وشيوخه  
في التصوف كان أغلبهم أدباء فنانيين لهم الباع الطويل في فنون  
النظم والنثر ، ومن بينهم « المارقلى وأبو مدين » وكلاهما له أدب  
جيد رفيع .

كل ذلك كان له أثره في صقل موهبته الأدبية وإثراء استعداده  
الفنى مما جعله شاعرا مجيدا . يضاف إلى ذلك أقباله على قراءة  
كثير من كتب الأدب ونقده والإنتفاع بها انتفاعا كبيرا ، وهو يحدث  
في مقدمة كتابه « محاضرة الأبرار » عن كثير من الكتب التى قرأها ،  
ومن بينها في فن الأدب الكتب الآتية : الأمانى لأبى المعالى البغدادى  
نزيل قرطبة ، وكتاب ريجانة العاشق لأبى القاسم المسور ، وكتاب  
روضة الأنس لأبى زيد السهيلي ، وكتاب الكامل للمبرد ، وزهرة  
الأدب للحضري ، والمحاسن والأضداد الجاحظ ، ومعاناة العقل  
للحلوى ، والحماسة لأبى تمام ، والحماسة الطوية وغيرها .

وهذا الاستعداد هو الذى كفل له أن يتولى كتابة الانشاء في  
ديوان « أشبيلية » ولا يتولى هذا المنصب إلا من كانت لديه  
الموهبة لذلك .

وقد كان ابن عربي منذ نشأته ميالا الى الأدب ، وكان يشارك في مجالسه وله دراية كاملة بفن القول يشهد لذلك كثرة ما اثر عنه من انتاج أدبي رائع في فن النظم والنثر .

اعجابه بالشعر الجيد ومشاركته في مجالس الأدب : ولقد كان يعجبه بيت من الشعر فينظم على منواله ، من ذلك مثلا ما يرويهِ الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل : أنشد بعض الصوفية ابن عربي بيتا مفردا فاعجب به ، فعمل أبياتا وضمناها هذا البيت وهو الرابع من القطعة الآتية :

قف بالطلول الدارسات بلالع  
والدب احببتا بذاك البلقع  
قف بالديار وناجها متعجبا  
منها بحسن تطف وتفجع  
عهدي بمثلك عند بانك قاطعا  
ثمر الخدود وورد روض ايتع  
« كل الذي يرجو نوالك امطروا  
ما كان برقك خليسا الا معي »  
قالت : نعم قد كان ذاك الملقى  
في قل القناني بذاك الموضع (١)

« وابن عربي » يتمتع بملكة نقد صافية تعينه على تمييز الجيد من الكلام ، وكتابه محاضرة الأبرار خير نموذج لذلك نقطف من زهراته ما يأتي :

يقول ابن عربي : مما جاء في الجود قول الشاعر :

---

(١) مجلة ميرالاسلام عندربيع الأول - ١٣٨٦ هـ .

فتى عاهد الرحمن فى يذل ماله  
فلسبت تراه الدهر الا على العهد  
فتى قصرت اماله عن فعاله  
وليس على الحر الكريم سوى الجهد

ويعلق على ذلك بقوله : هذا المديح اقرب للديانة من الكرم .  
فان عطاءه انما هو من اجل الوفاء بعهده مع الله ، حتى لا يكون  
من الذين ينقضون عهد الله ، والكريم سجيته الكرم ، فلا يحتاج الى  
القسم عليه الا لعله نفسه ، فما وفى هذا الشاعر مدح هذا فى الكرم  
ما تصور له فى خاطره . فهذا اللفظ دون ما فى القصد .

ومن جيد الشعر ما قال القائل :  
لئن ساءنى ان نلتنى ياساءة  
لقد سررنى انى خطرت ببالكا  
ويعلق : واحسن منه لو قال ما قلنا :  
لئن سررنى ان نلتنى بمساءة  
فما كان الا ان خطرت ببالكا  
لان الاول قد اقر بانه اساء ثم اعتذر .

ومن احسن الشعر ما قال الآخر فى باب الشكوى :  
فالليل ان وصلت كالليل ان هجرت  
اشكو من الطول ما اشكو من القصر  
ويعلق : احسن منه ما قلنا :  
شغلى بها وصلت بالليل او هجرت  
فما ابالى اطال الليل ام قصرا .

فإن الأول شغله بطول الليل وقصره من أجلها • فهو فاقد لها  
في زمن الاشتغال بغيرها والثاني شغله بها ومن سواها تبع (١) •  
وهذا الكتاب غاص بمثل ذلك وغيره من ألوان القطوف •

ومن أمثلة مشاركته في مجالس الأدب ما يحكيه المقرئ نقلا عن  
العماد بن النحاس : « أنه كان في سفح جبل قاسيون على مستشرف ،  
وعنده الشيخ محيي الدين والفيت والسحاب عليهم ، ودمشق ليس  
عليها شيء ، قال فقلت للشيخ : أما ترى هذه الحال ؟ فقال : كنت  
يمراكش وعندى ابن خروف الشاعر يعنى أبا الحسن على بن محمد  
القرطبي القيذاق ، وقد اتفق الحال مثل هذه ، فقلت له مثل هذه  
المقالة ، فأنشدني :

يطوف السحاب يـمـراكـش

طواف الحجيج بيت الحـرم

يروم نزولا فلا يستطيع

لسفك الدماء وهتك الحرم (٢)

مأثوراته الأدبية :

ومأثورات « ابن عربي » الأدبية كثيرة ، في مقدمتها دواوين  
شعره ، ويذكر منها « بروكلمان » الديوان الأكبر - وديوان  
الأشواق وله اسم آخر هو « الهجاء الأمجد على ترتيب حروف  
الأبجد ) وديوان المرتجلات ، والقصيدة الثائية ، وقصيدة في  
المناسك ، وترجمان الأشواق وشرحه عليه السمي : بذخائر الأعلام  
في شرح ترجمان الأشواق ، وغير ذلك من الكتب • ومن عيون

(١) محاضرة الأبرار ج ٢ ص ٤٤ •

(٢) نقح الطيب ج ٧ ص ١٠٦ •

اثاره الأدبية كتاب محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ، وهو كتاب نفيس جمع « ضروباً من الآداب وقنونا من المواعظ والأمثال والحكايات النادرة ، والأخبار السائرة ، وسير الأولين من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، والأمم وأخبار ملوك العرب والعجم ومكارم الأخلاق » (١) وفيه يقول : محاضرة الأبرار خير كتاب ، لب اللباب ونزهة الألباب .

نماذج من شعره : وشعر « ابن عربى » يدور أغلبه حول المعانى الصوفية ، وأن كان بعض ما فيه من قصائد تدور حول التواخى الاجتماعية كهذين البيتين اللذين وردا فى أجابة سؤال سأل به بعض أصحابه له : كيف حالك مع أهلك ؟ فأجاب :

إذا رأى أهل بيتى الكيس ممثلاً

تبسمت ودنت منى تمازجنى

وإن رآته خليفاً من دراهمه

تكروهت وانثنت غنى تقابختنى

وهى قضية اجتماعية نراها سائدة فى مختلف المجتمعات فقد أجابه السائل : كلنا ذلك الرجل .

وبالرغم من زهد « ابن عربى » إلا أنه رأى حب المال سائداً كما رأى أثره فى مختلف مناحى الحياة بل هو عصبها ، ولكن يجب ألا يكون شاغلاً عن الله فهو ينصح بأن يكون الانسان غنيا بالله لا بالمال : -

بالمال يتقاد كل صعب من عالم الأرض والسماء

يحسب به عالم حجاباً لم يعرفوا لذة العطاء

(١) محاضرة الأبرار ( القلمة ) .

لولا الذى فى النفوس منه      لم يجب الله فى الدعاء  
لا تحسب المال ما تراه      من عسجد مشرق الضياء  
بل هبوا ما كتب يا بنى      به غنيا عن السواء  
فكن يرب العباد غنيا      وعامل الخلق بالوفاء

ومن القضايا الاجتماعية البارزة فى كل عصر هى أن يتولى  
بعض الأمور من ليس أهلا لها ، وأن يرتفع الحقيير ويتضع العظيم ،  
ومذه سنة الكون : -

قد ثاب غلماننا علينا      فما لنا فى الوجود قدر  
اذنابتنا صيرت رعوسا      ما لى على ماأراه صبر  
هذا هو الدهر يا خليلي      فمن يقاسيه فهو قهر  
وله فى الفخر قصائد مر علينا طرف منها •

وابن عربى كشاعر مطبوع نشأ فى بيئة الأندلس المزهرة  
لا ينسى الاعجاب بالطبيعة ، وما أنشد فيها من شعر كما يصوغ  
من ذلك • فمما أعجب وضيعته كتابه محاضرة الأبرار ، قول  
أبى على ابن شبل فى وصف الربيع : -

عراس الأرض تجلى فى غلاتها  
وفى حلى عليها صاغها الليم  
تستن فى حل الأنواء مذهب  
فى كل حاشية من نسجها علم  
سر من الإقصوان الغض زينه  
حمر البواقيت فى المنتور ينتظم  
كأنما بالسمااء الأرض شامته  
تكنى السمااء وثغر الأرض ييقسم

وأما قول ابن عريى فهو :

أما ترى الروضة الغناء تضحك إذ  
جاءت على الأرض بالأزهار أنواء  
تبسم الأرض إذ تبكى السماء فهل  
يبين السماء وبين الأرض شحناء  
لا والذي يضروب الزهر اضحكها  
ما ثم شحناء لكن ثم أشياء  
إن السماء تقول الزهر من زهرى  
والأرض تأبى الذى قالته والماء  
وابن عريى زاد على ابن شبل جمال التعليل \*

المعاني الصوفية فى شعره :

ولكنه فى شعره شغل بالتصوف كما شغل به فى غيره من  
الكتب ، ولذلك حفل إنتاجه بهذه المعانى التى دارت حول الشوق  
والمحبة والأنس والفناء والبقاء وفنون المعرفة التى كشف له عنها  
أو تذوقها ، وغير ذلك من المصطلحات التى حفلت بها كتب  
التصوف \*

وقد نحا فى شعره منحى الرمز كغيره من الصوفية لأنه ضمن  
بأسراره أن تنتهك ، وتلك عادة الصوفية فى التعبير عن أدواقهم .  
ومن هذا اللون الرمضى قوله فى محاضرة الأبرار : -

طلع اليدر فى دجا الشعر	وسقى الورد نرجس الخفر
غادة تاهت الحسان بها	وزها نورها على القمر
هى أسنى من المهة سنا	صورة لا تقاس بالصور
فلك النور دون أضمصها	تاجها خارج عن الأكر



ان سوت في الضمير يجرحها      ذلك الوهم كيف بالبصر ؟  
 لعبية ذكرنا يذوبها      لطف من مسارح القطر .  
 ومن ذلك قوله في ترجمان الانشواق :

غادروني بالاثيل والنقا	اسكب الدمع واشكو الحرقا
يايى من ذبت فيه كمدا	يايى من مت منه فرقا
حمرة الخجلة في وجنته	وضح الصبح يناغى الشفقا
قوض الصبر فطلب الاسى	وانا ما بين هذين لقي
من لبثى من لوجدى دلتى	من لحزتى من لصب عشقا ؟
كلما ضنت تياريح الهوى	فضح الدمع الهوى والارقا
فاذا قلت : هبوا لى نظرة	قيل : ما تمنع الا شفقا
ما عسى تغنيك منهم نظرة	بى الا لمسح برق برق
لست اتسى اذ حدا الحادى بهم	يطلب البين ويبغى الأبرقا
نعقت اغربة البين بهم	لا رعى الله غرابا نعقا
ما غراب البين الا جمل	سار بالأحباب نصا عنقا

ولا ينكر منكر رقة هذه الأبيات وعذوبتها ولطف معانيها ، ولو أنها انصرفت الى القول الحسى لصورت كل ما يمكن تصويره من ألم البعد والفراق الى جانب التحسر على جمال المحبوب الذى اضطبغت وجنته بحمرة الخجل ، ويود لو يفديه بروحه وبأبيه ، الى غير ذلك من معانى الحب وإفغاعيله في الأرواح والقلوب ، ولقد عرض ذلك في صور تغذيتها العاطفة ويقويها الخيال ، فهو قد ذاب من ألم الفراق ، وهو قد صور الصبر خيمة قوضت ، وصور الأسى مقيما ، وجعل الدمع فاضحا هواء ، ونظرة المحبوب

ما هي الا برق يبرق ، وحمرة السجل في الوجنة البيضاء ما هي  
الا اجتماع الشفق ببياض الصبح .

ولكنها منصرفة الى المعاني الروحية التي يوضحها الأستاذ  
عبد العزيز سيد الأهل بقوله :

« وابن عربي يشير الى الروحانيات بالمفادين والمسافرين ،  
وحزنه وكمدته ودمعه وخوفه كل ذلك من مفارقة الروحانيات  
اللطيفة لجسده الثقيل ، وتركها له مرتها بهيكله مقيدا فيه ،  
وهو يستغيث بالروح الكلى ليظل قلبه متصلا بالتنزلات الالهية  
التي تبعته وتحببه والاشارة بمعالم الجمال الى التجلى على القلب  
ووقوع الاستحياء فيه من هيبة التجلى ، وليس الصبر والأسى  
الا لفحات من الشوق تصيب القلب فلا يحتملها الا بما يعين ،  
وهو كلما حاول القيام في مقام الكتمان ألجاء الشوق الى البوح  
والاعلان ، واذا لم ينطق به لسانه نطقت جفونه ، واذا تمنى نظرة  
منع منها . وهو يحسب أنه منع قهرا ، ولكنه اشفاق به ، واذا  
أرغيت الحجب بين السبحات وبين الخلق فرحمة بهم واشفاقا  
عليهم ، ولو رفعت هذه الحجب ، وكشفت هذه الستور لاحت  
سبحات وجهه » .

« والنظرة الواحدة لو تمكن الانسان منها مطغية تثير النفس  
الى نظرة أخرى بعدها ، ومثلها في فعلها بالقلب مثل فعل ماء  
البحر بالظمان كلما شرب ازداد عطشا . ولم يتس الصلوات  
الروحانيات التي جالسته في الله تعالى ثم عرجت اليه شاهدة  
بفعله وجهه ودأبه في العبادة والطاعة ، وكان عروجه الى الأبرق  
اشارة الى المشهود الذاتي ، واما الاشارة بالبرق فالتور الذي  
ينسكب خاطفا ثم يسرع زائلا عن الحضرة والمكان .

« والتكنية بالأغربة عن الأمور التي خلفته عن العروج مع هذه الروحانيات وتركته مقيما في حبس الجسد لا يسمو الى مقام العبودية التي هي غاية السمو والارتقاء ، وليست مراكب هذا السمو الا الهمم التي أعدت للوصول ، فمن بذلها وركب نجائبها سارت به الى المكانة التي تنعدم فيها الأسماء وتضمحل الرسوم وتفيض النعم والتجليات من الحى القيوم » (١) .

ولقد دعا ابن عربى السامعين والقارئین الا يقفوا عند حدود ظاهر الألفاظ بل عليهم أن يتعمقوا في فهم معيها وأسرارها حتى يدركوا ما فيها من جمال وأذواق وهو يقول في ذلك : -

كل ما أنكره مما جرى      ذكره أو مثله أن تفهمها  
منه أسرار وأنوار جلت      أو علت جاء بها رب السما  
قاصرف الخاطر عن ظاهرها      وأطلب الباطن حتى تعلمها .

ولقد صاغ ابن عربى في مختلف معانى الحب ، فمن ذلك قوله في النصوص : -

سيرنى حبك معقولا      بحكمه وكنت محسوسا  
لطفك حتى لا يرانى الهوى      قلم يجد عندي تعريسا (٢)

ومن قوله في اتحاد المحب في الهوى وهو من المعانى الدقيقة : -  
ان الهوى ما انا للحب حاملة

والحكم للحب في الأشخاص ليس لنا

مثل الصافات لدى قوم أشاعرة

فلا الهوى هو غيرى لا ولا هو انا

---

(١) منبر الاسلام منذ جمادى الآخرة ١٢٨٦ هـ .

(٢) محاضرة الأبرار ج ٢ ص ١٥٠ .

ان الهوى وأنا بالعين متحد  
 فان أمت فيه وجدا أو اعش فينا  
 لولا الجمال الذى بالحس كلفنا  
 لم يهلك الوجد قلب الصب والبدا  
 ان « النظام » لتدري ما أفوه به  
 وقد أشسرت اليها حوة : بمعنى «<sup>(١)</sup>»  
 وله في معنى معاتبة القلب والبصر .  
 تقول عيني لقلبي : ان فكره قد  
 رمى الجفون يدمع الوجد والسهل  
 فقال قلبي لطرفي : لا تقول كذا  
 بل انت عرضتني للفكر بالنظر  
 لولا الجمال الذى اقلت نواظركم  
 هواه في خلسي لم تبسل بالفكر  
 فاعتب للقلب جوده من معاتبة  
 وانما العتب في التحقيق للبصير  
 وها انا حكم بالعدل بينهما  
 لعلمنا بالذى فيه من الخير «<sup>(١)</sup>»  
 ولابن عربي قريحة شعرية تعينه على الارتجال ، فقد حدثوا انه  
 قال مرة هذا البيت : -  
 يا من يــــراني ولا اراه  
 كم ذا اراه ولا يــــراني

(١) محاضرات الأبرار ج ٢ ص ١٥٠ .

فأنكر عليه أحد تلامذته ذلك وقال له : كيف تقول : إنك قراء  
ولا يراك ؟ فأنشد على الفور مرتجلا :

يا من يراني مجرما      ولا أراه أخذا  
كم ذا أراه منعمًا      ولا يــــراني لائذا •  
شعره في التصوف العملي : -

وقد نظم « ابن عربي » في جميع فنون التصوف ، ومن  
بين ذلك ما نظمه في الدعوة إلى الأخلاق والزهد وإيثار الآخرة على  
الأولى والتشوق إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أمثلة ذلك  
قوله يرغب في فعل الخير : -

لا تقدمن على خير تجود به  
وان أغاظك من تعطييه واقترفا  
فانه يرزق من يعطييه نعمته  
سواء أنكرها كفرا أو اعترفا  
ويدعو إلى الاخلاص في العمل والبعد عن الرياء قائلا : -

ان كنت لي أكــــون لك      ما أتت لي ما أتاك  
فاصغ إلى قولي تجــــد      صيحة ما قد قلت لك  
ولتلتزم طــــريقتي      واجهد وخلص نفسك  
تسل بما جئت به      من كل خــــبير أمك

وكتب إلى صاحب له ببلاد الروم اسمه « اسحاق بن محمد  
من أصحاب السلطان ممن تخدمه الدولة وتظهر به السنة : -

اسحاق فاسمع لوعظ من أخى ثقة  
ولا يفرك تقريب السلاطين

ابن الملوك قد استغنوا بملكهم  
 عنا وعمنا بأيديهم من الدين  
 فاستغن بالله عن ملك الملوك وعن  
 سؤال من هو مسكين ابن مسكين  
 قاله يكفيك يا عيني ويا وادي  
 شر الملوك وأشرار الشياطين  
 ومن شعره الذي يدل على التأمل والنظرة الصائبة قوله عن  
 الموت : -

شباب قوداي وشباب الأمل  
 ومضى العمر وجاء الأجل  
 عسكر الموت لنا منتظر  
 فإذا سورتنا اليهم رحلوا  
 ليت شعري ليت شعري هل نروا  
 أننى يعيدهم منتقل ؟  
 في فتون اللهو أفنى طريا  
 غافلا عما له انتقل

وله في معنى المحاسبة وإضافة الأعمال الى الله تعالى ،  
 إذ لا فاعل الا هو ورد في محاضرة الأبرار :

وتحاسبهم بما فعلوا	وما فعلوا الذى فعلوا
وتطلبهم بما عملوا	وأنت خلقت ما عملوا
فهل تتجيبهم حجج ؟	وهل يزكو لهم عمل ؟
لئن أخذوا بما عملوا	فأعظم منه ما جهلوا ..

وهو ينظر الى قوله تعالى « وما تشاءون الا ان يشاء الله وقوله : « والله خلقكم وما تعملون » وهو يمدح المصطفى ولكنه لا يجرى على قاعدة المدح التقليدي ، بل يتجه اتجاها صوفيا ينظر فيه الى اثر الرسول في نفسه ، وإلى رحمته التي شملته لأنه من المؤمنين وقد جعل الله الرسول بالمؤمنين رءوفا رحيمًا ويقول في ذلك : -

مدحت المصطفى فمدحت نفسي  
ولى قسم وما جاوزت قسمي  
فاعممالي تسرد على منه  
ولو أرمى فعيثي منه أرمى  
وقد عصم الاله به وجسودي  
فان أرمى بسهم ليس يصمي  
وهذي رحمة منه توالى  
لدى بهما يعود على سهمي  
وقلتي لم يزل ظننا جميلا  
فان الظن منه عين علمي

وهو ينظر الى النبي المصطفى نظرة عظيمة تزكيتها وراثته له ، ودليله في هذه الوراثه اتباعه شريعته التي جاء بها ، ويقارن بينه وبين نبي الله موسى عليهما السلام ، ويبين أفضلية محمد صلى الله عليه وسلم ، بأن محمدا أسرى وعرج به أما موسى فقد كلف فقط .

ورثت الهاشمي أخا قریش  
بأوضح ما يكون من الدليل

ايايحه على الاسلام كشفا  
 وايمانا بالحق بالرعيل  
 اقوم به وعنه اليه حتى  
 ابينه لابناء السبيل  
 سرى في النور حتى كان انى  
 من القوسين في ظل ظليل  
 وشرف بالكلام اخوه موسى  
 على كذب وذلك بالمسيل  
 واين العرش من واد بقاع  
 كما اين الكليم من الخليل ؟  
 ويتشوق ابن عربى الى الكعبة والى الروضة الشريفة .  
 فيصوغ فى ذلك دررا غوالى تجمع بين الشوق والتكريم لصاحب  
 الرسالة صلى الله عليه وسلم فيقول :  
 يا حبذا المسجد من مسجد  
 وحبذا الروضة من مشهد  
 وحبذا طيبة من بلدة  
 فيها ضمير المصطفى احمد  
 صلى عليه الله من سيد  
 لولاه لم نفلح ولم نهتد  
 قد قرن الله به ذكره  
 في كل يوم فاعتبر ترشد  
 عشرين خفيات وعشرين اذا  
 اعلن بالتاذين في المسجد



فهذه عشرون مقرونة  
بأفضل الذكر الى الموعد

وتشوق ابن عربي الى الكعبة تغذية الاسرار الروحية  
التعبدية ، فتلهب ذلك الشوق وتحببه ، فلا ينطفىء حتى بمشاهدة  
الكعبة وطوافه حولها ، وهو يقول في ذلك :

انى الى الكعبة الغراء مشتاق  
فيها لعاشقها في السر أعلاق

اذا تذكرت اسرارى ومشهدا  
فيها تحركنى للبين أشواق

الله يعلم انى لست أذكرها  
الا وعندى لذاك الذكر احراق

فالروح تأنهية والنفس والهة  
والقلب محترق والدمع مهراق •

ويدعو ابن عربي الى اكتساب الحلال في الرزق على طريقته في  
تفسير المعانى تفسيراً صوفياً دقيقاً ، يشير الى وجوب ادراك  
الاسرار الالهية في كل شئ فيقول :

في شهوة البطن سر ليس يعلمه  
الا الذى شاهد السراق رزاقا

لولا الغداء ولولا سر حكمته  
ما لاح فسرع ولا عابت أعراقا

فكل حالالا اذا كان المحلل مو  
جودا بقلبك وهابا وخلاقا

وابن عربى يعال دوران الزمان واختلاف الفصول تعليلا  
صوقيا ، يدركه العاقل الذى أدرك سر الحركة فى الوجود كله ،  
وهو على رأى الأستاذ سيد الأمل سسباق فى نظرتة تلك التى  
لم يحققها العلم الا حديثا ، وهو يقول فى ذلك :

إِنَّكَ الشَّيْءُ عَقِيبُ الْخَرِيفِ  
وَجَاءَ الرَّبِيعُ يَلِيهِ الْمَصِيفُ  
وَدَارُ الزَّمَانِ بِأَبْقِيَائِهِ  
فَمَنْ دَوْرُهُ كَانَ دَوْرُ السَّرْعِيفِ  
سَرَى فِي الْجِسْمِ بِأَحْكَامِهِ  
تَفْتِئُ اللَّطِيفُ بِهِ وَالْكَثِيفُ  
عَجِبْتَ لَهُمْ جَهَلُوا رَبَّهُمْ  
وَيَسْعَى الْقَوَى لَهُ وَالضَّعِيفُ  
فَأَصْبَحَ كَالْمَاءِ فِي قَدْرِهِ  
لَسَدِيهِمْ وَفِي الْمَاءِ سِرُّ لَطِيفِ

وابن عربى فى أدبه عميق الفكرة دقيق المعنى ، لا ينظر الى  
ظواهر الأشياء ولكنه يتعمق الى خفاياها ، فيستنبط منها اسرارها  
عجيبة وأحكاما غريبة ، وكم من أكل وشارب ، وكم من مشاهد لتقلب  
الايام واختلاف الفصول ، ولكن قليلا من هؤلاء هم الذين قطنوا  
الى الحكمة من هذا وذاك .

ابن عربى والموشحات :

وابن عربى كشاعر شارك فى النهضة الأدبية التى كانت شائعة  
فى الأندلس ، وسلك ينظمه مختلف الاتجاهات الشكلية التى استعملها  
الشعراء حينذاك ، ومن بين ذلك الموشحات التى ازداد خطرهما

في الأندلس وأصبحت لها مكانتها ، وافتن الشعراء فيها افتتاناً كبيراً ، وأصبحت مجال سبق بينهم ، ومن نماذج موشحاته التي استشهد بها المقرئ قوله :

مطلع : سرائر الأعيان لاحت على الأكوان للناظرين  
والعاشق الخيران من ذاك في حران يبيد الأئين  
دور : يقول والوجد أضناه والبعد قد حـيره  
لنا دنا اليبعد لم أد من بعد من غـيره  
وهيم العبيد والواحد الفرد قد خـيره  
في البوح والكتمان والسر والاعلان في العـامين  
أما هو الديان يا عابد الأوثان انت الضـئين  
دور : كل الهوى صعب على الذي يشكو ذل الحجاب  
يا من له قلب لو أنسه ينكو عند الشـباب  
قد قرب الرب لكنسه أفك فأتوا المسـاب  
وناد يا رحمن يا رب يا منان أتى حـزين

ولا يخفى معرفة ما تدور حولها هذه الموشحة من معان صوفية روحية ، وفي الحقيقة لا يمكن الحكم على أدب « ابن عربي » بعيداً عن تصوفه ، لأن الأدب إنما هو ترجمان الفكر ، وإذا حكمنا غزارة الانتاج الى عمق أفكار « ابن عربي » وجدناه في الأدب فارسي لا يشق له غبار . هذا الى جانب تمكنه القوى في أن يعبر عن الحقائق العلمية بأسلوب أدبي منظوم أو منثور وكتبه العديدة غاصة بذلك اللون . والمقام يضيق عن عرض نماذج من ذلك ولعمري أن عرض الحقائق العلمية والصوفية بأسلوب مطوار دليل واضح على تمكنه من ناصية الأدب . فالمعروف أن الشعر يعتمد على الخيال والتصوير ومجاله في العاطفة أجلى وأوضح . فإذا ما استطاع الشاعر أن

يعرض بشعره بعض الحقائق دون تعمل وتعقيد كان ذلك دليلا على براعته الفائقة وشاعريته الملهمة ، ولقد عبر ابن عربي نفسه عن ذلك في الفصل الأول من الفتوحات عند تعليقه على قوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » بقوله : فان الشعر محل الاجمال والرموز والالغاز والتورية ومعنى ذلك أن مجال الشعر أضيق من مجال النثر في التعبير لاعتماده غالبا على التلويح دون التصريح ، والاعتماد على التلويح والاشارة أدق وأبرع ولذلك كان الشعر موهبة من المواهب التي يختص بها قوم دون قوم ، فما بالك اذا كان الشاعر غلبت عليه المعارف الالهامية، التي تمز على العقول وتجل عن التعبير فعرضها بالنثر عسير واذن فعرضها بالشعر أشد عسرا أو أكثر تأبيا الا من كانت له ملكة قوية ومقدرة فائقة .

#### نثر ابن عربي :

وللشيخ الأكبر نثر في القمة الأدبية ، وكتابه « الفتوحات المكية » خير نموذج لذلك ، وهو يعد دائرة معارف للعلوم الصوفية الى جانب ما يتميز به من سرد الحوادث في أسلوب سهل متناسق ، ولا يغفل جانب التشويق في بعض ما يعرضه من قصص ، ويحتوى الكتاب أيضا على نماذج مختلفة منها الرصايا والرسائل والحكم والمواعظ والمعارف الصوفية المختلفة ، وقد سبق عرض بعض نماذج من أسلوبه القصصى في هذا الكتاب ، ومن نماذج أدبه الوصفى ما سيأتى بعد في بيان صفة العارف ، عند الحديث عن كتاب الفتوحات .

وفي نثره قد يلجأ الى استعمال السجع والزخرف اللفظى كما نرى في هذه القطعة التي يكتب بها مقدمة « مواقع النجوم » : « لما شاء الله الحق - سبحانه وتعالى - أن يبرز هذا الكتاب الكريم الى الوجود ، ويتحف خلقه بما اختاره لهم من لطائفه وبركاته في خزائن جوده ، على يدى من يشاء من عبيده ، حرك خاطرى انشاء المطية -

من مرسية الى المرية • فامتطيت الرجال ، واخذت في القرحال ،  
مرافقا اطهر عصبة واكرم فتية •• فلما وصلتها لأقضى أمورا  
أملتها ، تلقاني شهر رمضان بهلاله ، وصافحنى على مسامرتة بها  
الى أوان انفصاله ، قالقيت بها عصا التسيار ، واخذت في الذكر  
والاستغفار » (١) ••

ونرى استعمال هذا الأسلوب الزخرفى في بعض الكتب الأخرى  
— وهو أسلوب هذا العصر — مثل شجرة الكون ، ومحاضرة الأبرار ،  
وشرح ترجمان الأشواق •

ومن نماذج نثره الذى يجمع بين الرسالة والوصية كتابه الى  
الملك كيكاوس صاحب بلاد الشمال ، ردا على رسالته التى أرسلها  
الى الشيخ الأكبر يستشيريه في بعض الأمور : « بسم الله الرحمن  
الرحيم ، وصل الاهتمام السلطاني الغالب بأمر الله العزيز أدام الله  
عدل سلطانه الى والده الداعى له محمد بن العربى ، فتعين عليه  
الجواب بالوصية الدينية ، والنصيحة السياسية الالهية ، على قدر  
ما يعطيه الوقت ، ويحتمله الكتاب الى أن يقدر الاجتماع ويرفع  
الحجاب ، فقد صبح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة  
المسلمين وعامتهم وأنت يا هذا بلا شك من أئمة المسلمين ، وقد قللك  
الله هذا الأمر ، وأقامك نائبا في بلاده ومتحكما بما توفق اليه في  
عباده ، ووضع لك ميزانا مستقيما تقيمه فيهم ، وأوضح لك حجة  
بيضاء تمشى عليها وتدعوهم اليها ، على هذا الشرط ولاك ، وعليه  
بإيعناك فإن عدلت فلك ولهم ، وإن جرت قلمهم وعليك ، فاحذر أن  
أراك غدا بين أئمة المسلمين من أخسر الناس أعمالا ، الذين ضل  
سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » •

---

(١) مقدمة مواقع النجوم •

والمثامل في أسلوب الرسالة يجدها غير متكلفة ، ويظهر فيها اثر الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ، كما تغلب عليها المعانى الدينية والصوفية التى هى موضوعات كتبه كلها .

كما أننا نحكم منها على علو منزلته في نفوس الحكام ورغبتهم في استشارته والأخذ بنصيحته ونذكر منها حرصه على أسسداء النصيح لمصلحة المسلمين ما أمكنته الفرصة لذلك محملا الحكام مسئولية تقصيرهم نحو رعييتهم . وهذا منتهى الشجاعة الأدبية .

### منزلة ابن عربى الأدبية :

لسنا في حاجة الى ادراك منزلة « ابن عربى » الأدبية التى وضعت في القمة بين أدباء المشرق والمغرب ، بل أصبح أحد الذين تمكنوا بمنزلتهم من التأثير في الجو الأدبي الشرقى وقد جعله صاحب كتاب « الشعر الأندلسي » بصفة خاصة عاملا هاما في ذلك التأثير ويقول في ذلك : أصبح اعلام الأندلس يخرجون « بزاد حافل من المعارف ينشرونها في اقطار نائية ، ورجال مثل الحسين بن جبير ، ومحمد بن أحمد الصابوني وابن خروف سينقلون دور الشعر الأندلسي الى آفاق بعيدة . أما الششتري المتوفى سنة ٦٦٨ هـ ومحبي الدين بن عربى بصفة خاصة ( ٥٦١ - ٦٣٨ هـ ) فسينقلان الى مدائن المشرق ما كان يفيض به قلوبهما من حرارة الشوق الالهى ، وحيرة الصوفية وأحلامها الشاطحة ، وسيقضيان أيامهما في مكاشفة الدراويش ومقاسمتهم العيش » (١) .

ويقول الدكتور « محمد مصطفى حلمى » عنه : لقد خلف « ابن عربى » تراثا رائعا في الحب الالهى اشرفت بالأنوار الالهية صفحاته وعبرت بالأسرار القدسية نفحاته (٢) .

(١) الشعر الأندلسي لاميلافريسيه غومس - ترجمة حسين مؤنس - ص ٢٤ .

(٢) ابن الفارض سلطان الماشقين ص ٨٢ .

أما الدكتور زكى مبارك فيقرر عنه أنه « فتح الباب أمام الدارسين من الصوفية والفقهاء فكانت كتبه مبعث نهضة أدبية قليلة الأمثال » . إن ابن عربى لا تحسرف أهميته في عالم الأدب والأخلاق إلا اذ فكرنا جيدا فيما ترك من الثروة الأدبية والأخلاقية، يجب أن نتذكر أنه ترك الوف الصفحات ومئات القصائد وأنه راضى اللغة على الطواعية للرموز وإشارات « (١) » . وتلك براعة من غير شك .

هذا رأى أدباء العصر الحديث ونقادهم ، أما آراء من سبقهم في أدب « ابن عربى » فتظهر في تقريرهم له ، ومن ذلك قول ابن الأبار عنه : « أنه أخذ عن مشيخة بلده ومال إلى الآداب » وقول ابن النجار « له أشعار حسنة وكلام مليح ، اجتمعت به في دمشق في رحلتى إليها وكتبت له شيئا من شعره » وقول ابن مسدد : « أنه كان جميل الجملة والتفصيل ، وله في الأدب الشاؤ الذى لا يلحق والتقدم الذى لا يسبق » وجاء في عنوان الدراية « هو فصيح اللسان بارع فهم الجنان ، قوى على الإيراد كلما طلب الزيادة يزاده » وقال المقرئ : « ونظم الشيخ محبى الدين هو البحر الذى لا ساحل له » .

كل ذلك يلقي الضوء على هذه الشخصية الأدبية الرائعة التى كان صاحبها يعتز بالكتاب والعلم والأدب ايما اعتزاز .

---

(١) التصوف الاسلامى في الأدب والأخلاق ج ١ ص ٢٠٢ .





## ابن عربي الصوفي

التصوف ليس علما مكتسباً :

لقب ابن عربي بالشيخ الأكبر كما لقب بسلطان العارفين ،  
وهذان اللقبان لم يطلقا عليه اعتباطاً ، ولكنهما أطلقا عليه عن جدارة  
قائقة بناء على ما وصل اليه من مكانة رفيعة في التصوف وعلومه  
وأذواقه .

والتصوف في حقيقة الأمر ليس علما مكتسباً يستطيع الانسان  
أن يحصله بالقراءة ، ولو أفنى في ذلك زهرة شبابه ونضارة حياته  
ولكن التصوف ذوق يكتسب بالعمل والسلوك والتهديب النفسى  
والخلقى . وحين ذلك تثمر هذه المجاهدة أحوالا وأذواقا . قد يعبر  
عنها الصوفى أو لا يعبر .

ولن يهتدى العقل اطلاقا وحده الى المعرفة الصوفية وحقيقتها  
بدون سلوك ومجاهدة ، وهذا لابد لهما من ارشاد شسيخ عارف  
بصير خبير بمسالك الطريق ودرويه وشعابه .

والتربية في الطريق الصوفى امر له اهميته ، ويعول عليها  
الصوفية تحويلا كبيرا ، ولا يكاد يوجد فذ من أفاضل الطريق دون أن

يكون له موجه ومرشد يده على طرق الجهاد ووسائله حتى ينتصر ويدرك ويبصر .

ولقد بلغ « الغزالي » أعلى المنازل العلمية ، وتبوأ عرش المعارف الفكرية ، وقرأ كثيراً من كتب التصوف ، ولكنه لم يصبح صوفياً إلا منذ أن أخذ بيده شيخه « يوسف النساج » إلى طريق الخير ، وفتح عيونه على مغاليق المعرفة ، فأدرك ما لم يكن يدور في خلد ، وما لم يكن له في حسابان .

والمعرفة الصوفية أسرار أكتنها الله واختص بها أصفياه وجعل الطريق إليها محقوقاً بالمخاطر والمعوقات ، وإن يتمكن من سلوكه إلا من وطد عزمه على اجتيازه ، وجاهد جهاداً شاقاً ، حتى إذا ما انتصر في جهاده ارتفع الحجاب الكثيف الذي غطى على بصره وبصيرته ، فأدرك من الحقائق في نفسه وفيما يحيط به ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

والقرآن الكريم يزكى ذلك بقوله : « واتقوا الله ويعلمكم الله » والحديث الشريف يقول : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . وليس غريباً أن يكون للسلوك القويم أثر في تهذيب الوجدان وفي تصفية النفس وتنقيتها وأجلأ مراتبها فتدرك من المعاني أعماها وتلهم من الأسرار أدقها . فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا ومنطقاً فاقتربوا منه فإنما يلقي الحكمة » . وقيل : « إذا زهد العبد في الدنيا وكل الله تعالى به ملكاً يفرس الحكمة في قلبه » (١) .

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود في هذا المعنى « التصوف ليس ثمرة لثقافة كسبية ، أن الوسيلة إليه ليست هي الثقافة ، ولكن الوسيلة إليه إنما هي العمل ، أن الطريق إليه إنما هو السلوك والمعرفة الناشئة عن العمل والسلوك هي الهام وهي كشف وهي

---

(١) الرسالة التشرية .

ملا أعلى انعكس على البصيرة المجلوة ، فتذوقه الشخص حالا وأحسن به ذوقا وأدرك الهاما وكشفا « (١) » .

والدكتور عبد الحلیم محمود یقرر هذا الكلام حين يتحدث عن عدم تأثر سیدی أبی الحسن الشاذلی بمصادر أثرت فی سلوكه أو اتجاهه أو ذوقه، بناء على أن التصوف لا یدرك بالتلقین أو البحث أو الدراسة ولكن حقائقه تورث بالعمل والسلوك والمجاهدة ، وإن كان ذلك یحتاج الى مرشد وموجه یأخذ بطریق المرید حتی یمسك بزمام نفسه ، ثم یقول له : ها أنت وریك ، وهذا كما فعل « ابن مشیس » مع « الشاذلی » رضی الله عنهما .

### كيف تكونت شخصية « ابن عربی » الصوفية ؟

وهذا الكلام مفید نصل منه الى ما نريد ، وهو الاجابة على هذا السؤال : كيف تكونت شخصية ابن عربی الصوفية ؟ .

تكونت شخصية ابن عربی بواسطة جهاد شاق مریر متواصل تعددت ألوانه وطرقه ولم تخرج على النمط الصوفي المعروف ، وهو القيام برياضات مختلفة تتنوع بین العزلة والسیاحة والجوع والصمت والذكر والتفكر ومجالسة الصالحین واختیار الرفقاء وحمل النفس على ما تكره من أنواع المشقة فی ضوء الالتزام بالشرع الحنیف .

وقد ذكر بتوجيه وإرشاد ظهر من سلسلة الشیوخ الفین التقى بهم ابن عربی وانتفع بنصحهم . وقد سبق الإشارة اليهم . ولم یغفل فی طریق ذلك الاقادة من الكتب الصوفية التي وضعها بالهام من الله كبار الصوفية ، وفي مقدمة ذلك « الرسالة القشيرية » التي لا تزال مرجعا هاما فی التصوف ومؤلفها الامام

---

(١) أبو الحسن الشاذلی ص ٨-٧٠ .

العالم أبو القاسم بن هوزان القشيري المتوفى سنة خمس وستين وأربعمائة . وقد صرح « ابن عربي » أنه قد أفاد منها في بدء سلوكه الطريق (١) .

وكتاب « ختم الأولياء للحكيم الترمذى » وقد كان هذا الكتاب مثار اهتمام الصوفية ومحبي الدين بن عربي بصفة أخص (٢) وألف حوله كتابا يجيب فيه عن الأسئلة التي طرحها هذا الحكيم في كتابه .

وكتاب « أحياء علوم الدين » للغزالي ، وأهميته لا تخفى على أحد ، وقد ألقى فيه « ابن عربي » دروسا عامة في مكة (٣) .

كما قرأ كتابا أخرى أشار الى بعضها في مقدمة كتابه محاضرة الأبرار وذكر منها : مقامات الأولياء لأبي عبد الرحمن السلمي ، وطبقات الصوفية للسلمي أيضا ، وكتاب العزلة للخطابي وكتاب النور وكتاب درجات التائبين ومقامات القاصدين للمهروى ، وكتاب حلية الأولياء لأبي نعيم وغيرها .

هذه الكتب التي قرأها « ابن عربي » كان لها أثر من غير شك في توجيهه الى جانب شيوخه الذين التقى بهم .

سلك « ابن عربي » الطريق الصوفي صغيرا ، فقد كان الحافز الروحي يدفعه دفعا منذ صغره ، وقبل أن يموت والده كان قد اتجه الى القيام ببعض الرياضات المختلفة ومن بينها العزلة ، مما أثار اهتمام « ابن رشد » كما سبق الإشارة الى ذلك . ولكن « ابن عربي » كان قد أخذ بحظ وافر من العلوم الشرعية ، وبلغ في اكتسابها مبلغا كبيرا .

---

(١) ابن عربي ص ١٠٥ .

(٢) أبو الحسن الشاذلي ص ٥٢ .

(٣) ابن عربي ص ٢٦٣ .

وإذن فقد كان تصوفه مبنيا على هدى ويقين ، وعلى أساس متين من الشرح الحنيف ، و « ابن عربي » يقرر مرارا أن تصوفه خال تماما من أي اتجاه آخر غير الكتاب والسنة وأجماع المسلمين ، ولذلك نراه يكره التقليد ، وقد أشير إلى ذلك • وعلمه هذا جعله علما في علوم الظاهر قبل أن يصبح علما في علوم الباطن ، وهو الذي أنار له الطريق ليكون سلوكه عن معرفة وثبات وعزم ، وليكون ذلك عاصما له من الزلل أو الرجم بالغيب أو الخطأ •

وأتاحت له فرصة تعرفه على شيوخ الصوفية تمرسه بأدبهم وقيامه عمليا بأنواع المجاهدات التي أخذ بها نفسه حتى تمكن من الانتصار على نفسه ، ومن نقطة لانتصار على النفس كانت انطلاقته العليا إلى فضاء الروح الواسع غير المحدود بقيود المادة والحس • وقد سبق الإشارة إلى أن صحبتة الشيوخ مفيدة في توجيه السلوك ، وليس الشيخ مؤثرا في المريد بقدر ما هو موجه لسلوكه ، حتى يوقفه على مسالك الطريق ، ثم يهتف به : أن انطلق فقد أصبحت على يقين من خطوك •

وليس أدل على ذلك من أن كثيرا من التلاميذ فاقوا أساتذتهم ذوقا ومعرفة وإدراكا ووصلوا إلى مقامات قصصرت عنها هم مرشديهم وموجهيهم ، وما ذلك بغريب ، فالفروع قد تفوق الأصول ، والأبناء قد يسبقون الآباء ، ولو وقفت همة مريد عند همة شيخه لما كان هناك مكان للطموح ، ولما أصبح مجال للتقدم والسبق ، ولتوقفت الخطوات عند مكان ما لا يبرحه هذا أو ذاك •

و « ابن عربي » تلميذ نجيب من غير شك صاحب شيوخه فانتفع بإرشادهم واستفاد منهم سلوكا كان له أثره الطيب المحمود فيما وصل إليه من الهام ومعرفة •

والطريق الصوفي مجاهدات ومعارف ، والمجاهدات طريق

المعارف ، والمعارف ثمار المجاهدات ، وهؤلاء الشيوخ وغيرهم الذين التقى بهم « ابن عربى » كان لهم أثرهم الذى أوضح الرؤية أمام عينيه ، وجعله يتقدم فى طريقه الذى اختاره لنفسه بخطوات ثابتة ، وقطعت الطريق على كل شك خالج نفسه فى صدر حياته الأولى ، ولم يكن لأحد هؤلاء الشيوخ أملاء خاص مذهبى فرضه على « ابن عربى » الذى ما لبث أن أصبحت له شخصيته المستقلة التى انطلقت تجوب الآفاق ، تلتقى بالرجال ، وتأتلف بالأخوان ، وتوطد المكانة التى ظفرت بها على مر الزمان .

### تمسكه بالشرع :

وكان « ابن عربى » طوال حياته دقيقا فى تمسكه بالشرع الحنيف ، ويحاسب نفسه محاسبة دقيقة على آدابه ، وكان يعتقد اعتقادا جازما أن الخروج على الشرع حرمان وزيف ومخافة ، كما كان يعتقد أن الطريق السليم لأدراك المعركة الصافية هو طريق الشرع لا طريق العقل ، ويقول فى ذلك :

لا تعتقد غير الذى تتلوه فى

النص الذى نطق الكتاب المحكم

وعليه فاعتمدوا وقولوا مثلما

قد قاله عن نفسه واستلزموا

واعبدوا الله الشـرع لا تعبدوا الله

العقل من هادوا اليه وسلموا

فالناس مختلفون فى معبودهم

فمَنّزه معبوده ومجسّم

وهذه الأبيات تعطينا صورة حقيقية عن حياة الشيخ الأكبر ، هى اعتزازه القوى بالشرع ، واعتماده فى أدراك العلم على الذوق

والكشف لا على العقل ، ولذلك لم يعول اطلاقا على الفلسفة ، ونفر منها نفورا شديدا ، وقد مر بنا كيف كانت مقابلته لابن رشد فيلسوف زمانه وكيف رثى لحاله ، وكيف اتهم أحد الفلاسفة بالكفر حينما رآه يقول في أحد كتبه : وأنا أريد في هذا الفصل ان ننظر كيف نصنع الها في العالم .

ولكن نفوره من الفلسفة لم يمنع أن يكون مرنا غير متزمت في مناقشة حججهم . ولذلك نسمعه ينصح في مقدمة الفتوحات بعدم المبادرة الى انكار أقوال الفلاسفة والمتكلمين اذ ربما يكون في كلامهم ما يوافق الشرع والعلم الصحيح ، ويقول في ذلك : « أياك أن تبادر الى انكار مسألة قالها فيلسوف أو معتزلي مثلا ، وتقول : هذا مذهب الفلاسفة أو المعتزلة ، فان هذا قول من لا تحصيل له ، اذ ليس كل ما قاله الفيلسوف مثلا يكون باطلا ، فعمسى أن تكون تلك المسألة مما عنده من الحق » ولا سيما أن كان الشارع صلى الله عليه وسلم صرح بها ، أو أحد من علماء الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، وقد وضع الحكماء من الفلاسفة كتباً كثيرة مشحونة بالحكم والتبري من الشهوات ومكاييد النفوس وما انطوت عليه من خفايا الضمائر ، وكل ذلك علم صحيح موافق للشرع ، فلا تبادر يا أخى الرد في مثل ذلك وتمهل ، وأثبت قول ذلك الفيلسوف حتى تحد النظر ، فقد يكون ذلك حقا موافقا للشرعية لكون الشارع قال تلك المسألة أو أحد من علماء شريعته » (١) .

وهذه النصيحة العاقلة التي ترسم الطريق الصحيح لأدب البحث والمناقشة تحمل الاعزاز الكامل للشرع والاصرار على عدم مخالفته ، وقبول كل ما يوافقه ، وفي الأبيات التالية يوضح طريق العلم الصحيح ، ويقرر أن العلم الموهوب لا يكون الا بالحفاظ على الشريعة والتفانى في الطاعة والعبادة :

---

(١) البواقيت والجواهر من ٣٣ .

ما لقومى عن حديثى فى عمى  
أخذوا العلم عن الفكر وعن  
عندنا من جهة العلم به  
هكذا قالوا وما عندهم  
فعلوم القوم من أنفسهم  
أنه يعطى الذى يعلمه  
بينهم تبصرهم قد وقفوا  
ما أظن القوم الا ندما  
كل روح ما له علم بما  
جل أن يفهم أو أن يفهمها  
خبر الذوق بعلم العلم  
وعلموى من اله حكما  
لعييد لم يزالوا رحما -  
فى المحاريب وصفوا القدا \*

فهو يفرق بين العلم الذى يكتسبه الانسان من العلماء وبين  
العلم الذى يهتدى اليه من الله ، والعلم الثانى يفوق الاول ، لأنه جاء  
عن طريق الذوق للحقائق وادراك الأسرار ، أما الاول فليس  
الا صفات معلومة وسطورا مركومة ، وهو يلوم قومه لأنهم لا يبحثون  
حديثه فيدركون صدقه ويعرفون أن علومه موهوبة وعلومهم  
مكسوبة ، وفرق بعيد بين العلم الوهيب والعلم الكسبي ، والله  
سبحانه وتعالى لا يهب علمه الا لقوم خشعوا وتخلقوا بصفات  
المؤمنين الذين يقول فى حقهم : رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا  
يبتغون فضلا من الله ورضوانا (١) \*

وطريق العلم الحقيقى المأخوذ عن الكشف والذوق هو تعظيم  
الشرعية واجلالها واقامتها اقامة صحيحة وهو يقول فى ذلك :

تعظيم ربك فى تعظيم ما شـرعـا  
فاصدع فان سعيد القوم من صدعا

والشرعية هى الطريق الصحيح لتحصيل السعادة ، وهذه  
القصة التى يقدمها لنا فى الفتوحات يمكن أن تعطينا دليلا آخر على

(١) منبر الاسلام عدد شوال ٢٨٦ هـ وصفر ٢٨٧ هـ . الآية المذكورة فى

آخر سورة الفتح \*



مدى تمسكه بالشرع . يقول : « رأيت في واقعة وأنا ببغداد سنة ثمان وستمائة قد فتحت أبواب السماء ، ونزلت خزائن المكر الالهي مثل المطر العام ، وسمعت ملكا يقول : ماذا نزل اليه من المكر ؟ فاستيقظت مرعوبا ، ونظرت في السلامة من ذلك فلم أجدها الا في العلم بالميزان المشروع ، فمن أراد الله بخيرا وفقه وعصمه من غوائل المكر فلا يضع ميزان الشرع من يده » (١) .

وهويلج على هذا المعنى كثيرا ، فقد نقل ابن العماد عنه قوله « العارف يعرف ببصره ما يعرفه غيره ببصيرته ، ويعرف ببصيرته ما لا يدركه أحد الا نادرا ، ومع ذلك فلا يأمن على نفسه من نفسه فكيف يأمن على نفسه من مقدور ربه ؟ وهذا مما قطع الظهور سنسدرجهم من حيث لا يعلمون » (٢) .

وينقل الشيعراني عنه قوله في الباب السادس والأربعين ومائتين من كتاب الفتوحات : « إياك أن ترمى ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل يادر الى العمل بكل ما حكم به وأن فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين امضساء ظاهر الحكم به فلا تعمل عليه ، فانه مكر الهى بصورة علم الهى من حيث لا تشعر ، ثم قال : وأعلم أن تقديم الكشف على النص ليس بشيء عندنا لكثرة اللبس على أهله ، والا فالكشف الصحيح لا يأتي قط الا موافقا لظاهر الشريعة ، فمن قدم كشفه على النص فقد خرج عن الانتظام فى سلك أهل الله ولحق بالأخسرين أعمالا » (٣) .

ويعلل الشيخ الأكبر لكون علوم الوهب لا تأتي عن روية وفكر بقوله « لو كانت علوم الوهب نتيجة عن فكر أو نظر لانتحصرت في

(١) ابن عربى ص ٦٩ .

(٢) شلرات الذهب ج ٥ ص ١٩٦ .

(٣) البواقيت والجواهر ص ٢١ .

أقرب مدة ، ولكنها موارد تتوالى من الحق على خاطر العبد ، -  
والحق تعالى وهاب على الدوام قياض على الاستمرار والمحل قابل  
على الدوام « (١) » . والتوالى لا يكون الا بالمحافظه على الشريعة  
والاستمسك باقامتها .

فهذه العوامل التى اجتمعت من استعداد « ابن عربى » لسلوك  
الطريق الصوفى ، الى جانب اجتماعه على شيوخ أعانوه على هذا  
الطريق ، الى جانب ما قرأ من كتب حبيبته فى هذا الطريق ، الى  
جانب التزامه جانب الشرع فى طريقه وعدم حيدته عنه ، كل ذلك  
كون له شخصيته المستقلة العظيمة التى كان لها ذلك الانتاج  
الصوفى الضخم عملا وعلما .

#### ثمار التصوف :

وسرعان ما ظهرت ثمار التصوف فى حياة « ابن عربى » بناء  
على ذلك النهج الذى انتهجه .

ظهرت فى صورة عزوف كامل عن الدنيا ولذاتها ، فجر ذلك  
ينابيع الحكمة فى قلبه ، فأنجلت عين بصيرته ، وارتفعت حجب  
الكثافة البشرية فأبصر وأدرك ، واستشف كثيرا من المعانى عن  
طريق الكشف أو الإلهام .

وبدا ذلك الكشف عنده بواسطة الرؤى الصادقة التى ورد  
عنها الأثر الكريم : لم يبق من علامات النبوة الا المبشرات ، قيل :  
وما المبشرات ؟ فقال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح  
أو ترى له .

وكثيرا ما رأى « ابن عربى » رؤى تحققت فى عالم اليقظة كما  
راها ، ومن ذلك ما يقصه عن رؤياه التى رأى فيها النبى صلى الله

---

(١) الكبيرت الأحمر ص ٦ .

عليه وسلم اقتلع من أحد شوارع « أشبيلية » التي يكثر المرور فيها نخلة كانت تعترض طريق المارة ، فلما أصبح وجد تحقيق رؤياه •

وهناك أثر يقول : وحى المؤمن منامه •• وذلك واقع وصدق ومتواتر فكثير من الناس تتحقق أمامهم في الحياة أشياء كانوا قد رأوا عنها إشارات أو رأوها بعينها في المنام •

وقد صاحبت هذه الرؤى الصادقة الشيخ الأكبر في حياته وزاد عليها ما كان يراه من تجليات ، هي غريبة في عالم الحس والعقل ، ولكنها ليست غريبة في عالم الحقيقة والكشف ، ومن ذلك مشاهدته بعض الأشخاص يفتحون عليه خلوته والباب مغلق عليه ، فيحادثهم ويحادثونه ثم ينصرفون دون أن يفتح باب أو مصراع أو نافذة •

ثم يزيد على ذلك ما كان يصاحب جسده من اشراق في أثناء ذكره ، ينبعث من باطنه حتى يبدد ظلام الحجرة التي يوجد فيها ، وقد حدثت له هذه الواقعة في أكثر من مكان ، ومنها « مصر » في أثناء زيارته لها •

ويزيد على ذلك أن يكون له لقضاء خاص مع أرواح الأنبياء والأولياء والمؤمنين السابقين على أنحاء مختلفة يفصلها تلميذه « صدر الدين القونوي » بقوله : « كان شيخنا ابن عربي متمكنا من الاجتماع بروح من شاء من الأنبياء الماضيين على ثلاثة أنحاء : إن شاء الله استنزل روحانيته في هذا العالم وأدركه متجسدا في صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العصرية التي كانت له في حياته الدنيا ، وإن شاء أحضره في نومه ، وإن شاء أنسلخ عن هيكله واجتمع به » (١) •

وقد اثار شسارح الصلوات الأدرسية الى محادثة الشيخ الأكبر للنبي ادريس عليه السلام والى محادثته للنبي موسى ، كما اثار هو الى ذلك في مواضع مختلفة من كتاب الفتوحات ، ومن ذلك قوله في الباب السابع والستين وثلاثمائة : « اجتمعت روى بهارون عليه السلام في بعض الوقائع ، فقلت له : يا نبي الله ، كيف قلت : فلا تشجعت بى الأعداء ؟ ومن الأعداء حتى تشجدهم ؟ والواحد فينا يصل الى مقام لا يشهد فيه الا الله ؟ فقال لى السيد هارون عليه الصلاة والسلام : صحيح ما قلت في مشهدهم ، ولكن اذا لم يشهد أحدكم الا الله فهل زال العالم فى نفس الأمر كما هو في مشهدهم ؟ أم العالم باق لم يزل وحجبتكم أنتم عن شهوده لمعظم ما تجلى لقلوبكم ؟ فقلت : العالم باق في نفس الأمر لم يزل ، وانما حجبنا نحن عن شهوده ، فقال : قد نقص علمكم بالله في ذلك المشهد بقدر ما نقص من شهود العالم فانه كله آيات الله ، فافادنى عليه الصلاة والسلام علما لم يكن عندي » (١) .

وقد تكون هذه المحادثة تمت على نحو من هذه الأنحاء المتقدمة .

وعلى نحو من ذلك كان لقاءه المتكرر للخضر عليه السلام وقد اثار « ابن عربى » الى هذا اللقاء عدة مرات .

وظهرت ثمار التصوف في غير ذلك ، ظهرت في تلك الخوارق والكرامات التى كانت للشيخ الأكبر التى يضيق المقام عن ذكرها ، كما ظهرت في معارفه الفائقة التى فاضت بها أشعاره وامتلات بها كتيبه ومصنفاته .

### خسرقة التصوف :

ولابد أن يكون الشيخ الأكبر قد أصبح من الوجهة الرسمية صوفيا بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معان ، والصوق الرسمى

---

(١) اليوايت والجوامر ص ٧١ .

هو الذى يلبس خرقة التصوف . « ابن عربى » كانت له وجهة نظر حول هذه الخرقة أولا ، فقد كان ينظر اليها على انها اشارة لمعان وجدانية تهدف الى تهذيب السلوك وتقويم النفس والخلق ، وهو يشير الى ذلك بقوله : « وكنت قبل ذلك لا اقول بالخرقة المعروفة الآن ، فان الخرقة عندما انما هى عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق ، ولهذا لا يوجد لباسها متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن يوجد صحبة وأدب ، وهو المعبر عنه بلباس التقوى » فى قوله تعالى « ولباس التقوى ذلك خير » .

وقد ارتدى « ابن عربى » خرقة الصوفية أكثر من مرة ، فقد لبسها على يد شيخه على بن عبد الله بن جامع ، وكان الخضر قد لبسها بنفسه لهذا الشيخ ، ولبسها « ابن عربى » فى الموضع الذى لبسها الخضر للشيخ .

كما لبسها قبل ذلك على يد شيخ آخر هو ( تقي الدين عبد الرحمن بن على بن ميمون النوروزى ) والخرقة ايضا كانت خرقة الخضر .

ويذكر فى الباب الخامس والعشرين من الفتوحات انه لبس الخرقة من يد الخضر نفسه تجاه باب الكعبة ، وكان قبل ذلك لا يقول بلباسها (١) .

وقد أضاف « ابن عربى » منذ ذلك الوقت الى وجهة نظره الأولى حول الخرقة الادراكات الذوقية التى تصاحب الرداء الحسى ، والتى يعبر عنها بقوله : - « جرت عادة اصحاب الأحوال اذا رأوا واحدا من اصحابهم عنده نقص فى أمر ما ، وأرادوا أن يكملوا له حاله اتحد به هذا الشيخ ، فاذا اتحد به أخذ ذلك الثوب الذى عليه فى ذلك الحال ، ونزعة وأفرغه على الرجل الذى يريد

(١) الكبريت الأحمر ص ١٤ .

تكملة حاله ، ويضمه فيسرى فيه ذلك الحال ، فيكمل له ذلك الأمر  
فذلك هو اللباس المعروف عندنا والنقول عن المحققين من  
شيوخنا « (١) » .

وهذا الكلام وإن بدا غريباً من جهة عدم إمكان حدوث اتحاد  
بين شيخ ومريد إلا أنه في عالم الحقيقة غير غريب ، فإن الصفاء  
الروحي الذي يكون بين شخصين تعازياً وتصافياً وصلاح أن  
يقول أحدهما للآخر : يا أنا ، يجعل الاتحاد الروحي غير مستحيل  
بيتهما ، ويصدق ذلك قول « أبي الحسن الشاذلي » لتلميذه  
« المرسي » رضي الله عنهما : « ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا  
أنت » (٢) .

وقد اعتز « ابن عربي » بخرقه التصوف والبسها بيده لكثير  
من مريديه ، وقد أشار إلى ذلك في أشعاره ومؤلفاته .  
وخرقة التصوف لها آداب وشروط ، وهي ليست مجرد ثوب  
يلبس ، ولكنها إشارة إلى منزلة من منازل القوم ، فيها يوطنون  
أنفسهم على احتمال الأذى وإنكار الذات وإذلال النفس رغبة في  
اعزاز الروح وأضعاف النوازع البشرية طلباً للأنس الروحي .  
يقول الأستاذ عبد العزيز سيّد الأمل : « أما الصوفية فانهم  
يلبسون الخرقه الظاهرة بحجة إبعاد البصار الناس عنهم استجلاباً  
لأذاهم واحتقارهم ، ويقدر ما يصيبهم الأذى والاحتقار من الناس  
يدنون من الله ويلجئون إليه ويكون ذلك دفعا إليهم عن الأذى » (٣) .

وفي عبارة « ابن عربي » المتقدمة إشارة إلى ذلك ، ولحل السر  
في أثر الخرقه يرجع إلى ما تحمله روح الشيخ من توجيه إلى

(١) ابن عربي ص ٦٢ .

(٢) طبقات الشمراني ج ٢ ص ١٢ .

(٣) منبر الاسلام - شبان ٢٨٦ هـ .

روح الاليس فتتأثر بها وتحاول أن تحلق معها في أجواء المعرفة والمشاهدات ، ولذلك لم يسمحوا بارتداء الخرقة لكافة المريدين ولكنهم حين يشاهدون من أحدهم استعدادا خاصا يكون هو المراد .

ولايس الخرقة من حقه أن يغبط حينئذ لأنه وصل الى منزلة رفيعة وغاية كريمة ، يقول « ابن عربى » معبرا عن ارتدائه خرقة التصوف عن طريق الرمز لنفسه باسم « شرف » :

سالت شرف أن تلبسها	خرقة القوم على شرط الوفا
حين ثابت عندنا من كل ما	كان منها قبل هذا سلفا
فاجبتها الى ما سألت	باعتقاد ووداد وصفنا
وأمرناها بأن تلبسها	كل من كان بخير عرفا
وهي لما لبستها سبحت :	حسبى الله تعالى وكفى .

فهو هنا يوضح أن نفسه حين لجأت الى التوبة وتطهرت من المعاصي كان من حقه أن تسمى « شرفا » وأن تطلب ارتداء الخرقة لتصبح من القوم « وأنها لتستحق ذلك بعد التوبة والاشهاد عليها أمام الأتقياء واستمرارها على الطهارة والتوكل والرواح الى الله وحده بقلب منيب ومثل هذه النفس يحق لها أن تطلع على أسرار القلوب ، فتعرف منها الخير والذى لا خير فيه فتولى نحو الأول وتعزف عن الثانى ، وانقطاعها الى الله وحده والتسبيح بحمده دون الأغيار يكفيها فى درجة المعرفة ويبسر لها طريق الوصول » (١) .

---

(١) منبر الاسلام — جمادى الاولى ١٣٨٦ هـ .





## مجاهدة وأذواق ومعارف

التصوف مجاهدة ومعرفة • والمعرفة ثمرة من ثمار المجاهدة ،  
كما أن المجاهدة طريق لتحصيل المعرفة • وأى تعبير يدور حول  
المجاهدة والحث عليها هو صدق التصوف العملى ، كما أن التعبير  
عن الثمار التى تثمرها المجاهدة صدق للتصوف النظرى •

والمجاهدة فى الطريق الصوفى سلوك وأخلاق ، فالسلوك يكون  
بالم التزام ألوان خاصة من العبادة والطاعة يضاف إليها ألوان تختلف  
سهولة وعنفًا من الرياضات على حسب حالة السالك وما يرتئيه  
الموجه •

ولا تكاد تخلو طريقة من طرق الصوفية من ذلك الالتزام الذى  
تأخذ به مريديها فى حزم حتى يصلوا الى الغاية المطلوبة •

ولن يتقدم المريد خطوة واحدة ما لم يكن له من الخلق زاد  
وراحلة • والصوفى يحتاج الى ما يستحث خطاه ويقوى عزمه ويثبت  
ارادته ، فكان لابد من تعبير أدبى يصاحبه فى رحلته ويشد من أزره  
ويقى معوجه ويعينه على عثرات الطريق ، ويبين له آداب الطريق  
وما يجب أن يأخذ وما يدع •

## اذواق ابن عربي ومعارفه في ذلك :

وقد نظم أدباء الصوفية ونثروا في هذه المعاني الشيء الكثير ، وابن عربي لم يغفل هذه الناحية في شعره ونثره ، فكتب عنها مدققا ومقعدا وواضعا خطوات يسير عليها أبنائه وتلاميذه وغيرهم ممن تجذبهم الطريق ويستهوهم الهدى .

كما كتب عنها مستحفا ودافعا الى مواصلة الجهاد في ذلك الطريق ، وبذلك يكون قد أدى للتصوف العملى حقه من الأداء في اتجاهين :

**الاتجاه الأول :** الطريق الصوفى وما يحتاج اليه من آداب ومعاملات وما يلزم المريد فيها من ضرورات كاتخاذ الشيخ وتصحيح الإرادة وملاحظة الوقت والمداومة على اللورد وغير ذلك مما يعد الحديث فيه من قواعد التصوف ، والكتابة في ذلك ادخل في باب العلم الصوفى .

**والاتجاه الثانى :** هو الحث على سلوك الطريق والدعوة الى التخلق بالأخلاق الفاضلة من زهد وتوبة وصدق وإيثار وغير ذلك مما يعد الحديث فيه صدى لعاطفة تجعله ادخل فى باب الأدب الصوفى ، وقد سبقت الإشارة الى ذلك .

وقد ترك الشيخ الأكبر في ذلك ذخيرة حية وكتبه التى طبع منها وما لم يطبع تعد ثروة للتصوف لا تنفذ ذخائرها ، فقد عبر فيها عن كل شيء يتصل بالتصوف ، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة الا وأدلى فيها ببيان .

تناول الشيخ الأكبر المريد من بدء سلوكه الى نهاية مرحلته في الطريق ، وأوضح له في كل خطوة يخطوها ما يجب عليه وما يستحب له . ويمكن تلخيص ذلك عن كتبه العديدة التى حققت بكل هذه المعانى التى جاء بعضها خاصا بذلك ، وجاء بعضها تتناثر في ثناياها تلك المعلومات والمعارف ، ونذكر بعض آرائه هنا للبيان :

## ١ - ضرورة اتخاذ الشيخ :

أول ما ينبغي للمريد عمله التوبة ، ويجب له أن يبحث له عن شيخ فاضل متمكن توفرت فيه الشروط اللازمة لتربية المريدين ، وقد أشار الى ذلك بقوله : شرط الشيخ أن يكون عنده جميع ما يحتاج اليه في التربية<sup>(١)</sup> ويقول : لابد أن يكون عند الشيخ دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك وحينئذ يقال له أستاذ<sup>(٢)</sup> . والشيخ ضروري في رأى « ابن عربى » فهو يقول : من لم يكن له أستاذ فإن الشيطان أستاذ<sup>(٣)</sup> . وهو ينظر في ذلك الى ضرورة القدوة ، والى أن العقل وحده لا يكفي في اكتساب المعرفة الحقيقية ، وقد سبق الإشارة الى ذلك والى اعتقاده بأن العلم الحقيقى لا يتم الا عن طريق الذوق أو الكشف ، وهذان لا يتمان الا بواسطة التهذيب النفسى والخلقى على يد بصير عارف متمكن . و « ابن عربى » في ذلك يبنى رأيه على تجربة خاصة اكتسبها من شيوخه الذين صحبهم وقد وافق على هذا الرأى من سبقه ومن لحقه من أئمة التصوف . فالكلاباذى صاحب التعرف على مذهب أهل التصوف ينشد لبعض الكبار :

من رامه بالعقل مستوشداً سرجه في حيرة يلهو  
وشاب بالقلب أسراراً يقول من حيرته هل هو ؟<sup>(٤)</sup>  
والشيخ حسن رضوان صاحب مطهرة النفوس ينظم ما فننثره  
هنا باختصار : « ليس في إمكان المريد الاهتداء الى طريق الحق من غير اقتداء ، فلا بد له من دليل عارف يكون له حصناً من الوسوس

- 
- (١) شذرات الذهب لابن العماد ج ٥ ص ١٩٦ .
  - (٢) رسالة الامر المحكم المربوط ص ٤ .
  - (٣) الامر المحكم ص ٣ .
  - (٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٦٣ .

وغيرها ، فإن أخذ الأدب من أصحابه ظهرت له الأسرار الباطنة في ألفاظها فتنتفع به الأرواح وتصفو ، أما الذى يقول : ان الشخص تغنيه كتبه عن الشيخ فهو واهم في قوله ، « لأنه يمكنه أن يرى كشف الحجب ولا يمكنه صرف النفس عن هواها » (١) .

وشيوخ الصوفية جميعا يوجبون اتخاذ الشيخ - وإن كان الدكتور على صافي حسين في كتابه الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجرى يرى أن بعض الشيوخ ومنهم الشاذلى لا يستوجبون على المريد اتخاذ شيخ له (٢) .

ولكن الواقع أن الشاذلية اعتنوا بهذا الأمر عناية فائقة وأوجبوا على المريد أن يكون له شيخ ، وقد جاء هذا على لسان غير واحد منهم ، ومن هؤلاء ابن عطاء الله السكندرى الذى يقول في مفتاح الفلاح « وينبغي لمن عزم على الاسترشاد وسلوك طريق الرشاد أن يبحث عن شيخ فاضل من أهل التحقيق سالك للطريق تارك لهواه راسخ القدم في خدمة مولاه فاذا وجده فليمثل ما أمر ولينته عما نهى عنه وزجر » ومنهم ابن عجيبة الحسنى الذى يقول في غير موضع من كتابه : ليقاظ الهمم على شرح الحكم : لا يمكن الخروج من النفس والتخلص من دقائق الرياء من غير شيخ أبدا .

ويحكى الدكتور أبو الوفا التفتازانى حياة ابن عطاء الله السكندرى - وهو لسان حال الشاذلية - قائلا : « ونخلص من كل ما سبق الى أن ابن عطاء الله السكندرى كان خاضعا في حياته الصوفية لما يخضع له السالكون من اشراف شيخ مرشده بصير عارف بالطريق الى الله ، ولما يصطنعونه من مجاهدة النفس ومحاربة يرى أن القلب دليل على عدم الاخلاص في عبادة الله » (١) .

(١) روض القلوب المستطاب ص ٢٨٣ .

(٢) الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجرى ص ٤٤ .

(٣) ابن عطاء الله ونصوفه ص ٤٤ .

وان كان هناك من فرق بين رأى « ابن عربى » ورأى « الشاذلى » فهو أن ابن عربى يلج في « تحريم تغيير الشيوخ بل وزيارة غيره بدعوى أن يجد عند هذا الآخر افضل وأيسر ، اذ هو يرى أن التقلب دليل على عدم الاخلاص في عبادة الله » (١) .

أما الشاذلى فقد كان متسامحا في هذه الناحية ، وكثيرا ما كان ينصح بعض المريدين بالتوجه الى غيره من الشيوخ اذا كان في ذلك نهوض لحالهم (٢) .

ولا يتعارض رأى « ابن عربى » مع سلوكه الخاص فقد عرفنا أنه صاحب كثيرا من الشيوخ قدره بعض المترجمين لحياته بخمسة وخمسين شيخا ، لأنه كان متمكنا من حاله لا يخشى عليه من ذلك التغيير ، ولم يكن اصطحابه لهؤلاء الشيوخ الا طلبا في الاستزادة من « البركة » التى يحملونها ورغبة في التعرّف الى أحوالهم وتراضعا لهم . أما المريد الذى يقدم له « ابن عربى » هذه النصيحة فهو الذى عرضه للوساوس والأوهام ، وهو يخشى عليه من تقلبه وتردده بين الشيوخ انقراط العزيمة وانحلال العقد وضياح الاخلاص .

وضرورة اتخاذ الشيخ في رأى « ابن عربى » وغسيه من الصوفية لا تتنافى مع استعمال العقل الذى اعتز به الاسلام فالعقل ضرورى فى النواحي التى أوصى الله سبحانه وتعالى باستعماله فيها وذلك مثل التفكير في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار للاستدلال من ذلك على قدرة الله تعالى وعظمته وأحاطته ، وهذه درجة عظيمة من درجات العبادة ، أما استعمال العقل في الوصول الى ذات الله فمتهى عنه .

(١) ابن عربى ص ١٢٨ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية مادة « شاذلى » .

فإذا ما علم ضرورة اتخاذ الشيخ وجب على المريد أن يراعى مع هذا الشيخ آداباً معلومة حتى يمكنه الاستفادة الكاملة من مصاحبته ، ومن هذه الآداب في رأى « ابن عربى » أن يكون باراً باستاذة والا يعترض عليه بقلبه أو بلسانه ، وأن يكون بين يديه « كالميت بين يدى الغاسل » وأن يكون مطيعاً لكل ما يصدر إليه من الشيخ من تعليمات وأن يقتفى خطواته وأن يحترمه في غيبته وحضوره وأن يتحصب إليه دائماً وأن يؤثره على نفسه (١) .

وليس في ذلك الغاء لشخصية المريد ولكنه تثبيت لها ، لأن الهدف من وراء ذلك تنقية النفس من كافة شهواتها وفي مقدمتها الرغبة في التسلط والغرور ، ولن يقضى على ذلك إلا إذا قلمت أظفارها بالخضوع الكامل الذى يمحى الإرادة لمن يستطيع القيام بهذه المهمة الخطيرة ، فهو بذلك يمتدح النفس ليحيى معالم الروح ، ويقضى على الأثرة ليقيم معانى الأيثار ، وليس ذلك غريباً ، فالتواضع رفعة والكبرياء ذل وقد امتدح الله قوما يحبهم ويحبونه بأنهم أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين ، وإذا كان الله قد أمرنا بخفض جناح الذل من الرحمة لوالد الجسد فمن الأولى أن يكون ذلك الخفض لوالد الروح ورسالته أشرف ومهمته أقدس .

وأدب الصوفية مع شيوخهم مستمد من أدب الصحابة مع الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول الله في حقه : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » (٢) ، ويقول في حقه : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » (٣) وشيوخ الصوفية

(١) الأمر المحكم ص ٥ - موائج النجوم ص ١٠٢ .

(٢) النساء ٦٥ .

(٣) الأحزاب ٦ .

يسيرون على قدم رسولهم الكريم - ويؤدون واجبهـم نحو رسالته السامية ، فاليد أن يتحلى تلاميذهـم بالأدب الذى كان يتحلى به الصحابة مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

## ٢ - الخلوة :

ويأمر الشيخ مريده بالخلوة إذا رأى فى ذلك ما يصلحه ، وعلى المريد حينذاك ألا يبارحها إلا بأذن شـيخه فى الحدود التى ترضحها أصول الطريق ، وهى أن يكون خروجه لأداء جماعة أو قضاء حاجة أو سعى فى ضرورات الرزق .

فإذا ما خرج فعليه أن يكون غاضى البصر معلق القلب بالله ذاكرا له بلسانه مغلقا سمعه عن كل ما يؤذيه فى باطنه أو يقطع عليه تأمله ونكره وحضور قلبه وهمته .

وفى الخلوة يمارس ألوانا من الذكر والتسبيح وتلاوة القرآن ، وهـيـغ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقد يطالع بعض الكتب الصوفية والشرعية التى تعينه على وقته .

وتثمر الخلوة فى رأى الشيخ الأكبر وغيره من الصوفية ثمارا عظيمة متى روعى فيه أدبها المطلوب وهو لا يخرج عما أشير إليه ، يضاف إليه الاقلال من الطعام وطول السهر وكثرة التأمل .

وهذه الثمار الياـنعة للخلوة تظهر فى العفة والطهارة وذلك بسبب البعد عن المغريات ، وفى الزهد لأنه أصبح حالا للقلب بما أنطبع فيه من كراهيته للدنيا وتعال على مبادئها ، وفى التجريد الذى يعد قمة أحوال الصوفية وذلك بما يصحب المريد من تفويض كامل وتركـل حقيقى ، ويصل به الى مقام البتول مريم التى كانت « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال : يا مريم ، أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ، أن الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

كما أن من ثمارها التواضع الذى ينشأ عن شهود الافتقار الكامل الى الله ومشاهدة عظمتة وقدرته وهيئته ، وكلما اشتدت هيبة المريد لله ازداد انصاحه والشعور بضعفه وذله ، ومن كلام ذى النون المصرى « من أراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله فانها تذيب وتصفو ، ومن نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لأن النفوس كلها فقيرة عند هيئته » وهذا المعنى مستمد من قوله تعالى : يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد (١) .

ومن ثمار الخلوة الصفاء كما هو ثمرة للتواضع أيضا ، ويفهم ذلك من قول ذى النون السابق . والصفاء هو المقدمة الكبرى لما يأتى بعد ذلك من نتائج قيمة في الطريق الصوفى ، والصفاء ينتج عن انجلاء مرآة القلب بذهاب ما تراكم عليها من ظلمة وكثافة وبانجلائها تصبح قابلة لمختلف الادراكات الذوقية والكشفية .

وينتج عن الخلوة مدى استعداد المريد لبلوغ المقامات والأحوال المختلفة كالتوكل وما يترتب عليه من تسليم وتفويض والمحبة وما تستتبعه من شوق ووجد وأنس وقرب ، والمعرفة وما تحققه من فناء وبقاء .

### ٣ - استخدام الوقت :

ويعتنى « ابن عربى » شأنه شأن غيره من الصوفية بتدبير الوقت وحسن استخدامه والمتتبع لكلامه في كتبه وبخاصة الأنوار ومواقع النجوم يرى كيف يلح على ضرورة استفادة المريد من وقته الذى هو كالسيف ان لم يقطعه المريد بالعمل قطعه الوقت بالملت .

والوقت لابد أن يكون مقسما بين فعل الخير والعبادة ، ويدخل

---

(١) فاطر ١٥ .



في نطاق فعل الخير السعى في اكتساب الرزق الحلال وفي الاحسان والتصدق واعانة الغير وعيادة المريض وتشجيع الجنايز والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من أفعال الخير التي لها صلة وثيقة بترقية المجتمع ، ويدخل في نطاق العبادة كل ما يعود على النفس من تخلية وتصفية وتحلية . فالتخلية بالتوبة ، والتصفية بالرياضة والتخلية بالذكر والتسبيح والتلاوة وما شابه ذلك .

على أن ذلك كله لا يمكن أن يؤتى ثماره المطلوبة ما لم يكن تحت ارشاد شيخ ، ويتصل بذلك في حسن استخدام الوقت محاسبة النفس ومراقبتها ، حتى يقطع الطريق على وساوسها وخطراتها ، والمحاسبة لها أثر كبير في تهذيب النفس وترقية الوجدان وتحسين السلوك ، وعليها يتوقف نجاح المريد في الوصول .

ويرى « ابن عربي » أن يقسم المريد ليله ونهاره تقسيما دقيقا ويختص كل ساعة بأعمال صالحة معينة ، وقد فصل ذلك في كتابه « كنه ما لا يد للمريد منه » ووضع تخطيطا اجماليا لتوزيع الساعات بما يشغل أوقات الفراغ من تلاوة ومحاسبة وفكر<sup>(١)</sup> .

وتدبير الوقت له أثر كبير في تنظيم الحياة لدى الصوفية ، ولذلك نراهم لا يشكون من أوقات الفراغ كما يشكو غيرهم ، ولكننا نراهم كثيرا ما يشكون من ضيق الوقت الذي لا يسعفهم بأداء حقوق الله الواجبة الأداء وشاعرهم يقول في ذلك :

وزادى قليل ما أراه مبلغى الزاد أبكى أم لطول مسافتي

ويعتج المحاسبة اطمأنوا في حياتهم ، وفرغوا من القلق النفسى الذى نغص حياة كثير من الأفراد ، لأنهم أقاموا من خسمائهم سلطانا حيا ، يراقب تصرفاتهم وسلوكهم ، ولذلك ارتفعوا بنفوسهم

• (١) ابن عربي ص ١٥٦ .

عن الانانية وحب الذات ، كما بعدوا عن مسالك النفاق ومدارج  
الظهور .

## ٤ - الأخوة :

اعتنى « ابن عربى » بالأخوة فى الله وحياته الطويلة الحافلة  
قضاها فى صسحة اخوان صادقين كان يعتز بأخوتهم ويتغنى  
بصداقتهم ويسعى فى حاجاتهم ويؤثرهم على نفسه ، وكان يتحدث  
كثيرا عن الأخوة التى تربطه بغيره ممن اتفق مشربه واتحد هدفه  
معه . وهو يذكر شيوخه وأخوانه فيقول عنهم « وما من واحد  
الا وعاشرته معاشرة مودة وامتزاج ومحبة منهم فينا » .

و « ابن عربى » يكره التكلف بين الاخوان بل يحب أن يتعاملوا  
فيما بينهم بالانيساط وعدم التكلف ، وله كتاب أشار اليه فى  
مجلس جماعة من أصدقائه الذين كانوا يحتشمونهم اسمه : « الارشاد  
فى خرق الأدب المعتاد » وكان يهدف من الإشارة اليه أن ينبسطوا  
معه فى مجلسه ويكفوا عن التكلف والسكون . وهذه الناحية  
السلوكية تدل على مدى عنايته بالاخاء فى الطريق الصوفى ، ولذلك  
نجدته ينص عليه كثيرا فى رسائله ومصنفاته ، ويرى أن الأخوة  
تعين على السفر وتبديد الوهن فى العزم وتقوى الهمة وتبعد الملل .

ويرى « ابن عربى » أن المرید ينبغي أن يكون ايثارة غير قاصر  
على اخوانه ، بل يجب أن يشمل أفراد المسلمين ، فهذا من صفات  
الصديقين فعليه أن يبذل ما له بسخاء وأن يخدم الفقير وأن يعين  
المحتاج وأن « يعين الحمال على رفع حملة وأن يعنى بالمرضى ، وأن  
يهدى الضال ، ويتبغى عليه أن يفضل الفقير على الغنى دائما ،  
وفى ذلك لون من ألوان الشجاعة الأدبية ، ومظهر يدل على قوة  
الشخصية التى تنأى عن مواطن الرياء والمداينة . . وعلى الصوفى

أن يسير في الطرقات مزيلا ما يعترضها من عقبات تقف دون سير الغير من أحجار وأشواك» (١) .

هذه السعة الخلقية التي يراها « ابن عربي » لازمة للمريد وضرورة من ضرورات سلوكه في مجتمعه غير مفرق بين أفراد هذا المجتمع ، هي التي تحتم على المريد أن يكون سلوكه من باب أولى مع أخوانه غاية في الايثار والتعاون والصفح والمودة والرعاية .

#### ٥ - ما يعين على بلوغ الغاية :

ولم يترك « ابن عربي » التنويه على الأسباب التي من شأنها تبلغ بالمريد الى أعلى درجات الرقى والكمال وهي كثيرة سبقت الإشارة الى بعضها ومن بين هذه الأسباب :

١ - المحاسبة : وهي تعد ركنا أساسيا في الطريق الصوفي ، وعمادها الشرعى قوله عليه الصلاة والسلام : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

وأثرها النفسى قوى لأنها تترك المرء يصلح نفسه أولا بأول ، وقد اعتنى الصوفية قديما وحديثا بهذا الأساس ، « وابن عربي » له في ذلك تجربة عملية فقد صاحب بعض الشيوخ الذين كانوا يحاسبون أنفسهم على ما يقولون ويفعلون ، فزاد هو عليهم محاسبة نفسه على خواطره ، وتلك مرتبة عليا وجديرة بأن تبلغ يصاحبها الى الكمال الخلقى والروحي .

٢ - الدعاء : ويعتنى « ابن عربي » بالدعاء على انه أحد الأسباب التي يبلغ بها المريد غاية الطريق ، والدعاء يتنوع بين صلاة وذكر وتأمل وتلاوة .

---

(١) ابن عربي ص ١٥٣ .

(١) الصلاة ، وهى فى اللغة الدعاء ، وتجمع بين الابتهاال والتسبيح والمناجاة والتلاوة والصلاة على النبى فى أدائها ، وهى اذ أدبت على شريطتها المطلوبة حققت معنى الخشوع والخضوع والانتقياد الكامل وحصول الأنس واستحضار الهيبة وأصبحت الصلة الحقيقية بين العبد وربّه ، وتنوع الصلاة بين الفرض والخفل ، وهى كلما ازداد المرید إقامة لها ازداد اقبالا على الله وقربا منه ومحبة له .

(ب) الذكر ، وله اثر نفسى رائع ، فبذكر الله تطمئن القلوب ، وله اثر روحى يظهر من قوله تعالى : اذكرونى اذكركم ، ومن الاثر القدسى : اذا ذكرنى عبدي فى ملا ذكرته فى ملا خير من ملته .

والذكر يورث الصفاء ويعمر القلب لأنه يقوم بمهمة التصفية والتحلية اللتين تعقبان التخلية ، والتخلية ( أى تخلية القلب من آثاره المذمومة ) تكون بالاستغفار والتوبة والندم ، فاذا ما طهر القلب وجب شغله وتعميره ، ويتم ذلك بواسطة الرياضة والذكر ، والذكر يورث أنوارا تتمكن فى القلب وتكشف أمامه الحجب .

(ج) التأمل ، وهو ضرورى للمريد لأنه عبادة الصديقين ، والتأمل فى رأى « ابن عربى » لا يكون فى ذات الله ، استنادا الى الاثر الوارد : تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله ، والاثـر الوارد : البـحث عـن الذات اشـراك والعـجز عـن الادراك ادراك . ويورد ابن عربى فى ذلك شعرا :

قل لامرئ رام ادراكا لخالقه  
العجز عن درك الادراك ادراك  
من دان بالحيرة الغراء فهو فتى  
لغاية العلم بالرحمن ادراك  
واى شخص أبى الا تحقيقه  
فان غايته جحد واشـراك

## فالعجز عن درك التحقيق شمس ضحي جرت بها فوق جو النسك افلاك

فالقائل في رأى « ابن عربى » يجب أن يكون للعظة والاعتبار  
ولادراك قدرة الله وسعة حيطته وعلمه وأنه فعال لما يريد ، وذلك  
مطلوب شرعا لقوله تعالى : « ان في خلق السموات والأرض واختلاف  
الليل والنهار آيات لأولى الألباب - الذين يذكرون الله قياما وقعودا  
وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض : ربنا ما خلقت  
هذا باطلا ، سبحانه فقنا عذاب النار » (١) .

أما التفكير في ذات الله فممنهى عنه في رأى « ابن عربى » بمقتضى  
الفهم من قوله تعالى « ويحذركم الله نفسه » (٢) أى لا تتفكروا فيها .

وهذه حقيقة اتفق الصوفية وغيرهم عليها ، « فالمصارف المحاسبية  
يقول : اكمل العاقلين من أقر بالعجز أنه لا يبلغ كنه معرفته . وهذه  
حقيقة لا مرأ فيها وهى العجز عن ادراك ذات الخالق ، ومن حاول  
أن يدرك فعجزه دون الغاية وأقرب بعجزه فهو غاية الادراك ، والعجز  
كله لكل المخلوقات حتى الملائكة التى تحف بالعرش ، وهى الرقائق  
النورانية ، وقد التقى في ذلك صوفية المسلمين وفلاسفتهم » (٣) .

وفي الحقيقة ان الاعتراف بالجهل في هذه الناحية هو عين  
المعرفة ، لأنه دليل تام على عظمة الله وأحاطته وقدرته الخارقة التى  
لا يحيط بها علم ولا يدركها عقل . نقل صاحب الشذرات عن ابن  
عربى قوله : « أجمعت الطائفة على ان المسلم بالله عين الجهل به  
تعالى » (٤) .

(١) آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) آل عمران ٢٨ .

(٣) عبد العزيز الأهل - منبر الإسلام رجب ٢٨٦ هـ .

(٤) الشذرات ج ٥ ص ١٩٦ .

وقد عبر عن هذا المعنى أحد صوفية العصر الحديث هو شيخنا  
السيد محمد علي منصور الأقدمي قائلا فيما كان يردده أحيانا :

عجزت - نعم - عن درك سر وجودي  
وجهلت حتى صار جهلى شهودي

واجلاء الصحابة الذين كانوا نبراس هدى لنا ورد عنهم ذلك  
الاقرار بالعجز الذى هو عين الادراك ، فقد سئل أبو بكر الصديق  
رضى الله عنه : بم عرفت ربك ؟ قال عرفت ربى برى ، قيل : وكيف  
عرفته ؟ قال : العجز عن الادراك ادراك .

( د ) التلاوة : وقد ادرك ابن عربى سرها منذ كان مصاحبا  
لوالده ورآه مواظبا على تلاوة القرآن الكريم وادرك منه سر الاثر  
المشهور « يس لما قرئت له » فقد تلاها عند رأسه وهو مريض فى  
غيبوبة الحمى ، فرأى أجساما نورانية لطيفة تحيط به وتدفع عنه  
أذى المرض ، ويروى عنه صاحب كتاب ابن عربى هذه القصة التى  
وردت فى الفتوحات « مرضت فغشى على فى مرضى بحيث انى كنت  
معدودا فى الموتى ، فرأيت قوما كريهين المنظر يسريرون اذائتى ،  
ورأيت شخصا جميلا طيب الرائحة شديدا يدافعهم عنى حتى قهرهم ،  
فقلت له : من انت ؟ فقال : أنا سورة يس أدفع عنك ، فافقت من  
غشيتى تلك ، واذا بأبى رحمه الله عند رأسى يبكى وهو يقرأ سورة  
يس وقد ختمها فأخبرته بما شهدته » .

وادرك سر سورة الفاتحة وهى أم السكتاب من فاطمة بنت  
ابن المنذر القرطبي فقد كانت تتلوها فيتيسر أمامها كل مطلوب ،  
ويروى « ابن عربى » عنها قولها : انى والله لمتعجبة ، لقد أعطانى  
حبيبى فاتحة الكتاب تخدمنى فوالله ما شغلتنى عنه » .

ويعلمنا « ابن عربى » كيف كانت تقرأ هذه المرأة الفاتحة

فيقول : - « انشأت تقرأ فاتحة الكتاب وقرأت معها ، فعلمت مقامها عند قراءة الفاتحة ، وذلك أنها تنشئها بقراءتها صورة مجسدة مرئية » .

ومن الشيوخ الذين صاحبهم ابن عربي يواظبون على تلاوة القرآن « محمد بن قسوم الأشبيلي » الذي يقول عنه : « انه يتروم بالقرآن ويتلذذ به تارة في حضرة التوحيد وتارة في الجنة وتارة في الاعتبار وتارة في الأحكام بحسب ما تعطيه الآية حتى يصبح فيخرج من صلاته وقد اطلع على علوم كثيرة في تلاوته من الله تعالى ، لم تكن عنده فهمه الله تعالى إياها من القرآن » .

وتلاوة القرآن لها حقا ذلك السر العجيب ، وصاحبها من الذين لهم تجارة رابحة « ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور » (١) .

وآداب التلاوة عند « ابن عربي » يوضحها بقوله : - « اذا وفقت الله وتريد أن يسمع الحق جل اسمه منك تلاوتك ويرسمك في ديوان التالين ، فأعلم منازل التلاوة ومواطنها ، وذلك أن تعلم أن على اللسان تلاوة وعلى الجسم بجميع أعضائه تلاوة وعلى النفس تلاوة وعلى القلب تلاوة وعلى الروح تلاوة . فتلاوة اللسان ترتيل الكتاب على الحد الذي رتب المكلف له ، وتلاوة الجسم المعاملات على تفاصيلها في الأعضاء وتلاوة النفس التخلق بالأسماء والصفات ، وتلاوة القلب الاخلاص والفكر والتدبر وتلاوة الروح التوحيد » (٢) .

## ٦ - المقامات والاحوال :

الحال يطلق لغة على الوقت الذي ائت فيه وما عليه الشخص من خير أو شر ويطلق اصطلاحا لدى الصوفية على المعنى الذي يرد

(١) سورة قاطر ٢٩ .

(٢) مواقع النجوم ص ٨٢ .

على القلب بلا تصنع ولا اكتساب ، والمقام يطلق اصطلاحاً على ما يتحقق به العبد من الآداب مما يتوصل اليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف « (١) » .

والمقامات هي مراحل الطريق الى الله وفيها تظهر حقائق السالكين والمريدين كل على حسب مقدرته وعزيمته وقوة صبره في الجهاد .

وعلى هذا فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب .

ويختلف الصوفية في تحديد المقامات والأحوال على حسب انواقهم ومشاربهم ، فالغزالي رضى الله عنه يرى أن المقامات هي التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والمحبة (٢) .

وابن عطاء الله السكندري يرى أنها هي التوبة والزهد والصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والتوكل والمحبة (٣) .

والطوسي - رضى الله عنه - يرى أنها التوبة والورع والزهد والفقر والتوكل والرضا (٤) .

أما ابن عربي فيذكر « أسين بلاثيوس » في كتابه أن أهم المقامات التي يذكرها هي « الفتوحات » هي التوكل والشكر والصبر والرضا والعبودية والاستقامة والاخلاص والصدق والحياء والحرية والخير والولاية والرسالة والنبوة والمحبة ، وفي كتابه « تحفة السفرة » و « مواقع النجوم » يذكر بعض المقامات الرئيسية مثل : الاستواء والتسليم والأنس والخوف والرجاء واتحاد الإرادة مع إرادة الله (٥) .

---

(١) الرسالة القشيرية .

(٢) الأحياء الجزء الرابع .

(٣) التصوف في الشعر العربي .

(٤) اللمع للطوسي ص ٦٥ .

(٥) ابن عربي حياته ومذهبه ص ١٩١ .



ومن هذا ندرك أن ابن عربي بينه وبين غيره من الصوفية موافقة على بعض المقامات كما أنه انفرد عن غيره بذكر بعض المقامات كما انفرد غيره كذلك .

واختلافهم راجع الى تعدد الأذواق وهي قواعد غير ثابتة ولكنها اجتهادية تدرك من واقع ما يكشف لهم من علوم ومعان ، فما يكشف لهذا قد لا يكشف لذاك وما يدركه رجل قد لا يدركه رجل آخر .

## ٧ - أسرار العبادات :

وابن عربي في دعوته الى التمسك بأسباب النجاة ووسائل الكمال وفي مقدمة ذلك المواظبة على العبادات المختلفة لا يغفل عن أسرار هذه العبادات وما تهدف اليه من غايات وتربية للروح وإيقاظ للمشاعر .

وهو في ذلك ينبه على أهمية الشرع وضرورة إتباعه وعدم الغفلة عنه لما يحتوي عليه من دقائق يفتن اليها اليقظ ويغفل عنها الكسول .

والشرع في رأى « ابن عربي » ليس قسرا والحقيقة لها كما يرى البعض ، ولكن الشرع في رايه شجرة فارعة ثمارها الحقيقة والمعرفة، وكلما أعمق المرید في ممارسة الشرع ظهرت له حقائق وتكشفت أمامه أسرار لا يمكن أن يدركها من غير طريقها الأساسى وهو إقامة الشريعة على أصولها .

ولذلك نسمعه ينبه مرارا على أن العلم الحقيقى لا يمكن إدراكه بغير الشرع وتطبيق محكم الكتاب والسنة - وقد مر بنا بعض النصوص الواردة في ذلك - ونضيف اليها قوله : - « لا يصح لعبد مقام المعرفة بالله وهو يجهل حكما واحدا من شرائع الأنبياء

فمن ادعى المعرفة واستشكل حكما واحدا في الشريعة المحمدية  
أو غيرها فهو كاذب» (١) .

ويقول الشعرائي تعليقا على ما فهمه من قول « ابن عربي » في  
كتابه الفتوحات حول هذا المعنى « يجب على الولي متابعة العمل  
بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله تعالى له في قلبه عين الفهم عنه فيلهمه  
معاني القرآن ويكون من المحدثين » (٢) .

ومما يدل على تعمقه الى باطن الأشياء قوله في الباب الخامس  
والعشرين من الفتوحات : « ان معنى « عبدة » في قوله تعالى  
« ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار » من العبور لا من الاعتبار . ومعنى  
ذلك لا تقفوا على ظاهر الأمر بل عبروا من مظاهر تلك الصورة  
الى باطنها » (٣) .

ولكى ندرك مدى عناية ابن عربي بالتنبيه على أسرار العبادات  
نستمع اليه وهو ينصح المريـد وهو يتأهب للصلاة بقوله : - « فإذا  
توضأت فاسع في الخروج من الخلاف وتوضأ أسبغ وضوء ، وسم الله  
في بدء كل حركة ، واغسل يديك بترك الدنيا منهما ، ومضمض بالذكر  
والتلاوة ، واستنشق بشم الروائح الالهية ، واستبر بالخشوع وترك  
الكبر ، واغسل وجهك بالحياء ، وذر أعينك بالتوكل ، وامسح رأسك  
بالمثلة والافتقار والاعتراف ، وامسح أذنيك باستماع القول واتباع  
أحسته ، واغسل قدميك لايطاء كثيب المشاهدة ، ثم اثن على الله بما  
هو أهله ، وصل على رسوله الذي أوضح لك سنن الهدى صلى الله  
عليه وسلم ، وقف في مصلاك بين يدي ربك من غير تحديد ولا تشبيه ،

---

(١) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٩٦ .

(٢) الكبريت الأحمر ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ص ١٦ .

وواجهه بقلبك كما تواجه الكعبة بوجهك وتحقق أن ما في الوجود أحد إلا هو وانت فتخلص ضرورة ، وكبره بالتعظيم ومشاهدة عبوديتك وإذا تلوت فكن على حسب الآية المتلوة فان كان ثناء عليه فكن أنت المحدث وهو الذى يتلو كتابه عليك فيعلمك الثناء عليه فيما يثنى به على نفسه ، وكذلك فى آية الأمر والنهى وغير ذلك لتقف عند حدوده وتعرف ما وجه عليك سيدك من الحقوق فتحضرها فى قلبك لأدائها والمحافظة عليها ، والحرص ناصيتك بيده فى ركوعك ورقعك وسجودك وجميع حركاتك فتسقط لك الدعوى فى هذه الملاحظة حتى تسلم ، فإذا سلمت فابق على عقدك أنه ما ثم أحد غيرك وربك سبحانه ، وسلم باللفظ على من أمرك فان سلامك على نفسك «(١) فهو فى هذا النص المنقول من التدبيرات الالهية يدرك السر من التعبد وينبه على ملاحظته عند ممارسة العبادة .

يقول فى الباب الثامن والستين من الفتوحات : اشترطت النية فى التيمم ولم تشترط فى الوضوء لأن الماء سر الحياة فهو يعطى الحياة بذاته سواء قصد أو لم يقصد بخلاف التراب لأنه كثيف لا يجرى على العضو ولا يسرى فى وجه القصد فاقتصر الى القصد الخاص بخلاف الماء(٢) .

وهذا ادراك خاص لسر من أسرار الطهارة بالماء والتيمم .  
وله فى معنى الاستنشاق فهم رائع يوضحه فى هذا الباب ، « فالاستنشاق بالماء فى الأنف لأن الأنف محل العزة والكبرياء والماء طهارة ، فكان فى ذلك إشارة الى نثر الكبرياء والتبرى منه بالانقياد والخضوع لله(٣) » .

(١) ابن عربى ص ١٦٦ .

(٢) الكبريت الأحمر ص ٣٠ .

(٣) محاضرة الأبرار ج ١ ص ١٦٣ .

ويفهم من الصلاة سر اشتقاقها من « المصلى » وهو الذى يلى  
السابق فى الحلية ، والسابق هنا هو التوحيد ، والمصلى هى الصلاة ،  
ويشهد لذلك حديث : بنى الاسلام على خمس •  
« وابن عربى » يفهم من معنى استلام الحجر الأسود فى أداء  
فريضة الحج معنى ساميا يقضى بالمبايعة لله ، وهو ينظر الى الأثر  
الوارد : الحجر يمين الله فى الأرض • وينشد :

من يطع الإرسال صدقا فقد	أطاع من أرسلهم والسلام
كمثل من بايع معبوده	وانما بايعه فى الإمام
وقد أتى أوضح من ذا وذا	فى الحجر الأسود بالاستلام
فقل لمن يفهم ما قلته	بعد الذى سمعته : لا كلام

كما يدعو فى أبيات أخرى الى تقبيل الحجر الأسود مشيرا الى  
مداومة الاتباع ورعى المودة وحفظ الزمام ومنبها على رتبة المعرفة •  
يمين المؤمن الركن اليماني      أبايعه لأحظى بالأماني  
يمين مالهها حجب تعالت      عن الحجاب والحجب الماني  
أمنت بلثمها من كل سوء      يصيرنى الى دار الهوان<sup>(١)</sup>

وهذه الأسرار التى توصل اليها الصوفية من العبادات هى  
المفهوم الزائد لهم ، وهى الخاصية الدقيقة التى أطلق عليهم من  
أجلها : علماء الحقيقة ، ولقد فهم الصوفية ذلك لأنهم تناولوا معنى  
العبادات بأرواحهم وأقاموها بأركانها وشعائرها الحقيقية المطلوبة  
وكان الاخلاص رائدهم فى اقامتها ، وذلك هو المطلوب فعسلا لقوله  
تعالى « فاعبد الله مخلصا له الدين » ولقوله « وما أمروا الا ليعبدوا  
الله مخلصين له الدين حنفاء » والاخلاص هو روح العبادة ، وهو سر  
من أسرار الله يضعه فى قلب من يشاء من عباده • وبالاخلاص  
استنارت قلوبهم فأدركوا من المعانى ما لم يدركه غيرهم •

(١) محاضرة الأبرار ج ١ ص ١٦٢ •

## تعبيرات في التصوف النظري :

وفي التصوف النظري الذي يعد ثمرة الجهاد المتواصل في الطريق الصوفي ، كما يعد صدق للانفعالات العنيفة التي تتولد في نفس الصوفي وتمتلئ بها روحه ، ويعد تعبيراً عن المعارف التي يتذوقها أو يكشف بها ترك « ابن عربي » في ذلك ثروة ضخمة كان لها اثرها بين الصوفية والفقهاء . وسنعرض لموضوعين من ذلك .

### ١ - الحب :

ويقصد به هنا حب الله جل وعلا ، وهو عند « ابن عربي » حب يسمو على كل شيء ويرتفع بالإنسان الى درجة من القداسة تصل به الى أعلى المراتب ، لأنه لا بد أن يكون ثمرة لما مر به من جهاد متواصل ، وتحقق به من أرفع آيات الأخلاق والفضائل .

وحب الله تضاربت فيه الأقوال بين الفقهاء والصوفية ، فالفقهاء ينكرونه على أساس أن حب الله لا بد أن يتمثل في طاعته والاعتداء بتبنيه مصداقاً لقوله تعالى « قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » ولا يجوز أن يقع الحب إلا بين متماثلين ، ولا مماثلة بين العبد والرب<sup>(١)</sup> .

ولكن الصوفية يجيزونه على أساس أن القرآن الكريم قد صرح به في قوله تعالى « والذين آمنوا أشد حبا لله » وقوله « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » وفي الحديث الشريف « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » .

وليس هنا مظهر لهذا الحب أبلغ من التذلل بذكركه والتفاني في عبادته والتعظيم لاسمه والهيام بجماله ، والتعبير عن ذلك بما يشبه

---

(١) الأدب الصوفي في مصر ص ٩٥ .

الغزل الحسى صوونا لهذه العاطفة النبيلة المستكنة فى القلب  
والشعور .

قال الدكتور زكى مبارك « تكلم الصوفية جميعا فى الحب  
لأن هذه الحال هى الفاصل بينهم وبين أهل الشريعة الذين يعبدون  
الله طمعا فى الثواب وخوفا من العقاب ، ولا يستقيم حال المتصوف  
الا اذا فرغ من دنياه وأخراه فلا يكن له ما رب الا لقاء الحبيب» (١) .

وحب الله غاية نبيلة لدى الصوفى — ولدى ابن عربى بصفة  
خاصة — وهو طريق للمعرفة الكاملة عنده ، فهو يرى أن المحبة  
أشواق واحتراق ، أما المعرفة تمكين وثبات ويعبر عن ذلك بقوله :  
الحب اذا سكت هلك ، والعارف ان لم يسكت هلك (٢) .

ولأن المحبة طريق المعرفة يفسر هذا البيت الوارد فى ترجمان  
الأشواق :

عهدى بمثلك عند بانك قاطفا

ثممر الخدود وورد روض أيتع

يقوله : — « كم شهدت من محب مشتاق بروضك يقطف من  
ثمار معارف القيومية ، يعنى التخلق بها ، وقد اختلف أصحابنا فى  
التخلق بصفة القيومية ومذهبى التخلق بها ، وفيما تحمله الوجنات  
من الحمرة المستفادة من ( ورد روض أيتع ) اشارة الى مقام  
الحياء الذى نتج عن المراقبة والمجاهدة » (٣) .

---

(١) بين التصوف والأدب ص ٨١ .

(٢) رابعة المدوية ص ١٢٥ .

(٣) ذخائر الأملق ص ١٠٤ بتصوف .

وقد تقلب « ابن عربي » فى مقام الحب ، واصطفى بناره وله فى ذلك آثار رائحة سبق الاشارة الى بعضها - ولا يفى المقام بالافاضة فيها - وخلص من مقام الحب الى مقام آخر قصرت عنه عزائم الكثيرين وهو مقام المعرفة الذى ظفر فيه عن جدارة بلقب « سلطان العارفين » ومن أهم هذه الآثار : ترجمان الأشواق ، الذى يقول فى مقدمة شرحه :

ليت شعري هل نروا	أى قلب ملكوا ؟
وقوادي لسو درى	أى شعيب سلكوا
اتراهم سسالموا	أم تراهم ملكوا ؟
حسار آرياب الهسوى	فى الهوى وارتيكوا

وهذا تصوير لحيرة العاشق ، والحب عند « ابن عربي » ليس كلاما يقال ، أو أشعارا تروى ، ولكنه أخلاق ومدارج ومعارج تسفك فى الصعود اليها الدماء وتطل الأرواح .

ولا يكمل مقام الحب حتى يضيفى عليه الحب ثوبا قشيبا من الخير والتسامح ونكران الذات ، وحتى يؤمن بنظرية الشمول الواسعة فى الرحمة والمحبة ، فالخلق جميعا مظهر قدرة المحبوب الأعلى ، وهم على اختلاف مذاهبهم لا يخرجون عن دائرة إرادته ومشيئته فلماذا يكن لهم بغضا أو يحمل لهم ضغنا ؟

وابن عربي صاحب القصيدة المشهورة التى يقول فى آخرها :

أدين بدين الحب أتى توجهت

ركائبه فالحب دينى وإيمانى

وهو حريص على الرمزية فى حبه شأنه فى ذلك شأن غيره من الصوفية حرصا على المعانى والأسرار وصونا للقداسة والروحانيات التى أدركها ، ومن ذلك قوله فى ترجمان الأشواق :

سلام على سلمى ومن حل بالحمى  
 وحل لثلى رقة أن يسلم  
 وماذا عليها أن ترد تحية  
 علينا ، ولكن لا احتكام على الدمي  
 سرروا وظلام الليل أرخى سدوله  
 فقلت لها : صبا غريبا متيما  
 فأبدت ثيابها وأومض بارق  
 فلم أدر من شفق الحنادس متيما  
 وقالت : أما يكفيه أنى بقلبي  
 يشاهدنى من كل وقت ، أما وما ؟  
 والحب عذاب ، ويحلو التذلل في سبيله ، ويعبر ابن القارض  
 عن ذلك المعنى بقوله :  
 تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل  
 فما اختاره مضىنى به وله عقل  
 وعش سائما فالحب راحتته عنا  
 وأوله سقم وأخيره قتيل  
 أما ابن عربى فيقول :  
 إذا حلل ذكركم خطا طرى  
 فرشت خدودى مكان التراب  
 وأقعسدى الذل فى بسايتكم  
 قعود الأسارى لشرب الرقاب



ومن أجل هذا الحب الخطر الذي لا يهدأ قلب صاحبه ، ولا ينال طريقه راحة ، لأنه حب محفوف بالمخاطر ، تعرض « ابن عربي » وغيره من الصوفية للسلب بالسنّة حداد ، الى جانب ما كانوا يكابدونه في نفوسهم من عذاب الوجد ومشقة الصد ، وبعد الشسقة ، وطول المسافة ، وهم لذلك أصبحوا بين تارين : نار الحب ونار العذل .  
أليس ذلك مما يبعث الرثاء لهم والعطف عليهم والرحمة بهم ؟

## ٢ - الإنسان الكامل أو الحقيقة المحمدية :

أول من تحدث في هذا الأمر الحلاج المتوفى سنة ٣٠٩ هـ ، فهو يقول : : أنوار النبوة من نوره برزت ، وأنوارهم من نوره ظهرت ، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم ، سمته سبقت الهمم وجوده سبق العدم واسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأهم « (١) » .

وجاء ابن عربي بعد ذلك فجلى هذه الفكرة وأوضحها في مواضع متفرقة من كتبه ، وبين أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الكامل ، وفتح الطريق لمن جاءوا بعده من الصوفية الى التعبير عنها تعبيرا يختلف من واحد الى آخر على قدر مفهومه ونوقه وإدراكه .

و « ابن عربي » ينظر الى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه بشر ، ولكنه لم يكن كغيره من البشر ، فهو إنسان كامل منذ مولده ونشأته ، وهو يتقلب من كمال الى كمال ، ولذلك أعطاه الله جوامع الكلم واختصه بها ، كما أعطاه معاني الأسماء وحقائقها ، أما آدم فقد علمه الأسماء فقط .

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إنسانا كاملا فهو قد جمع الكمال من أقطاره ، في كل قول وفعل وفي كل ما يأتي ويدع ، وهو

---

(١) التصوف في الشرع العربي ص ٣٤٦ .

القدرة الكاملة والأسوة الحسنة وهو أكمل نبي وأفضل مبعوث .  
وقد اختصه الله بمقام الفردية . ولذلك أطلق عليه ابن عربى في كتابه ،  
فصوص الحكم هذا المنطوق « فص حكمة فردية في كلمة محمدية » .  
ويعبر عن حقيقة محمد الكاملة الذى يطلق عليه « الانسان  
الكامل » في كتابه شجرة الكون بقوله : « ان الله كون الأكوان اقتدارا  
عليها لا افتقارا اليها ، وكمال حكمته في التكوين وذلك لظهار شرف  
الماء والطين ، فانه أوجد ما أوجد ولم يقل في شيء من ذلك : انى  
جاعل في الأرض خليفة ، وكان وجود آدمى ، فكانت حكمته في  
وجود آدمى لظهار شرف النبی صلى الله عليه وسلم ، لأنه حكمة  
الأجساد والاستخراج كاف الكنزية : كنت كنزا مخفيا لا أعرف .  
فكان المقصود في الوجود معرفة موجدهم سبحانه ، وكان المخصوص  
بأتم المعارف قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن معارف  
الكل كانت تصديقا وإيمانا ، ومعرفته صلى الله عليه وسلم مشاهدة  
وعيانا وبغور معرفته تعرفوا ، وبفضله عليهم اعترفوا ، فاستخرجه  
من لباب حبة « كن » كزرع أخرج شطأه فآزره بصحابته ،  
فاستغلف بقرابته فاستوى على سوقه بصحة ذوقه وقوة توقه  
وشوقه » (١) .

و « ابن عربى » يؤكد أن النبی صلى الله عليه وسلم أكمل  
موجود في هذا النوع الانساني ، ولذلك بدء به الأمر وختم ، وكان  
نبيا وآدم بين الماء والطين ، وليس ادل على ذلك من أنه حين سئل  
صلى الله عليه وسلم : متى كنت نبيا يا رسول الله ؟ قال : وآدم بين  
الروح والجسد ، كما روى عنه : كنت أول الانبياء في الخلق وآخرهم  
في البعث (٢) .

(١) شجرة الكون ص ٧ .

(٢) محمد الانسان الكامل - مقال للدكتور محمد مصطفى حلمي - منبر

أما كيف كان أولهم خلقا فقد أشار الى ذلك «ابن عربى» بقوله :  
 « لما قبض الله آدم من قبضة تراب « كن » مسح على ظهره حتى  
 يميز الخبيث من الطيب ، فاستخرج من ظهره من كان من أصحاب  
 اليمين ومن كان من أصحاب الشمال ، ثم اعتصر من شجرة « كن »  
 صفوة عنصرها ، ومخضها حتى بدت زبدتها ، ثم صفاها وألقى  
 عليها من نور هدايته ، حتى ظهر جوهرها ثم غمسها في بحر الرحمة ،  
 ثم خلق منها نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم زين بنور الملا  
 الأعلى حتى أضاء وعلا ، ثم جعل ذلك النور أصلا لكل نور ، فهو  
 أولهم في المسطور ، وآخرهم في الظهور » (١) .

ورسم « ابن عربى » الطريق لمن جاء بعده ليعبر عن هذه الحقيقة  
 ومن هؤلاء « الجيلى » الذى ألف كتابا أسماه « الانسان الكامل »  
 في معرفة الأواخر والأوائل . وفيه يقول : ثم أنهم ( أى الأنبياء )  
 متفاوتون في الكمال منهم الكامل والاكمل ولم يتعين منهم بما تعين به  
 صلى الله عليه وسلم في هذا الوجود من الكمال الذى قطع له بانفراده  
 فيه ، شهدت له بذلك أخلاقه وأحواله وأفعاله وبعض أقواله ، فهو  
 الانسان الكامل ، والباقيون من الأنبياء والأولياء الكمل صلوات الله  
 عليهم ملحقون به لحوق الكامل بالأكمل ، ومنتسبون اليه انتساب  
 الفاضل الى الأفضل ، ولكن مطلق لفظ الانسان الكامل حيث وقع  
 في مؤلفاتى إنما أريد به محمدا صلى الله عليه وسلم تادبا لمقامه  
 الأعلى ومحلله الاكمل الأسنى » (٢) .

ولم يترك « ابن عربى » فرصة للتعبير عن اجلاله لهذا النبى  
 الكريم على ضوء هذه الحقيقة التى أدركها الا وجلي فيها ببيان  
 الصافي ومنطقة الوافى شعرا كان أو نثرا ، ومن ذلك ما نقرؤه له

(١) شجرة الكون ص ٦ .

(٢) الانسان الكامل ... للجيلى ج ٢ ص ٤٤ .

مباهيا يوراثته لذلك الرسول الكامل ومبايعا له ومقارنا بينه وبين  
موسى عليه السلام ، حيث ان موسى شرف بالكلام فقط ، أما محمد  
فقد شرف بالاسراء والرؤية والمشاهدة .

ورثت الهاشمى اخا قريش	باوضح ما يكون من الدليل
ابايعه على الاسلام كشفا	وايمانا لألحق بالرعيـل
اقوم به وعنه اليه حتى	ابينه لأبناء السـبـيـل
سرى في التور حتى كان أدنى	من القوسيين في ظل ظليل
وشرف بالكلام اخوه موسى	على كتب وذلك بالمسـيـل
واين العرش من واد بقماع	كما اين الكليم من الخليل ؟

## ابن عربى بين انصاره وخصومه

عبر « ابن عربى » عن الأسرار التى لاحت له فى أثناء طريقه وعن المعارف التى كوشف بها أو أدركها بذوقه ، ومن ذلك تعبيره عن الحب الإلهى وإفاضته فيه ، وحديثه عن الحقيقة المحمدية بالصورة التى أوضحها وبين رأيه فيها ، كما عبر عن مقابلاته مع الأنبياء والسابقين والأولياء والمؤمنين ، وعبر عن مشاهداته لمختلف الروحانيات التى لا تقع تحت الحس ولا يمكن أن يدركها العقل ، وعبر عن أسرار المقامات والأحوال وما يصاحبها من تأثيرات نفسية وروحية ، وتحدث عن الدقائق الخفية التى تنساب الصوفى فى نهاية طريقه فيرى أشياء تحار فيها الأفهام ويدق فيها الكلام الى غير ذلك .

و « ابن عربى » ترك ثروة سخية من غير شك فى ذلك ، وهذه الثروة عرضت أمام مجاهر النقد القديم والحديث ، وأدلى كل من القدماء والمحدثين برأيه فى قوله ، فمن معجب وناقم ومن مدافع ومهاجم .

ولكن الذى يحمد لابن عربى هو حديثه فى التعبير - على حد قول الدكتور زكى مبارك - عنه فى ذلك : انه علم الناس كيف

يخوضون في أخطر الأحاديث ثم يسلمون<sup>(١)</sup> ، قابين عريى في تعبيره عن هذه الأسرار كان متمكنا من نفسه ، لم تأخذه الدهشة ، ولم يغلب عليه « الشطح » في كل أحواله ، وكان أمينا في تعبيره قلم يصور شيئا خارجا على حدود الشريعة وكل كلمة قالها أو كتبها استطاع الصوفية أن يجدوا لها متأولا شرعيا من غير تكلف ينسبونها إليه .

### وحدة الوجود :

ولكن برغم ذلك فقد وجد بعض الطاعنين له مناقذ ينفذون منها الى الطعن عليه والنيل منه . ومن ذلك الفكرة التي أسندت إليه ، وهى فكرة « وحدة الوجود » فقد أشير إليه على أنه صاحب مذهب في الوجود ولى الوحدة ، وفي صدور الموجودات عن موجدتها ، ويصح أن نوضح المقصود بوحدة الوجود لدى الصوفية .

وحدة الوجود لدى الصوفية ناتجة عن طول تأملهم في آيات الله والآله التي أبدعها فبدا عليها أثر خلقه وأنشأته وأبداعه ، فنور الله وقدرته وجلاله وجماله يبدو على هذه الآيات كما يبدو تأثير المؤثر في الأثر ، وقد يقرب من هذا المعنى ما أراده ذو النون المصرى حين هتف يناجى ربه : - « الهى ما أصغيت الى صوت حيوان ولا الى حفيف شجر ولا خير ماء ولا ترنم طائر ولا تنعم ظل ولا دوى ريح ولا قعقة رعد الا وجدتتها شاهدة بوحدايتك دالة على أنه ليس كمثلك شيء . » ومثل هذا قول الدكتور زكى مبارك على لون من التجوز :

ومن أنت يا ربى ؟ أجبنى فأننى رايتك بين الحسن والزهر والماء

وهذا لا يقصد منه حلول أو اتصاف أو اندماج بين الخالق والمخلوق . ولكن يقصد منه ظهور قدرة الله وآثاره وعظمته في العالم بأسره .

---

(١) التصوف الإسلامى وأثره فى الأدب والأخلاق ج ١ ص ٢٠٢ .

وفي كل شيء له آية      تدل على أنه الواحد  
وهذا المعنى يعبر عنه استاذنا السيد محمد على منصور  
الأقدمي - رضى الله عنه :

واينما وليت لم أر غيره      محيطا ، ولم يدركه عبد هوام  
ومعنى يدركه أى يدرك هذه الحقيقة وهى شهود الاحاطة .  
وعبد الهوى محال أن يدرك مظاهر قدرة الله تعالى المحيطة .

فوحدة الوجود فى رأى الصوفية غيرها فى رأى الفريبيين  
والمستشرقين ، لأن الصوفية يفرقون بين الله والعالم ، ولكنهم يرون  
أن هذا العالم الظاهر لا وجود له حقا ، وإنما الوجود الحق لله  
تعالى ، فليس هو العالم ولا العالم هو (١) . أما غيرهم فيرون أن  
الروح والمادة شيء واحد .

وحقيقة هذه الحقيقة عند الصوفية قائمة على المعرفة  
الحقيقية لله ، فقد قال معسروف الكوخى : « اذا انفتحت عين  
بصيرة العارف نامت عين بصره فلا يرى الا الله » وهذا ما يعبر  
عنه الشيخ حسن رضوان فى كتابه روض القلوب المستطاب :

وكل ما سواه نجم أفل      بل فى شهود العارفين باطل  
ويعلق على ذلك بقوله : - « ان كل ما سوى الله تعالى من  
الأعيان الظاهرة والماهيات الممكنة علوية أو سفلية باطل فى شهود  
العارفين من حيث ذاته ، فلا حقيقة له أزلا وأبدا ، وإنما الموجود  
حقيقة كذلك هو ذات الحق تعالى ، وليس لتلك الأعيان والماهيات  
الظاهرة وجود حقيقى ذاتى لها » .

ويستشهد الشيخ حسن رضوان على بيان هذه الحقيقة  
وأجلاتها بقول الجيللى :

---

(١) اعلام التصوف الإسلامى لطفه عبد الباقى سرور ج ١ ص ٨٥ .

وما الخلق في التمثال الا كثلجة  
وما الثلج في تحقيقنا غير مائه  
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه  
تجمعت الاضداد في واحد اليها

وانت بها الماء الذي هو نابع  
وغير أن في حكم دعه الشرائع  
ويوضع حكم الماء والأمر واقع  
وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع

فمثل رضى الله عنه العالم بالثلج ، والحق تعالى - وله المثل  
الاعلى - بالماء ، وليس الا الماء فى الحقيقة والثلجية طارئة عليه -  
فليس الا الله والمفسر اهر لجملة الاسماء وهو الظاهر (١)

وهذه المعاني مستفادة من بعض الآثار « كان الله ولا شيء معه وهو الآن ما عليه كان » ويوضح هذا المعنى استشهاد الامام الرندي في شرحه لحكم ابن عطاء الله السكندري بقول القائل :

ان كنت مرتادا لنيل كمال  
عدم على التفصيل والاجمال  
لولا في محو وفي اضمحلال  
فوجود لولا عين محال  
شيئا سوى المتكبر المتعالى  
في الحال والماضي والاستقبال

وذلك عند شرحه لهذه الحكمة العطائية : « مما يدلك على وجود قهره - سبحانه - أن حجبت عنه بما ليس بوجود معه » (٢) .

ويفصل ابن عجيبة هذا الأمر تفصيلا عجيبا حيث يقول :

« قال بعضهم : ما رأيت شيئا الا ورأيت الله فيه ولم أره حديثا ،

(١) روض القلوب المستطاب ص ٦ .

(۲) شرح الرندی علی حکم ابن عطاء اللہ ج ۱ ص ۱۹ .



وانما هو من قول بعض العارفين : فاهل السير من المريدين يشهدون الكون ثم يشهدون المكون عنده وبآثره ، فيمتحق الكون من نظرهم اليه ، وهذا حال المستشرف ، واهل مقام الفناء يشهدون الحق قبل وجود الخلق ، بمعنى أنهم لا يرون الخلق أصلا ، اذ لا ثبوت له عندهم ، لأنهم لسكرتهم غائبون عن الواسطة فانون عن الحكمة غرقى في بحار الأنوار ، مطموس عليهم الآثار ، وفي هذا المقام قال بعضهم : ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله ، واهل الحجاب من اهل الدليل والبرهان انما يشهدون الكون ولا يشهدون المكون لا قبله ولا بعده ، وانما يستدلون على وجوده بوجود الكون ، وهذا لعامة المسلمين من اهل اليمين ، فقد اعوزهم وجود الأنوار وحجبت عنهم شمس المعارف بسحب الآثار ، ثم يستشهد ابن عجيبة بقول القائل :

لقد ظهرت فلا تخفى على احد

الا على اكمله لا يبصر القمر

لكن بطننت بما أظهرت محتجبا

وكيف يعرف من بالعزة استترا؟ (١)

وقد اكثر الصوفية في التعبير عن هذه الحقيقة حتى اوهم هذا الاكثار فكرة الخلط بين القديم والحديث ، ولكن حاشا للصوفية — وهم اعرف الناس بالله — أن يقصدوا ذلك ، وهم يستأنسون بقول على كرم الله وجهه « الحق تعالى ليس من شيء ولا في شيء ولا فوق شيء ولا تحت شيء ، اذ لو كان من شيء لكان مخلوقا ولو كان فوق شيء لكان محمولا ، ولو كان في شيء لكان محصورا ، ولو كان تحت شيء لكان مقهورا » .

وكل ما يؤكد الصوفية هو هذا المعنى المستفاد من الأثر : كان

(١) ايتاظ الهم ص ٥١ .

الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان ، فليس الكون في نظرهم كما يعتقد الغربيون شيئا واحدا لا فرق بين قديم وحديث على نحو ما فهم المستشرق « نيكلسون » في كتابه الصوفية والاسلام ، ودعواه بأن الصوفية انتهوا الى أن العالم جميعه وفيه الانسان واحد مع الله بالضرورة (١) .

وقد سبقت الإشارة الى كثير من ماثورات الصوفية التي تؤكد فهمهم حول هذه الحقيقة بما لا يتناقى مع قدرة الله وديموميته واحاطته وفرديته . ويؤكد الدكتور « عبد الوهاب عزام » ضرورة مراعاة الفرق بين فهم الصوفية وغيرهم لحقيقة وحدة الوجود بقوله : « ينبغي أن يفرق بين وحدة الوجود التي رآها بعض فلاسفة اليونان ووحدة الوجود في رأى العطار وغيره من الصوفية ، فالفلاسفة يرون أن الروح والمادة شيء واحد ، والصوفية يفرقون بين الله والعالم ، ولكن يرون أن هذا العالم الظاهر لا وجود له حقا ، وإنما الوجود لله تعالى فليس هو العالم ولا العالم هو » (٢) .

وعلى هذا الفهم يمكن أن يفسر كلام « ابن عربي » الذى يفهم منه فكرة وحدة الوجود . وهذا الكلام هو الذى أشار اليه الدكتور أبو العلا عفيفى فى دائرة المعارف الاسلامية بقوله : ويتلخص مذهبه ( وحدة الوجود ) فى عبارته القصيرة الواردة فى الفتوحات ج ٢ ص ٦٠٤ وهى « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها » وفى البيتين الآتيين الواردين فى الفصوص إشارة الى هذا المعنى :

يا خالق الأشياء فى نفسه      انت لما تخلقته جامع  
تخلق ما لا ينتهى كونه      فيك فانت الضيق الواسع

(١) التصوف عند المستشرقين ص ٢٩ .

(٢) اعلام التصوف الاسلامى ج ١ ص ٨٥ .

فابن عربى فيما ورد على لسانه من عبارات توهم فى ظاهرها فكرة الوحدة بين الخسالى والمخلوق لا ينبغي أن تفهم الا على أساس فهم الصوفية من هذه الوحدة ، وهو الذى أشير اليه فيما سبق • وقصدوا منه انه لا موجود على الحقيقة الا الله تعالى ، وليس معنى ذلك أن الله هو العالم أو العالم هو الله •

سلامة عقيدة ابن عربى :

وليس فى عقيدة ابن عربى تغيير لعقيدة التوحيد الاسلامى ، وليس من السهل الحكم على رجل كابن عربى بأنه يغير عقيدة التوحيد الاسلامى ، وهى لا اله الا الله ، وهو الذى كان يعظم الشريعة أيما تعظيم ولكنه يقرر : - « أن الحق ثابت فى الوهية قبل اثبات المثبت ، ومن كان ثابتا لا يحتاج الى اثباتك ، اذ ما ثم من تثبت الوهية من الخلق حتى ينفى ، وانما تعبد المؤمن بذلك على سبيل القلوة ليؤجره الله على ذلك » وهذا ذوق عال فى الفهم •

وأما قوله : « لا موجود الا الله » فمعناه : أنه لا موجود قائم بنفسه الا هو تعالى ، وما سواه قائم بغيره ، كما أشار اليه حديث : الا كل شيء ما خلا الله باطل ، ومن كانت حقيقته كذلك فهو الى العدم أقرب ، اذ هو وجود مسبورى بعدم ، وفى حال وجوده متردد بين وجود وعدم ، لا تخلص لأحد الطرفين ، فان صبح أن الشيخ ابن عربى قال : لا موجود الا الله فانما قال ذلك عندما تلاشت عنده الكائنات حين شهوده الحق تعالى بقلبه ، كما قال أبو القاسم الجنيد : من شهد الحق لم يرد الخلق •

وأما قوله مما يفهم منه انه جعل الحق والخلق شيئا واحدا  
مثل :

فيحمدنى واحمده ويعبدنى واعبده

فان معنى يحمدنى يشكرنى اذا اطعته كما فى قوله تعالى : « أنكرونى

أذكركم « ويعبدنى معناها يطيعنى ، بإجابته دعائى ، كما قال تعالى :  
« لا تعبدوا الشيطان » أى لا تطيعوه .

وإذا كان قد ورد فى الفتوحات العبارة التى وردت سابقا مما يفهم منها الوحدة بين الحق والخلق ، وهى : سبحانه من خلق الأشياء وهو عينها ، فقد ورد فى كثير من المواضع ما يدل صراحة على أن العالم ما هو عين الحق تعالى ولا الحق عين العالم ، ويستدل « ابن عربى » على ذلك بدليل عقلى ، وهو أنه لو كان عين الحق لما صح أن يكون الله سبحانه بديعا (١) .

وقد مر بنا فى الحادثة التى تمت بينه وبين هارون النبى عليه الصلاة والسلام ما يشير الى حقيقة رأيه وفى أنه لم يقصد هذا الاندماج بين الحق والخلق .

ولقد أفرد الشعرانى فى كتابه اليواقيت والجواهر مبحثا خاصا ينفى فيه عن الشيخ الأكبر ما الصقه به خصومه من دعوى الحلول والاتحاد مستشهدا على براءته بكلامه هو فى الفتوحات وغيرها .

وكل ما ورد عنه من الفاظ موهمة وجدت لدى ذائقى كلامه وفاهمى اشاراته متأولا صحيحا ، ومن ذلك ما يرويه المقرئ فى نفح الطيب عن محبى الدين بن عربى : « قال رحمه الله تعالى قال لى بعض اخوانى لما سمع هذا البيت :

يا من يرانى ولا أراه      كم ذا أراه ولا يرانى

كيف تقول : انه لا يراك وأنت تعلم انه يراك ؟  
فقلت له مرتجلا :

يا من يرانى مجرما      ولا أراه      أخذا  
كم ذا أراه منعمما      ولا يرانى      لاأذا

---

(١) اليواقيت والجواهر ص ١٥ بتصريف .

ويعقب المقرئ على ذلك قائلا : « من هذا وشبهه تعلم أن كلام الشيخ - رحمه الله تعالى - مؤول وأنه لا يقصد ظاهرة ، وإنما له محامل تليق به ، وكفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة فاحسن الظن به ولا تنتقد بل اعتقد ، وللناس في هذا المعنى كلام كثير ، والتسليم أحسن والله سبحانه بكلام أوليائه أعلم ، (١) » .

ومما يحكيه المقرئ عن الياقعي قوله دفاعا عن ابن عريى : « وما ينسب إلى المشايخ له محامل : الأول أنه لم تصح نسبته إليهم ، الثاني بعد الصحة يلتزم له تأويل موافق ، فإن لم يوجد له تأويل في الظاهر قل تأويل في الباطن لم نعلمه ، وإنما يعلمه العارفون ، الثالث أن يكون ذلك صمد منهم في حال السكر والغيبة ، والسكران سكرًا مباحًا غير مؤاخذ ولا مكلف (٢) » .

هذا وابن عريى دائما يؤكد أن تحصيل المعرفة لا يتم إلا عن طريق التقوى وسلامة العقيدة وقوة الايمان وحسن العمل .

### الحملات التي وجهت ضده :

وقد تعرض « ابن عريى » لحملة قاسية في حياته وبعد مماته ، بناء على ما ورد في كتبه المنظومة والمنثورة من عبارات ، وقف عندها البعض ولم يستطيعوا استساغتها ، وقد مر بنا كيف أنه اتهم في أثناء زيارته لمصر بالزندقة ، وقبض عليه ، وأوشك أن يلقي حتفه لولا أن قيض الله له من شفع له وتأول كلامه .

وقد عرضت كتب التراجم لكثير من الأسباب التي تذرع بها خصوم « ابن عريى » ومن بينها القول بوحدة الوجود التي اشرت إليها .

---

(١) نفع الطيب ج ٧ ص ١١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٨ .

كما عرضت أسماء خصومه وأسماء أنصاره .

وقد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية بعض الأسماء من هؤلاء وهؤلاء ، فذكرت من المعارضين : ابن الخياط والحافظ الذهبي وابن تيمية وابن آيأس والتفتازاني ، وعلى القساري ، والامام جمال الدين بن محمد بن نور الدين .

وذكرت من المناصرين : مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس ، وسراج الدين المخزومي ، وكمال الدين الزملكاني ، وقطب الدين الحموي ، وصلاح الدين الصفدي ، وشهاب الدين عمر السهروردي ومؤيد الدين الخجندی ، وكمال الدين الكاش ، وقخر الدين الرازي ، ومحمد المغربي أستاذ الجلال السيوطي ، وبدر الدين بن جماعة ، وسراج الدين البلقيني ، وتقى الدين السبكي ، والجلال السيوطي ، وابن كمال باشا ، وعبد الرازق القاشاني وغيرهم .

وهي قائمة جديرة ببيان منزلة هذا الرجل الذي أجبر هؤلاء جميعا - وغيرهم - على أن يكتبوا عنه مهاجمين أو مدافعين .  
بعض الأسباب التي أدت الى الإنكار عليه :

أما الأسباب التي تدرج بها خصومه ، فمن بينها القول بوحدة الوجود ، وقد سبق الحديث عن ذلك .

ومن بينها قوله « يايمان فرعون » وهذا القول غير ثابت وروده عن « ابن عربي » فقد تحقق كثير من العلماء بأنه قد دس عليه كثير من الآراء في كتبه . ذكر ذلك الشعرائي في اليواقيت والجواهر ، وقرر بأنه ذكر في الباب الثاني والستين من الفتوحات بأن فرعون من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبدا الأبد ، والفتوحات من أواخر مؤلفاته .

على أنه إذا ثبت ذلك في وروده عنه فإنه لم ينفرد وحده بهذا

الرأى ، فقد ذهب بعض السلف الى قبول ايمانه لما حكى عنه الله أنه قال : آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين . وكان هذا آخر عهده بالدنيا ، وقال أبو بكر الباقلانى قبول ايمانه هو الأقوى من حيث الاستدلال ، ولم يرد لنا نص صريح أنه مات على كفره ودليل جمهور السلف والخلف على أنه آمن عند اليأس ، وإيمان أهل اليأس لا يقبل (١) .

وابن عربى فى اجتهاده - على نص فرض ثبوت ذلك عنه - لا يؤدى الى هذه الضجة التى أثيرت حوله وأخرجه أصحابها من دائرة أهل الايمان الى دائرة أهل الكفر ، ولعمري للفتوى بإيمان فرعون ايسر من الفتوى بكفر رجل من أهل اليقين والإيمان .

وقد أورد صاحب نفح الطيب أن بعض العلماء تناول قول الشيخ محبى الدين بإيمان فرعون أن مراده بفرعون : النفس ، بدليل قوله :

قلبى قطبى ، وقسالبى أجفائى

سسرى خفسرى ، وعينه عرفائى

روحى هارون ، وكليمى موسى

نفسى فرعون ، والهوى هامائى (٢)

وعلى ذلك فيحمل كلامه على محمل الاشارات الصوفية التى يدق فهمها على كثير من العقول .

ومن الأسباب التى هوجم من أجلها ما كان يحدث به من لقاء بينه وبين أرواح بعض الأنبياء والأولياء السابقين على نحو ما سبقت الإشارة إليه ، وتلك حالة خاصة لبعض الذين اصطفاهم الله من عباده ، وقد ورد فى بعض الآثار أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف

(١) اليراقبت والجواهر ص ٦٦ .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ١١٦ .

منها لثتلف وما تناكر منها اختلف . وليس هناك تعارف أعظم من الاجتماع على معرفة الله ، فتلك هي الألفة التي تربط بين الأرواح العارفة برباط المعرفة المتين ، وليس ما يمنع لقاء هذه الأرواح التي لا يقف أمامها حجاب ولا يحول دون لقاءها حس .

كما أن من الأسباب التي أدت الى ذلك ما كأن يفيض به من تعبيرات الشوق واليهام في قصائد غزلية يظنها السامع أو القارئ موجهة الى انسان ، ولكنها في الحقيقة موجهة الى معان روحية عميقة ، واستعمل فيها الألفاظ الحسية جريا على طريقة الصوفية في رموزهم وإشاراتهم . وهو ليس وحده الذي استعمل الرموز في التعبير عن روحانياته ، ولكن كثيرا منهم لجأ الى ذلك لسببين في رأي الأستاذ الدكتور عبد الحكيم حسان : أحدهما : أن كثيرا من نزعاتهم يخالف ظاهر الشريعة فلا يمكن الإفصاح عنها خوفا من سلطان الفقهاء الذين كانوا يتبعون الصوفية بالذكير والتشهير ، ويحاولون الزج بهم في محاكمات تنتهي في بعض الأحيان بقتلهم ، والآخر أن اللغة العادية تقصر عن أداء كل ما عندهم من معان ، لأنها تقوم على الذوق أكثر مما تقوم على المنطق ، ويعبرون عن ذلك بقولهم :

وان قميصا خيط من نسج تسعة

وعشرين حرفا عن معاليك يقصر

فلم يجد الصوفية - إذن - وسيلة يمكن التعبير بها عن معانيهم وأذواقهم الا الرمز الذي لم يجر على قاعدة واحدة سار عليها الصوفية ، وانما اختلف باختلاف الموضوعات التي تناولوها (١) .

يقول الدكتور محمد مصطفى حلمي : « ومن هنا ذهب فريق من المتعصبين على التصوف والصوفية تعصبا قوامه سوء النية

---

(١) التصوف في الشعر العربي ص ٨٧ .



أو نقص الفطرة أو العجز عن فهم الحقائق الدقيقة ، والمعاني الرقيقة الى الارجاف بالصوفية والتشنيع عليهم ، والغض من القيم الروحية والمعاني الخفية التي تنطوي عليها الألفاظ والعبارات الغزلية والخمرية ، وأما أن هذه الألفاظ رموز وإشارات فذلك ما لا تفهمه عقول المتعصبين ٠٠ ومن هذا القبيل ما وقع في حق محيي الدين ابن عربي ، إذ ثار به وشنع عليه كل من العامة ورجال الدين عندما وقفوا على ما نظمته من شعر في حبه الإلهي ٠٠» (١)

ومن الأسباب التي أدت الى مهاجمته ما كان يحدث به تجليات وإشراقات كانت تحدث له ، لا يجد لها الناس علة عقلية ممكنة ومن ذلك ما حدث به في أثناء وجوده بمصر ٠ وليس بغريب أن تثير أمثال هذه الإشراقات والتجليات ثائرة الذين لم يشاهدوا ما شاهد « ابن عربي » وأمثاله ممن ساروا على هذا الدرب الشاق المضى ٠

ولقد كان الشيخ الأكبر يتوقع ذلك فقد قال : « ولقد وقع لنا وللمعارفين أمور ومحن بواسطة اظهارنا المعارف والأسرار ، وشهدوا فينا بالزندقة وآذونا أشد الأذى ، وصرنا كرسول كذبه قومه وما آمن معه الا قليل » (٢) ٠

والشعراني أحد الذين وقفوا في صف « ابن عربي » ووصفه بأنه من أكابر أهل العطايا الذين كشف لهم الحق عن جمال وجهه الباقي فتلاآت سبحاته بالأنوار الساطعة الى يوم التلاق ، وحكم على من تعرض لتخطئته أو تكفيره بالجهل والحرمان وعدم الفهم وضعف الإيمان (٣) ٠

---

(١) الحب الإلهي في الصرف الإسلامي الدكتور محمد مصطفى حلمي

ص ١٠٠ ٠

(٢) اليواقيت والجواهر ص ٢١ ٠

(٣) الرجوع السابق ص ١٥ ٠

والخوارق التي تظهر للأولياء إنما هي إكرامات الله لهم إفاضها عليهم تقوية لعزائهم ، وحثا لهم على الجهاد وتأييسا لهم في مضيقهم نحو غايتهم ، وما يحدث لهم من إشراق على بعض الأجسام المادية إنما هو أثر من آثار تجلى الجمال الإلهي الذي يحيل الظلام نورا والحس معني والمادة روحا ، وما ذلك إلا صدق لقول الحكيم العزيز « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

ولقد كان لنا أخ أسخره الله عنده ، حدثنا مرة أنه مرت عليه أوقات كان يرى فيها كل شيء أمامه نورا خالصا لا حدود له ، حتى الأجسام والحوارج والأشجار كانت في نظره كوائن نورانية خالصة ، لذلك كان يتردد في أن يطلق عليها أسماءها العرفية لأنها لم تعد تنطبق عليها كما يراها في هذه الآونة . ولقد قضى هذا الأخ إلى جوار ربه راضيا مرضيا .

ولو تأملنا معنى قوله تعالى « الله نور السموات والأرض » لرأينا مصداق ذلك قسيحان من اشراق الوجود بنوره وعم العالم ضياؤه ، وقد ابتهل النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصالح عليه أمر الدنيا والآخرة .

ولعل الرافعي يقصد هذه المعاني بتعبيره : « فان الكون كله جوهر واحد هو النور ، حتى الجبل هو نورى صخرى ، وحتى البحر هو نور مائى ، وحتى الحديد والذهب والتراب كل ذلك نور صرفته القدرة الإلهية تصريفها المعجز ، فكان على ما نرى ، ظاهر مخيل يلائم نقصنا وعجزنا ، وحقيقة قادرة على غير ما نرى » (١) .

على أنه لا يمكن أن نبرى بعض خصوم «ابن عربي» عن شهوة الحقد التي يبتلى الله بها بعض الناس فينكرون على الناجحين أحوالهم ، ويتصدون لهم الملق ، ويبثون أمامهم القتن ويزرعون

---

(١) وحى القلم ج ٢ ص ٢١٥ .

الشوك ، ويدسون عليهم ما هم منه براء . محاولين بذلك الحط من قدرهم والاضعاف من شأنهم ، وتلك حالة عامة تكاد توجد في كل عصر ومكان .

قال المناوي : « وفريق قصد بالانكار عليه وعلى أتباعه الانتصار لحظ نفسه لكونه وجد قرينه ( ومعاصره ) يعتقدونه وينتصرون له ، فحملته حمية الجاهلية على معاكسته ، فبالغ في خذلانه وخذلان أتباعه ومعتقديه ، وقد شوهد عود الخذلان والخمول على هذا الفريق وعدم الانتفاع بعلمهم وتصانيفهم على حسنها » (١) .

ولو تتبعنا سير القادة والعظماء والمصلحين في كل زمان ومكان لوجدنا صحة انطباق هذه القاعدة التي لا تكاد تتخلف ، ويستشهد الشعرائي في طبقاته وفي غيرها من الكتب على صدق ذلك ببعض الحوادث التي وقعت للمصلحين والناهبين ، ويضرب المثل بما لاقاه الأئمة المجتهدون من أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل . وبما لاقاه ذو النون والسلمي وابن خلكان والبسطامي والتستري والجنيدي والشاذلي والعز بن عبد السلام وغيرهم .

وليس بغريب ، فهذه المحن هي التي تصهر الرجال وتصنعهم ، وقد صدق جل وعز ، إذ يقول « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، اتصبرون ؟ » وجاء في التوراة : ما كان رجل حلیم في قوم قط الا بغوا عليه وحسدوه (٢) .

### وجوع بعض المنكرين عليه عن انكارهم :

ولو استنطقنا كتب « ابن عريى » الزاخرة لشهدت له بكل فضل ، واثنت عليه الثناء الأوفى ، وآثاره شاهدة بفضله ناطقة

(١) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٦١ .

(٢) راجع البواتيت والجواهر ص ١٦ ما بعدها .

بذكره الى جانب ما فاضت به السنة المعاصرين له من المنصفين  
ومن ساروا على نهجه وانتفعوا بعلومه وأدبه .

وقد شهد له كثير من هؤلاء بالتقدم والمعرفة التي كان من حقه  
علينا أن نثبت طرقا منها ، كما رجع من الحط عليه بعض من أنكروا  
عليه أولا .

ومن هؤلاء « الحافظ الذهبي » وهو أبو عبد الله شمس الدين  
الذهبي الحافظ ، محدث وقته ولد سنة ٦٧٣ هـ وتوفي سنة ٧٤٨ هـ  
بدمشق . فقد شهد « لابن عربي » وقال في حقه : « ان له توسعا  
في الكلام وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيقا في التصوف وتواليف  
جمة في العرفان ، ولولا شطحة في كلامه وشعره لم يكن به بأس ،  
ولعل ذلك وقع منه في حال سكره وغيبته فيرجى له الخير » (١)  
وقال أيضا : « ما أظن المحيي يتعمد الكذب أصلا » (٢) .

ومنهم العز بن عبد السلام شيخ الاسلام والمسلمين ، وأحد  
أعلام الأئمة المشهورين ولد سنة ٥٧٨ هـ وكان حسن المحاضرة لطيف  
الدرس وتوفي سنة ٦٦٠ هـ ، وكان يذكر على ابن عربي في أول أمره  
فلما عرف مقامه شهد له ورجع عن انكاره ، وقرر : أن محيي الدين  
قطب زمانه (٣) .

#### شهادة المحققين له :

ومن المعجبين بابن عربي الفيروزابادي صاحب القاموس  
المحيط ، وهو شيخ الاسلام قاضي القضاة مجد الدين محمد  
ابن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزابادي ولد سنة ٧٢٩ هـ

(١) نفع الطيب ج ٧ ص ١٠١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٣ .

وتوفي سنة ٨١٧ هـ ، وكان عظيم الاعتقاد في « ابن عربي » يحمل كلامه على خير محامله ، وطرز شرحه للبخاري بكثير من كلامه .  
وآلف كتابا للرد على « ابن الخياط » أحد خصوم ابن عربي سماه :  
الاغتياب بمعالجة ابن الخياط ، وقال عن ابن عربي « أنه شيخ  
الطريقة حالا وعلماء ، وامام الحقيقة حذا ورسمها ومحیی رسوم  
المعارف فعلا واسما :

إذا تظلم فكر المرء في طرف من بحره غرقت فيه خواطره  
وهو عباب لا تكدده الدلاء ، وسحاب لا تتقاصر عنه الأنواء ،  
وكانت دعواته تخرق السبع الطباق ، وتفترق بركاته فتملأ  
الآفاق (١) .

وتحركت همة « الفيروزآبادي » في الدفاع عن « ابن عربي »  
حين وجد الجدل قد ثار حوله بسبب « جمال الدين بن الخياط »  
اليمنى ، وكان قد كتب مسائل في درج ، وأرسلها إلى العلماء ببلاد  
الإسلام ، وقال : هذه عقائد الشيخ محيي الدين بن العربي ، ذكر  
فيها عقائد زائفة ومسائل خارقة لاجماع المسلمين ، مما أثار ثائرة  
بعض العلماء الذين بادروا من غير تثبت إلى الطعن في ابن  
عربي (٢) . فدعا ذلك المنصفين ومنهم « الفيروزآبادي » إلى التصدي  
لبیان الحق وإظهار وجه الصواب ، وتبرئة الشيخ الأكبر مما الصقه  
به هؤلاء .

وممن ذكر « ابن عربي » بالخير الامام العالم بالله تعالى  
« صفی الدین حسین بن جمال الدین الازدی الانصاری » في رسالته  
الفريدة المحتوية على من رأى من سادات عصره قال : « ورأيت  
بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيي الدين بن العربي ،  
وكان من أكبر علماء الطريق ، جمع بين سائر العلوم الكسبية ،

(١) المرجع السابق ص ١٢٨ .

(٢) اليواقيت والجواهر ص ٩ .

وما قرأه من العلوم الروحية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة ،  
وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا ، لا يكثر بالوجود مقبلا  
كان أو معرضا « (١) » .

كما ذكره بقوله « هو الشيخ الامام المحقق رأس أجلاء العارفين  
والحقيقين » (٢) .

وقال عنه الشيخ « محيي الدين محمد بن مسدى » في معجمه  
البدیع المحتوی على ثلاثة مجلدات أنه : « خاض بحار تلك العبارات ،  
وتحقق بمحييا تلك الاشارات ، وتصانيفه تشهد له عند أولى البصر  
بالتقدم والاقدام ومواقف النهايات في مزالق الاقدام ، ولهذا ما ارتبت  
في أمره » (٣) .

ويدفع عنه « ابن العماد » بقوله : « وقع له في تضاعيف كتبه  
كلمات كثيرة اشكلت ظواهرها ، وكانت سببا لاعراض كثيرين ممن  
لم يحسنوا الظن به ، ولم يقولوا كما قال غيرهم من الجهابذة  
المحققين والعلماء العاملين والأئمة الوارثين : ان ما أوهمته تلك  
الظواهر ليس هو المراد ، وانما المراد أمور اصطلاح عليها متأخرو  
أهل الطريق غيرة عليها حتى لا يدعيها الكذابون ، فاصطلحوا على  
الكناية عنها بتلك الألفاظ الموهمة خلاف المراد غير مباليين بذلك لأنه  
لا يمكن التعبير عنها بغيرها » .

ويروى الشيخ « برهان الدين البقاعي » في معجمه : « حكى لى  
الشيخ تقى الدين أبو بكر بن أبى الوفا المقدسى الشافعى قال :  
« وهو ( أى ابن عربى ) أمثل الصوفية في زماننا » (٤) .

(١) نفع الطيب ج ٧ ص ١١٢ .

(٢) دائرة معارف البستانى ج ١ مادة ابن عربى .

(٣) نفع الطيب ج ٧ ص ١٥٦ .

(٤) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٦٠ وما بعدها .

ويعمل الشيخ « زين الدين الخافى » عبارات « ابن عربى » الموهمة بقوله : « ان العبد اذا تخلق ثم تحقق ثم جذب اضمحلت ذاته وذهبت صفاته وتخلص من السوى ، فعند ذلك تلوح له بروق الحق بالحق فيطلع على كل شىء ويرى الله عند كل شىء فيغيب بالله عن كل شىء » (١) .

وقال المناوى « والذى اعتقده ولا يصحح غيره ان الامام « ابن عربى » ولى صالح وعالم ناصح ، وانما فوق اليه سهام الملامة من لم يفهم كلامه . على انه دست فى كتبه مقالات قدره يجلب عنها » .  
وفى رسالة « لابن كمال باشا » وجهها فى توضيح مناقب « ابن عربى » جاء فيها : « انه مجتهد كامل ومرشد فاضل ، له مناقب عجيبة وخوارق غريبة وتلامذة كثيرة مقبولة عند العلماء والفضلاء ، فمن انكره فقد اخطأ ، وان اصر فى انكاره فقد ضل يجب على السلطان تأديبه » .

وتذكر دائرة معارف البستانى عنه « وقد اجمع المحققون على جلالته فى سائر العلوم كما تشهد بذلك كتبه ، وما انكر عليه من انكر الا لدقة كلامه لا غير ، فأنكروا على من يطالع من غير سلوك طريق الرياضة خوفا من حصول شبهة فى معتقده » (٢) .

وسئل عن « ابن عربى » الشيخ « قطب الدين الحموى » حين رجع من الشام ، فقبل له : كيف وجدت الششيخ محبى الدين ؟ فقال : وجدته فى العلم والزهد والمعارف بحرا زاخرا لا ساحل له ، قال وأنشدنى الشيوخ بلفظه من جملة أبيات :

تركنا البحار الزاخرات وراعنا

فمن أين يدري الناس أين توجهنا (٣)

(١) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٩٠ وما بعدها .

(٢) دائرة معارف البستانى ج ١ مادة ابن عربى .

(٣) البواقيت والجواهر ص ١٠ .

وقال عنه صلاح الدين الصفدى : « من أراد أن ينظر الى كلام  
اهل العلوم الدينية فليُنظر في كتب الشيخ محيى الدين بن العربى  
رحمه الله » (١) .

وذكر الشعرائى في كتابه اليواقيت والجواهر وفي غيره من الكتب  
عددا كبيرا من المثنيين على « ابن عربى » وكلهم من الأعلام الأفاضل  
مثل قطب الدين الشيرازى ، ومؤيد الدين الجخندى ، وفخر الدين  
الرازى ، ومحيى الدين النورى ، والامام ابن سعد الياقعى ، ومحمد  
المغربى الشاذلى شيخ جلال الدين السيوطى ، وسراج الدين  
المخزومى ، وبدر الدين بن جماعة ، كما ذكر جملة من أقوالهم التى  
يمجدون فيها الشيخ الأكبر وينسبونه الى الفضل والكمال .

ومن الشيوخ من ألف كتباً في الدفاع عن ابن عربى ورد المعارضين  
عنه كما حدث من الفيروزىادى والشعرائى ، وكما حدث من  
جلال الدين السيوطى الذى ألف كتاباً سماه تنبيه الغبى في تبرئة  
ابن عربى . رداً على كتاب : تنبيه الغبى الى تفكير ابن عربى ، الذى  
ألفه برهان الدين البقاعى ، وكما حدث من سراج الدين المخزومى  
الذى ألف كتاباً سماه : كشف الغطاء عن أسرار محيى الدين .

وجملة القول : فإن « الذين اكبروا ابن عربى اكباراً خالصاً  
وحسن اعتقادهم فيه بحيث لم تشبهه شائبة من تشكيك فيه أو تكفير  
له ، فكثيرون لا يتسع المقام لاحصائهم واستقصاء آرائهم » (٢) .  
وحسبنا ما ذكرنا منهم على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء .

---

(١) اليواقيت والجواهر ص ١٠ .

(٢) ابن الفارض سلطان العاشمين ص ٨٧ .



## آثار ابن عربي

### ( ١ ) اولاده :

ذكر المقرئ في نفع الطيب ان « ابن عربي » ولد له غلام في « ملطية » في رمضان سنة ٦١٨ هـ في أثناء رحلته اليها وقد اسماه « سعد الدين » .

وقد شب هذا الغلام على نهج أبيه ، فسمع الحديث وقام بالتدريس ونبغ في الأدب وقال الشعر الجيد الذي جمع في ديوان وقد توفي سنة ٦٥٦ هـ .

وله ابن آخر اسمه عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عربي توفي بالصالحية سنة ٦٦٧ هـ ، ودفن هذان الأخوان بجوار أبيهما في سفح جبل قاسيون بتربة القاضي ابن الزكي الذي كان يجلس الشيخ أجلالا عظيما وأنزله داره وأجرى له عطاء يوميا قدره ثلاثون درهما وزوجه ابنته فلما توفي دفن بمدفن أسرته .

كما أعقب « ابن عربي » بنتا أسماها « زينب » وقد ذكر أبوها عنها أنها منذ طفولتها الأولى كانت تصاحبها آيات خارقة .

### ( ب ) تلاميذه وأخوانه :

للشيخ الأكبر تلاميذ وأخوان كثيرون • يضيق المقام عن الحديث عنهم بالتفصيل ، ولكننا نشير الى بعضهم •

فمن تلاميذه الذين تحدث عنهم في كتبه : بدر الدين الحبشى • وكان ملازما له ، وأثيرا لديه • وقد أشار في كتابه الفتوحات المكية اليه بقوله :

وأما رفيقى قضياء خالص ونور صرف حبشى اسمه عبد الله بدر لا يلحقه خسف يعرف الحق لأمله فيؤديه ويوقفه عليهم ولا يعديه قد نال درجة التمييز وتخلص عند السبك كالذهب الابريز ، كلامه حق ووعده صدق • وقد صحب الشيخ مدة ٢٣ سنة • وتوفى في ملطية « مقدمة الفتوحات ط الهيئة المصرية العامة للكتاب » •

ويذكر بعض المؤلفين ان من تلاميذه ابن الفارض • واتجهه النابلسى شارح ديوان عمر بن الفارض هذا الاتجاه عند شرحه لبعض قصائد الديوان (١) •

ومن تلاميذه وأبرزهم « صدر الدين القونوى » واسمه محمّد ابن اسحاق الذى كان له فضل كبير في المحافظة على مؤلفاته ونشر تعاليمه وعلومه •

ومن أصدقائه الكثيرين الذين كان يجلبهم الشيخ « أبو محمّد ابن عبد العزيز التونسي » الذى استضاف ابن عربى في أثناء زيارته لتونس •

ومنهم « مكين الدين الأصقهانى » امام مقام ابراهيم بمكة •

ومنهم « فخر الدين الرازى » الذى كان يكاثبه كثيرا •

---

(١) راجع ابن الفارض سلطان الماشقى ص ٩٣ •

ومنهم « أبو العباس الحرار » صاحب المناقب المشهورة .  
ومنهم « أبو عبد الله زكريا بن محمود القاضي المعروف  
بالقزويني » صاحب عجائب المخلوقات وغيره من الكتب . وغير  
هؤلاء كثير .

#### ( ج ) مؤلفاته :

الشيخ الأكبر ترك عددا لا يحصى من المؤلفات ، ويبدو أن كثيرا  
من هذه المؤلفات قد فقد ، فقد حدث الفيروزآبادي : « وقفت  
على أجازة كتبها للملك المعظم فقال في آخرها ، وأجزته أن يروى  
عني مصنفاتي ومن جملتها كذا وكذا ، حتى عد نيفا وأربعمئة  
مصنف » (١) .

وقد ذكرت مصادر مختلفة أن ابن عربي له ما يقرب من ثلاثمئة  
مصنف ، فدائرة المعارف الإسلامية تقول « ويبلغ ما بقي من  
توآليفه مائة وخمسين كتابا ، ويظهر أن هذا العدد ليس الا نصف  
ما ألفه ابن عربي في الواقع » (٢) .

وتقول دائرة المعارف البريطانية « أنه كتب ٢٨٩ كتابا نعرف  
منها ١٥٠ كتابا ذكرها بروكلمان في كتابه الأدب العربي » (٣) .

وقد بذل « بروكلمان » المستشرق الألماني مجهودا مشكورا في  
حصص ما بقي من كتب ابن عربي ، وضمنها موسوعته الضخمة التي  
تضم أسماء الكتب والمؤلفين العرب ، وأفرد لهذه الكتب ما يقرب من  
ثمانى صفحات تحمل الأولى منها رقم ٥٧١ .

---

(١) نفع الطيب ج ٧ ص ١٣٩ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ مادة ابن عربي .

(٣) دائرة المعارف البريطانية مجلد ١٢ ص ٣٣ .

وهذا ثبت باسماء هذه الكتب التي ذكرها بروكلمان (١) .

- ١ - أجازة للملك المظفر بهاء الدين غازي الملك العادل في جميع ما رواه عن أشياخه وما له من نثر ونظم ، وهو في دمشق سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٤ م ٢٠ - رسالة في تعليم المريدين ٣٠ - كتاب العظمة (تفسير للقاتحة) ٤٠ كتاب التفسير بالحقيقة ٥٠ - مشكاة الأنوار فيما روى عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار ٦٠ - الأحاديث القدسية ٧٠ - تذكرة الخواص وعقيدة أهل الاختصاص ٨٠ ، ٩ - رسالة العلوم من عقائد علماء الرسوم (مختارات) ١٠٠ - صيحة اليوم بحوادث الروم (شعر بالبسيط) ١٤٣ بيتا ١١٠ - الفترحات الملكية في معرفة الأسرار الملكية والملكويتية ١٢٠ - فصوص الحكم ١٣ - شجرة الوجود والبحر المورود - مطبوع تحت شجرة الكون ١٤ - عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب ١٥ - رسالة كنه ما لا يد للمريد منه ١٦ - الأسرار إلى المقام الأسري (في نفس المخطوط يوجد عنوان الأسرار واختصار رحلة العالم الكوني إلى الموقف الأعلى) ١٧ - مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية ١٨ - التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الانسانية ١٩ - مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم ٢٠ - مقام القرية (وفك الكربة) ٢١ - الأنوار فيما يفتح على صاحب الخلوة من الأسرار ٢٢ - الخلوة ٢٣ - انشاء الدوائر الاحاطية على الدقائق على مضاهاة الانسان للخالق والخلائق ٢٤ - الحق ٢٥ - عقلة المستوفز ٢٦ - تحفة السفرة إلى حضرة الكرام البررة ٢٧ - الحبيب ٢٨ - وصف تجلى الذات (منسوب إليه) ٢٩ - حلية الأبدال وما يظهر فيها من المعارف والأحوال ٣٠ - شجون المشـجـون وفتون المفتون ٣١ - الشواهد

---

(١) تاريخ الادب العربي لبروكلمان ج ١ ص ٥٧١ .

٣٢ - الاتحاد الكوني في حضرة الاشهاد العيني ٣٣٠ - كيمياء  
 السعادة ٣٤٠ - الافاضة لمن اراد الاستفاضة ٣٥٠ - منزل المنازل  
 ٣٦ - الموزانة ( مقارنة بين الدنيا والآخرة ) ٣٧٠ - نعت الأرواح  
 ( كيف خلق الله الروح والمنازل التي لا بد لها ان تمر عليها لمعرفة  
 الله ) ٣٨٠ - الأمر المحكم المربوط فيمسا يلزم أهل الطريق من  
 الشروط ٣٩٠ - الاعلام فيما ينبنى عليه الاسلام ٤٠٠ - الاعلام  
 بإشارات أهل الإلهام ( الحكمة الإلهامية في الرد على الفلسفة )  
 ٤١ - الفناء في المشاهدة ٤٢٠ - مراتب علوم الوهب ٤٣٠ - في  
 الأزل ٤٤٠ - شق الجيب ورفع حجاب الريب عن اظهار أسرار  
 الغيب ٤٥٠ - تفسير آية الكرسي ٤٦٠ - اشارات القرآن في عالم  
 الانسسان ٤٧٠ - كتاب السبعة وهو كتاب الشأن ٤٨٠ -  
 تنزلات الاملاك للأملاك في حركات الأفلاك ٤٩٠ - توحيد التوحيد  
 ٥٠ - التدقيق في بحث التحقيق ٥١٠ - القسم الإلهي باسم الرباني  
 ٥٢ المضادة في علم الظاهر والباطن ٥٣٠ - الغايات فيما ورد من  
 الغيب في تفسير بعض الآيات ٥٤٠ - تاج الرسائل ومنهاج الوسائل  
 ٥٥ - الرسالة المفيدة ٥٦٠ - الدرة الفاخرة في ذكر من انتفعت  
 بهم في الآخرة ورسالة روح القدس ( رسالات القدس في نفحات  
 النفس ) ٥٧٠ - الجلالة ٥٨٠ - جواب عن مسألة السبعة  
 السوداء وهي الهيولا ٥٩٠ - رسالة النشأتين ٦٠ - مفاتيح  
 الغيب ٦١٠ - تهذيب الأخلاق ٦٢٠ - المدخل الى معرفة مأخذ  
 النظر في الأسماء والكنائيات الإلهية ٦٣٠ - القطب والنعيم  
 ٦٤ - وسائل المسائل ٦٥٠ - تاج التراجم ٦٦٠ - ترجمان  
 الألفاظ المحمدية ٦٧٠ - الاصطلاحات الصوفية ٦٨ - شرح  
 الألفاظ التي تداولها الصوفية ٦٩٠ - المقتنع في ايضاح السهل  
 الممتنع ٧٠٠ - الحروف الثلاثة التي انعطفت أواخرها على أوائلها  
 ٧١ - الألف وهو كتابة الأحدية ٧٢٠ - الباء وهو مفتاح دار  
 الحقيقة ٧٣٠ - كتاب الباء وهو كتاب السهور ٧٤٠ - مفتاح

الجفر الجامع ٧٥٠ - جفر الامام على بن ابي طالب ٧٦٠ - أسرار  
 الحروف ٧٧٠ - جفر النهاية ومبين خبايا أسرار كنوز البداية  
 والغاية ٧٨٠ - فائدة (الالعب السحرية بالحروف) ٧٩٠ - مائة  
 حديث وواحد قدسية ٨٠٠ - نسب الخرقه ٨١٠ - التجليات  
 الالهية ٨٢٠ - عظة الألياب وذخيرة الاكتساب (منسوب اليه) ٨٣  
 - إنشاء الجسوم الانسانية ٨٤٠ - نتيجة الحق ٨٥٠ - عيون  
 المسائل ٨٦٠ - توقيعات ٨٧٠ - أسرار الوجود ٨٨٠ - أسرار  
 المحبة ٨٩٠ - بلغة الغواص في الأكران الى معدن الاخلاص في معرفة  
 الانسان ٩٠٠ - قيس الأنوار وبهجة الأسرار ٩١٠ - الفرق الست  
 الباطلة وذكر اعدادها ٩٢٠ - الأجوبة الثلاثة عن الأسئلة الفاتكة ٩٣  
 - الطريقة في بيان الشريعة والحقيقة ٩٤٠ - مرآة المعاني  
 لادراك العالم الانساني ٩٥٠ - ثواب قضاء حوائج الاخوان واغاثة  
 اللهفان ٩٦٠ - الامام المبين الذي لا يدخله ريب ولا تخمين ٩٧٠ -  
 التنزلات الموصلية ٨٩٠ - جدول عظيم في استخراج العقل من القرآن  
 العظيم ٩٩٠ - أسفار من سفر نوح ١٠٠٠ - رسالة العبادة ١٠١  
 - شرح كتاب خلع النعلين في الوصول الى حضرة الجمعين ١٠٢  
 - رسالة في الأحدية (مسئلة حكيم ترمذى) ١٠٥٠ - رسالة  
 أرسلها لأصحاب الشيخ عبد العزيز بن محمد المهدي ١٠٦٠ - رسالة  
 الغوثية ١٠٧٠ - رسالة أرسلها الى فخر الدين الرازي ١٠٨٠ -  
 رسالة في تصوير آدم على صورة الكمال ١٠٩٠ - أربع رسائل  
 تصوف ١١٠٠ - نسخة الحق ١١١٠ - لغة الأرواح ١١٢٠ -  
 الصلاة الأكبرية ١١٣٠ - أوراد الأيام والليالي ١١٤٠ - أوراد  
 الأسبوع ١١٥٠ - الصلاة الفيضية ١١٦٠ - وصية ١١٧٠ -  
 الحكم الالهية ١١٨٠ - الصحف الناموسية والسجف الناموسية ١١٩  
 - الشجرة النعمانية في الدولة العثمانية ١٢٠٠ - حكم ١٢١  
 - العبادة ١٢٢٠ - اللمع الأفقية ١٢٣٠ - محاضرات  
 الأبرار ١٢٤٠ - ترجمان الأشواق ١٢٥٠ - ديوان (الديوان)

الأكبر ) ١٢٦٠ - ديوان الأشواق ( الهجاء الأمد على ترتيب  
حروف الأبجد ) ١٢٧٠ ديوان المرتجلات ١٢٨٠ - المبشرات  
١٢٩ - تنزل الأرواح بروح الاله ١٣٠٠ - القصيدة الثائية  
١٣١ - منهاج العارف والمتقى ومعراج السالك والمرتقى ١٣٢ -  
المبشرات الميعونة ١٣٣ - قصيدة في المناسك ١٣٤ - الجواب  
المستقيم ١٣٥ - رسالة تحقيق وجوب الواجب لذاته ١٣٦ - في  
سر الحروف ١٣٧ - تجمعات الأفلاك ١٣٨ - الدرر .

وقد ذكرت دائرة المعارف للبستاني له ما يقرب من خمسين  
مؤلفا من بين هذه المؤلفات . وهذه المؤلفات التي ذكرت على ضخامة  
عددتها هي نصف مؤلفات ابن عربي فقط ، على رأى الذى يقول أن  
مؤلفاته مائتان وثمانون كتابا أو ثلاثمائة كتاب ، وهي ثلث مؤلفاته  
عند من يقول نيف وأربعمائة كتاب .

وأيا كان هذا أو ذاك فهو نتاج ضخم يشهد لصاحبه بالمقدرة  
الخارقة الفائقة ، وهو وإن كان بعض هذه الكتب صغير الحجم ،  
إلا أن بعضها كبير الحجم ، فقد بلغ أحد تفاسيره ستين سفرا (١)  
ولم يتمه ، فقد وقف فيه عند قوله تعالى « وعلمناه من لدنا علما »  
وله تفسير آخر صغير في ثمانية أسفار ، وكتاب الفتوحات المكية  
بلغت فصوله خمسين وستمائة في أكثر من أربعة آلاف صفحة  
مطبوعة بحروف صغيرة وقد حققته أخيرا الهيئة المصرية العامة  
للكتاب ونشرته فى طبعة أثيقة صدر منها عدة أجزاء .  
على أن المسألة ليست بكثرة الأوراق وتضاعف الأجزاء ،  
ولكنها بما تحويه هذه الأوراق من أسرار ومعارف ، والشيوخ

---

(١) نفع الطبيب ج ٧ س ١٢٩ هامش .

الأكبر له في ذلك القدح المعلى والشاؤ الذى لا يلحق بشهادة فحول العلماء وأجلاتهم .

والملاحظ أن تأليف الشيخ الأكبر تدور حول التصوف فيما عدا أحد تفسيريه الذى يجرى فيه على طريقة التفسير التقليدى ، ولم يتم هذا التفسير ، أما التفسير الآخر فيجرى فيه على طريقة الصوفية في إشاراتهم وأدواتهم . على أن بعض الآراء تقول أن هناك تفسيراً مدسوساً عليه نشرت منه بعض دور النشر عدة أجزاء ثم توقف لذلك .

وله من الحديث عدة كتب في كل منها مجموعة من الأحاديث القدسية ، وله يدار الكتب كتاب لم يشر إليه بروكلمان يحمل اسم « أصول الفقه » برقم ٦١٢ . أما بقية كتبه فتناول فيها التصوف ودقائقه وأسراره ، حتى الكتب الأدبية كتب صوفية بما في ذلك « محاضرة الأبرار » الذى يحشد فيها كثيراً من الأسرار الصوفية وقصص المتصوفة وبعض هذه الكتب دقيق غريب ككتاب « الدوائر » الذى يشرح فيه بالأشكال الهندسية آراءه في الكون .

ويفسر في كتاب مواقع النجوم أسرار العبادات ومراحل الطريق في الوصول إلى الله وقد ألفه في « المرية » بإلهام من الله وتوجيه منه .

ويبدو أن الشيخ الأكبر في كتاباته كان يخضع لهذا التوجيه وذلك الإلهام ، فإنه قرر في أكثر من موضع أن ذلك الكلام لم يكن اختياراً له ولكنه من إلهام الله ، نقل عنه الشعرازي في الكبريت الأحمر قوله : « وأعلم أن جميع ما أتكلّم به في مجالسى وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه ، فأنى أعطيت مفاتيح الفهم فيه والامداد منه ، كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى ومناجاته بكلامه » وكذلك قوله « وأعلم أن جميع ما أكتبه في تأليفي



ليس هو عن روية وفكر ، وإنما هو من ثفت روعى على يد ملك  
الالهام » وكذلك قوله « جميع ما كتبه واكتبه في هذا الكتاب إنما هو  
من أحلاء الهى والقاء ربانى أو ثفت روحانى كل ذلك بحكم الأثر  
للأنبياء والتبعية لهم لا بحكم الاستقلال » (١) .

وكل كتبه تحتاج الى دقة فهم وحسن ظن في التوفر على مطالعتها  
حتى يتمكن القارئ من معرفة مقاصده منها ، وقد أشار هو الى ذلك  
في الباب الثانى من الفتوحات بقوله « أقل درجات أهل الأدب مع  
القوم التسليم لهم فيما يقولون ، وأعلامها القطع بصدقهم وما عدا  
هذين المقامين فحرمان » (٢) .

ولكى تدرك ذلك لابد من القاء الضوء على بعض كتبه التى كانت  
لها أهميتها الفائقة في جميع الآفاق العلمية والعقلية ، وهذه الكتب  
هى الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم .

#### ١ - الفتوحات المكية :

ألف الشيخ الأكبر هذا الكتاب في مكة على فترات ، وهو أجمع  
كتاب في التصوف ، وتعتبره دائرة المعارف البريطانية دائرة معارف  
التصوف ، وكان هذا الكتاب - ولا يزال - له أهمية كبرى بين  
رجال الطريق ، فقد عبر فيه ابن عربى عن كل أنواقه ومشاهداته  
وسجل فيه بدقة كل مراحلها في سيره ، حتى لقد استقى منه بعض  
الترجمين لحياته دقائق سيرته .

بدأ ابن عربى كتابه الفتوحات عقب ذهابه الى مكة ، وهناك  
شاهد في الطواف حول الكعبة . وفى الإقامة فيها من الأسرار  
والمشاهدات ما أراد أن يوقف عليه اخوانه المقربين اليه ، وفى

(١) الكبريت الأحمر ص ٤ .

(٢) الكبريت الأحمر ص ٦ .

مقدمتهم الشيخ أبو محمد عبد العزيز التونسي وتلميذه بدر الدين الحبيشى ، ولذلك كان عنوانه « الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية والملكية » .

والكتاب ضخيم يحتوى على أربعة أجزاء ضخمة ، وكل جزء يحتوى على مجلدات ، وينقسم الكتاب من حيث الموضوعات الى ستة أقسام :

- ١ - القسم الأول : المعارف ويحتوى على ثلاثة وسبعين بابا
- ٢ - القسم الثانى : المعاملات ويحتوى على ستة عشر ومائة باب
- ٣ - القسم الثالث : الأحوال ويحتوى على ثمانين بابا
- ٤ - القسم الرابع : المنازل ويحتوى على أربعة عشر ومائة باب
- ٥ - القسم الخامس : المنازلات ويحتوى على ثمانية وسبعين بابا
- ٦ - القسم السادس : المقامات ويحتوى على تسعة وتسعين بابا

فجملة أبوابه ستون وخمسمائة باب ، تتناول شتى العلوم والمعارف الصوفية ، كما تتناول غيرها من العلوم ، والمعارف الأخرى التى يستدعيها الحديث من فقه وحديث ومعاملات وتاريخ وسياسة وغير ذلك . يقول عنه الشنفرانى : « طالعت من كتب القسم مالا أحصيه وما وجدت كتابا أجمع لكلام أهل الطريق من كتاب الفتوحات المكية ، لا سيما ما تكلم فيه من أسرار الشريعة ، وبيان منازع المجتهدين التى استنبطوا منها أموالهم ، فإن نظر فيه مجتهد من الشريعة ازداد علما الى علمه واطلع على أسرار فى وجوه

الاستنباط وعلى تعليقات صحيحة لم تكن عنده ، وان نظر فيه مفسر للقرآن فكذلك ، أو مقرر فكذلك ، أو معبر للمقامات فكذلك ، أو عالم بالطبيعة وصناعة الطب فكذلك ، أو عالم بالهندسة فكذلك ، أو نحوي فكذلك ، أو منطقي فكذلك ، فهو كتاب يفيد أصحاب هذه العلوم أو غيرها ، علوما لم تخطر لهم على بال ، قد أشرنا لنحو ثلاثة آلاف علم منها في كتابنا المسمى تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء « (١) .

وكتاب الفتوحات نظرا لضخامته لا يمكن أن يكون قد ألف في مدة محدودة ، وان كان بعض المصادر يشير الى أنه كان يكتب كل يوم منه ثلاث كراسات دون توقف أين كان (٢) وقال الفيروز آبادي : أنه صنف الفتوحات في مكة كتبها عن ظهر قلب جوابا لمسؤال سألته عنه تلميذه بدر الحبشي ، ولما فرغ منها وضعها في سطح الكعبة المعظمة ، فاقامت فيه سنة ثم أنزلها فوجدتها كما وضعها لم يبتل منها ورقة ولا لعبت بها الرياح مع كثرة أمطار مكة ورياحها ، وما أذن للناس في كتابتها وقراءتها الا بعد ذلك (٣) .

ولكن يبدو أن ذلك كان بخصوص بعض الكتاب لا كل الكتاب ، فان الثابت أن هذا الكتاب كان آخر كتبه تأليفا ، نكر ذلك الأستاذ أحمد يوسف نجاتي في نفح الطيب (٤) كما ذكر أنه قد انتهى من تأليفه سنة ٦٣٦ هـ ، وكان في ذلك الوقت حقيما بدمشق قبل وفاته بعامين ، كما أنه من الثابت أيضا أن هذا الكتاب لم يمكن تأليفه متتابعا ، ولكنه ألف على فترات ، ولم يتم تأليفه أيضا على حسب

---

(١) الكبريت الأحمر النعمة .

(٢) نفح الطيب ج ٧ ص ١٠٨ .

(٣) البواقيت والجواهر ص ١٠ .

(٤) نفح الطيب ج ٧ هامش ص ١٣٦ .

الترتيب المتعارف . فقد ذكر أسين بلاثيوس انه في سنة ٦٢٨ هـ كان يكتب أول الجزء الرابع ، وانه في سنة ٦٢٤ كان لا يزال يكتب خاتمة الجزء الثاني وفي السنة التالية ٦٢٥ كان يكتب الجزء الثالث ، وليس هناك من يفسر سبب ذلك الا ما ذكره هو بأن ترتيب الفتوحات لم يكن من وضعه هو ، ولكن كان بناء على ما كان يعمل عليه من توجيهات سماوية ، ولذلك نسمعه يقول : بنيت كتابي هذا - بل بناء الله لا انا - على افادة الخلق ، فكله فتح من الله تعالى وسلكت فيه طريق الاختصار .

ويقول الدكتور عثمان يحيى في مقدمة تحقيق الفتوحات انه بدأ في تصنيفه بمكة عام ٥٩٩ هـ ، واتم سفره الأول تقريبا في هذه السنة نفسها فيمعدا فصلين اضافهما فيما بعد ثم تابع الأسفار الباقية ، ويظهر انه اكتملت لديه نسخة أولى من الكتاب اخذ يهذبها وينقحها في السنوات الأخيرة من حياته ، وهو يصرح في آخر الفتوحات انه كتب نسخة ثانية بخط يده وفرغ منها عام ٦٣٦ هـ قبل موته بعامين .

وليس من اليسير اعطاء فكرة ولو موجزة عن هذا الكتاب الذي « يعد كنزا دفيناً » على حد تعبير مؤلف كتاب ابن عربي . اللهم الا اذا قلنا كما قال السادة الصوفية عنه : انه اجمع كتاب للتصوف بما احتوى عليه من دقائق التصوف وارشاداته ، ومن الموضوعات العامة للكتاب السابق الاشارة اليها يمكن ادراك ذلك بوضوح ، كما انه لم يهمل العلوم الأخرى ، حتى انه ليجد فيه كل مطلع بغية ورغبته .

ويغلب على كتاب الفتوحات الاستطراد الذي يبعث عليه الرغبة في الافادة التي هدف اليها من وضع كتابه ، كما انه لم يغفل في كتابه ما يحتاج اليه المريد من خطوط أساسية تعينه على بلوغ هدفه وسيره في طريقه بأمان . وكثيرا ما يشير فيه الى كتبه السابقة .

ولم يغفل ابن عربى ما يجب على المريد معرفته من أسرار العبادة وأدائها ، مقدما له فى الجزء الأول زادا كافيا فى النية والطهارة وأنواعها وأسرارها والصلاة وقروضها وشرائطها وأركانها وسننها وأوقاتها وأدائها وكيفية إقامتها وأسرار أدائها وغير ذلك من ألوان المعرفة الفقهية والشعرية التى تصل بالمريد الى أبواب المعرفة الصوفية الشاملة .

ويعد كتاب الفتوحات سجلا لحياة الشيخ الأكبر ، فقد بين فيه بالتواريخ خطوات حياته التى أفاد منها بعض المترجمين لها ، كما أنه يعد سجلا لما شاهده فى تاريخ هذه الحياة الحافلة بالأسرار والأنوار وما كشف له فيها وما لاقاه من مصاعب وما أتبع له فيها من فرص روحية .

على أن ذكر هذه الخطوات لم يأت على نظام كتابية السسير المعروفة ، ولكنه يأتى عفوا على حسب ما تسنح به المناسبة ويستدعيه المقام . فهو عند حديثه عن الأبدال مثلا يذكر من لقيه منهم ومتى ، ويسجل ما دار بينه وبينهم من حديث . وعند حديثه عن التوكل يذكر من لقيه من المتوكلين ومتى وأين وكيف كان حديثه معه وماذا أفاد منه .

وعند حديثه عن الخضر يذكر طرفا من لقائه معه وماذا دار بينهما من حديث وهكذا .

ومن الكتاب ندرك أن تأليفه لم يكن يسير على نمط الكتب العادية التى تجرى على منهج معين وتسير على حسب خطة موضوعة . ولكنه يسير على وفق ما يجرى به الخاطر الروحى وقد ذكر ذلك فى غير موضع ويقول : « وأعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكرى ، وإنما الحق تعالى يملئ لنا

على لسان ملك الالهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده وذلك شبيه بقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخرها » (١) ويقول « أعلم أن العارفين انما كانوا لا يتقيدون بالكلام على ما بوبوا عليه فقط لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز منها فمهما برز لها أمر بادرت لامتناله ، والفقه على حساب ما حولها ، فقد تلقى الشيء الى ما ليس من جنسه امثالاً لأمر ربها » (٢) .

وفي أول بعض الأبواب نجد قصيدة من الشعر تشير الى مضمون الباب وقد لا تشير اليه وهذه الطريقة سار عليها الجيلي من بعده في كتاب الانسان الكامل . وقد أشار الشيخ الأكبر نفسه الى هذه الملاحظة ، وهي عدم اجمال موضوع الباب في القصيدة المقدمة في بعض الأحيان بقوله : وأعلم أن هذه القصيدة وكل قصيدة من أول كل باب من هذا الكتاب ليس المقصود منها اجمال ما يأتي مفصلاً في نثر الباب والكلام عليه ، بل الشعر في نفسه من جملة شرح ذلك الباب فلا يتكرر في الكلام الذي يأتي بعد الشعر ، فليُنظر الشعر في شرح الباب كما ينظر النثر من الكلام عليه نفس الشعر من مسائل ذلك الباب ما ليس في الكلام عليه بطريق النثر وهي مسائل مفردات تستقل كل مسألة في الغالب بنفسها الا أن يكون بين المسألتين رابطة فيطلب بعضها بعضاً » .

ونظراً لخطورة هذا السكتاب وما يحتوي عليه من معلومات أثارت معسارك جدلية غير قليلة برز الاهتمام به بين الصوفية وغيرهم .

(١) الفتوحات المكية الجزء ٣ الباب ٣٤٨ .

(٢) الكبرى الاحمر : المقدمة .

ويبدو أن بعض المفرضين قد أضاف اليه ما ليس منه مما يعد منافيا للشريعة بقصد الاضرار بمؤلفه ، وحين قوبلت هذه النسخ المحرفة بالنسخة الأصلية ظهر الزيف وكانت النسخة الأصلية محفوظة « بقونية » .

ولكن ينبغي أن نلاحظ أن هناك كثيرا من القضايا الواردة في الفتوحات ليس من الممكن فهمها بسهولة ، ويرجع ذلك الى أن ادراكها لا يتم الا لتمكن من الطريق الصواب ، ومن هنا جاء التنبيه الى أنه لا يحق لكل من أراد الاطلاع أن يطلع على هذا الكتاب ، وهذا الحكم ليس منصرفا في الواقع الى كتاب الفتوحات وحده ولكنه ينصرف الى الفتوحات وغيره من الكتب التي ألفها الشيخ الأكبر .

وقد شرح الجيلي كتاب الفتوحات ، كما تأثر به في كتابه المشهور « الانسان الكامل » في معرفة الأوائل والأواخر .

واختصره الشعرائي في كتاب « لوائح الأنوار القدسية » ، وعاد فأختصره مرة أخرى من كتابه « الكبريت الأحمر » ، وذكر في كتاب « اليواقيت والجواهر » مسائل متعددة منه ومن ذلك مثلا قال « محيي الدين بن عربي » في صفة العارف بالله :

« هو من أشعر قلبه الهيبة والسكينة وعدم العلاقة الصارفة عن شهود الحق تعالى وإذا ذكر الله واستولى عليه الذكر يغيب عن الاكوان ، يهابه كل ناظر اليه ، هو مع الله بلا وصل ولا فعل ، كثير الحياء ، في قلبه التعميم ، يقدم حق الحق تعالى على حظوظ نفسه وبطنه جائع ، ويدنه عار ، لا يأسف قط على شيء لكونه لا يرى غير الله . طيار أمد الدهر ، تبكي عينه ويضحك قلبه ، هو كالارض يطؤه البر والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شيء ، وكالمطر يسقي ما يجب وما لا يجب ، لا يقضي وطره قط من شيء ، وذلك ليدوم

افتقاره الى الله تعالى ذوقا ، شأنه الفقر والذل بين يدي الله يفتح له في قرائشه كما يفتح له في صلاته وان اختلفت الواردات بحسب المواطن .

وللفتوحات مقدمة طويلة لها قصة طريقة ، هي أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أحاط به الملائكة والأنبياء والأولياء والعلماء فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم للصعود على منبره ، وخلع عليه بردته البيضاء ، وألقى « ابن عربى » خطبة طويلة يقول أنها من وحى روح القدس ، وهذه الخطبة هي مقدمة الكتاب .

والمقدمة نفسها تحتوى على آرائه الروحية التى يوضح فيها مضمون موضوعات الكتاب السابق الاشارة اليها .

وبالجملة فان هذا الكتاب من الكتب التى تستحق جهد المهتمين بشئون التصوف ، فيقولونه بالتحقيق ويتعهدونه بالنشر وجودة الطبع فى ثوب أنيق جميل يليق بما يحتويه من علوم رائعة وأسرار فائقة وأذواق عالية – ويا حيدا لو تيسر اقتناؤه مع غيره من كتب هذا العبقري الفذ الذى كان يحلق فى أجواء المعرفة لا يهدأ له بال ولا يستريح من عناء التجوال – وترك من ورائه هذه الثروة الحية التى تشهد بعلو الباع ورسوخ القدم وقوة التمكن .

وحمدا لله فقد تحقق جزء من هذه الأمنية العزيزة حين تضافر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب وجامعة السوربون على تحقيق هذا الكتاب ونشره عن طريق الهيئة المصرية العامة للكتاب وقد ثارت ضجة أشرت اليها سابقا ، وأن كان هناك تعقيب على هذه الضجة التى قامت من أجل هذا الكتاب وعقيدة صاحبه فحسبى أن أقدم هذه الفقرات التى وردت فى أول الجزء الأول منه :



« يا اخوتي المؤمنين - ختم الله لى ولكم بالحسنى - أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير الى الله تعالى فى كل لحظة وطرفة وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئته ، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنه يشهد قولاً وعقداً أن الله تعالى له واحد لا ثانى له فى ألوهيته منزّه عن الصاحبة والولد ، مالك لا شريك له ، ملك لا وزير له ، صانع لا مدبر معه ، موجود بذاته من غير افتقار الى موجد بوجوده بل كل موجود سواه مفتقر اليه تعالى فى وجوده ، فالعالم كله موجود به وهو وحده مقصّف بالوجود لنفسه • فسحباته من بعيد دان عظيم السلطان عميم الاحسان ، كل ما سواه عن وجوده قائل •

كذلك أشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وأياكم على نفسى بالايمان بمن اصطفاه واجتباّه من وجوده ، ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الى جميع الناس كافة بشسيرا ونذيرا وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا • • واتى مؤمن بكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمته وما لم أعلم ، فهذه شهادتى على نفسى أمانة عند كل من وصلت اليه أن يؤديها اذا سئلها حيثما كان • •

هذا وإن كان ابن عربى قد أثره الله بشيء من الكشف وأعطاه جزءا من الفتح فقد استحق ذلك عن جدارة فائقة جزاء لمجاهداته ولكل مجتهد نصيب ، على أن الفيض الالهى منحة من الله لمن شاء من عباده ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب •

وفى هذا الكشف أسرار قد ترق وتندق وأحيانا تفيض على اللسان رغما ولكنها تأتى محجبة بالرموز وكما لاقى أصحابها من المعارضات والانكار لأنهم تحدثوا عما لا تدركه العقول ، ولذلك صرح ابن عربى فى كتابه هذا بأن عقيدته هذه هى عقيدة العوام التى اشرت اليها بالعبرة التى استشهدت بها مختصرة من كلامه ، وهذه

العقيدة هي عقيدة الذين سلمت عقائدهم لأنهم تلقوها من ظاهر الكتاب العزيز ، وهو لذلك يدعو الى عدم تعلم علم الكلام الا لأفراد قليلين بقصد ردع الخصوم ودفع الشبه ، ويقول في حق علماء الكلام : انهم رضى الله عنهم اجتهدوا وخيرا قصدوا وان كان الذى تركوه أوجب عليهم من الذى شغلوا نفوسهم به .

وعقيدة الخاصة وان كانت مطابقة لعقيدة العوام الا ان الكشف والالهسام والفتح يقويها ويؤكدها فهي اذن من عين اليقين ، وما راء كمن سمعا ، وشتان بين من يسمع ويقلد وبين من يعاين ويشاهد . والمشاهدة تزيد المشاهد بيانا وايمانا وتملؤه عقيدة وبرهانا ، ونى هذا يقول الغزالي :

**فكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسال عن الخبر**

ويقول ابن عربى فى ذلك : وأما التصريح بعقيدة الخاصة فما أفردتها على التعيين لما فيها من الغموض ولكن جئت بها مبددة فى أبواب هذا الكتاب مستوفاة لكنها متفرقة ، فمن رزقه الله الفهم فيها يعرف قدرها ويميزها فانها العلم الحق . .

والعلوم فى رأيه على ثلاث مراتب « علم العقل وهو كل علم لك ضرورة أو عقيب نظر ، وعلم الأحوال ولا سبيل اليه الا بالذوق كالمعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر . . وعلم الأسرار وهو العلم الذى فوق طور العقل ، وهو علم نفث روح القدس فى الروح ، ويختص به النبى والولى .

ان علوم الأسرار تلك هي التى يشير اليها ابن عباس رضى الله عنهما بقوله : عند تفسير قوله تعالى « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن » : لو ذكرت تفسيره لرجتمونى ، وفى رواية لقلتم انى كافر ، ويشبهه قول الرضى :

يارب جوهر علم لو ابوح به      لقبل لى انت ممن يعبد الوثنا  
ولا استحل رجال مسلمون دمي      يرون اقبح ما ياتونه حسنا

وقد اعتذر ابن عربي عن نفسه وعن غيره من علماء الصوفية الذين غلبتهم أحوالهم فباحوا ببعض الأسرار كما اعتذر أيضا عن أنكر عليهم بقوله : « وينبغي للعاقل العارف أن لا يأخذ عليهم فإن فى قصة موسى مع الخضر مندوحة لهم وحجة للطائفتين ، وأن كان انكار موسى عن نسيان لشروطه ولتعديل الله إياه ، وبهذه القصة عينها نحتج على المنكرين ولكنه لا سبيل الى خصامهم ، ولكن نقول كما قال العبد الصالح : « هذا قراق بينى وبينك » .

ان علم الأسرار عزيز وصعب المثال ومن خصائصه أن العبارة لا تستطيع أن تحتويه ، بل اذا أخذته سمج واعتاص على الأفهام ومن هنا لجأ للصوفية الى الرمز ، بخلاف العلم النظري فإن العبارة كلما بسطته حسن وفهم معناه أو قرب عند السامع الفهم .

ويعد ، فإن هذا الكتاب كما يقول الدكتور عثمان يحيى أحد روائع الفكر الانساني وأثر فريد في الدراسات الصوفية عامة والاسلامية خاصة ، خلاصة نتاج الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي ، وما أغزره . . . ولم يتل منا يعد حظه من الدرس والبحث عنى به فى الماضى عناية ملحوظة وانتشر فى المشرق والمغرب بواسطة سلسلة متصلة الأسانيد ، وشرح وعلق عليه ولخصت أجزاء مختلفة منه ، وترجمت بعض أجزائه الى الفارسية والتركية . .

وليس فى وسعى - لعجزى - تلخيص الكتاب وبخاصة فى دراسة قصيرة كهذه وحسبى أن كنت فى هذه العجالة واحدا من الدالين اليه الناصحين بالقوفر على قراءته ودراسته فهو كنز دفين كما قال العلماء الذين عرفوا حقه ، ولو قرأه الناقمون عليه باخلاص

لغيروا رأيهم ، وأدركوا قيمة ما فيه من جواهر فريدة ، ويكفى أن يكون مؤلفه قد ألفه للدلالة على الله وهل هناك أشرف من هذا الغرض وأسمى من هذا الهدف ؟

## ٢ - فصوص الحكم :

يعد هذا الكتاب من أشهر الكتب التي كان لها أثر في إذاعة مكانة الشيخ الأكبر ، نظرا لما يدل عليه من أخيار عن حقائق الأنبياء السابقين وعددهم سبعة وعشرون نبيا هم : آدم ، وشيث ، ونوح ، وإدريس ، وإبراهيم ، وإسحاق ، وإسماعيل ، ويعقوب ، ويوسف ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، ولوط ، والعزير ، وعيسى ، وسليمان ، وداود ، ويونس ، وإيوب ، ويحيى ، وزكريا ، وإلياس ، ولقمان ، وموسى ، وهارون ، وخالد بن سنان ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام . وقد ألف ابن عربي هذا الكتاب في دمشق عقب اتخاذها دار إقامة له ، ويقول في مقدمة كتابه : « أما بعد فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة أديتها من العشر الآخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب ، فقال لي : هذا كتاب فصوص الحكم ، خذهُ وأخرج به إلى الناس ينتفعون به ، فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر منا ، كما أمرنا فحققت الأمنية وأخلصت النية ، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما عده لي الرسول من غير زيادة أو نقصان ، وسألت الله أن يجعلني فيه وفي جميع أحوالي من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ، وأن يخصصني من جميع ما يرقمه بئاني وينطق به لساني ويتطوى جزائي باللقاء السبوحى والنفث الروحى في الروح النفسى بالتأييد الاعتصامى ، حتى أكون مترجما لا متحكما ، ليتحقق من يقف عليه من أهل الله أصحاب القلوب أنه من مقام التقديس ، المنزه عن الأغراض النفسية التي يدخلها

التلبيس ، وارجو أن يكون الحق لما سمع دعائي قد أجاب ندائي ،  
فما ألقى الا ما يلقي الى ، ولا انزل من هذا المسطور الا ما ينزل  
به على ، ولست بنبي ولا رسول ولكني وارث وآخري حارث » .

### معنى كلمة الفصل :

وقد استعار كلمة الفصل للانسان الذي يمثل الحقيقة بالنسبة  
لبقية أنواع العالم كما يمثل نقش الفصل في الخاتم حقيقة  
الخاتم . فكان العالم خاتم قصه الانسان ، وهذا يبين أفضلية  
الانسان على العالم ، ثم جعل الأنبياء قصصا بالنسبة لأفراد  
الانسان ، فكان الانسان خاتم قصه الأنبياء .

وقد أشار القاشاني الى هذه التسمية عند تعرضه لشرح  
أول فص من قصص الحكم قائلا : « لما استعار الفصل لنوع  
الانسان وحقيقته المعبر عنه بأدم كان قلب كل انسان عارف بالله  
كامل فصا هو محل حكمته المخصوصة به » كما أشار ابن عربي  
نفسه الى سبب هذه التسمية عند حكمة آدم بقوله : « فهو  
( أى آدم ) من العالم كفص الخاتم من الخاتم هو محل النقش  
والعلامة التي يختم الملك بها على خزائنه » .

### الكتاب من علوم الأسرار :

وقد عمد الشيخ الأكبر كمادته في تأليفه الى الافاضة في  
الاسرار التي كوشف بها ، وتوصل اليها بناء على ذوقه وفهمه ،  
فان العلم في نظره ثلاثة أنواع ، كما أشار الى ذلك في كتاب  
الفتوحات ، هي علم العقل الذي يحدث بناء على النظر والتفكير  
والاستدلال ، وعلم الأحوال وسبيله الذوق ، وعلم الأسرار وهذا  
فوق طور العقل ، وطريقه نفث الروح في الروح ، وهذا العلم

نوعان : نوع يدرك بالعقل والآخر على ضربين : ضرب يدرك بالذوق والثانى عن طريق الاخبار .

وهذا العلم الذى بثه فى كتابه فصوص الحكم من النوع الثالث ، الذى فوق طور العقل وجاءه عن طريق نفث الروح فى روعه كما اشار الى ذلك فى مقدمة كتابه . ولذلك فقد أوجد هذا الكتاب صدى كبيرا بين طوائف الصوفية والفقهاء وعده كثير منهم معبرا عن رأى ابن عربى فيما أسند اليه من نظرية وحدة الوجود ، ولكن ينبغى التنبيه الى ما سبقت الإشارة اليه من هذه الوحدة ، التى لا يصح تفهمها على أساس اتحاد بين قديم وحديث أو حلول قديم فى محدث ، فذلك الذى نبه الصوفية جميعهم وبخاصة الشيخ الأكبر على وجوب نقيه من الأذهان تماما لتعارضه مع جلال الذات الالهية القديمة المحيطة التى وسعت كل شئ ولم يسعها شئ ، وأن وحدة الوجود التى يقصدونها إنما هى اثبات الوجود الحقيقى لواجب الوجود وأما غيره من المحدثات فلا وجود له على سبيل الحقيقة مع الله تعالى .

وقد نبه شراح الفصوص جميعهم على وجوب مراعاة هذه الدقائق ، وأفاضوا فيها وشرحوا مقصد الشيخ من عباراته الموهمة التى وردت فى الكتاب من أمثال قوله عن « نوح » .

« فما أنت هو ، بل أنت هو وتراه فى عين فى الأمور مسسرحا ومقيدا » فإن المقصود نفى المماثلة من جهة وإثباتها من جهة ، نفيها من حيث أنه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، وإثباتها من حيث الصفات التى يجب أن يتخلق بها الانسان فى قوله عليه الصلاة والسلام تخلقوا بأخلاق الله ، فالانسان له صفة السميع والبصير والقدرة والكلام وغير ذلك . وهى صفات أثبتتها الله جل جلاله لنفسه وعلى هذا فينبغى مراعاة أمثال هذه الاشعارات

في كلام الشيخ الذي لا يقصد منه حلولا او اتحادا ، بل هي عبارات  
واردة في احوال خاصة عبر بها عن مدلولات ذاتها وكشف بها ،  
وكان القصد من بثها هو الصعود بالفكر الانساني الى مرتبة عليا ،  
تحثه على بذل الجهد من ادراك معرفة نفسه التي هي سبيله الى  
معرفة ربه ، ولذلك نسمعه يوجه الأذنان الى التفكير في مدلولات  
الكلام لادراك ما يقصد ادراكا حقيقيا لا يتنافى مع مرامي الشرع  
ومقاصده :

فمن الله قاسمعو	والى الله فارجعوا
فاذا ما سمعتم	ما اتيت به فعبوا
ثم بالفهم فصملوا	مجمل القول واجمعوا
ثم منوا به على	طالبيه لا تمنعوا
هذه الرحمة التي	وسعتكم قوسعوا

#### مراقب الأنبياء :

وقد أشار ابن عربي في كتاب الفصوص الى الأنبياء على حسب  
مراتبهم ، فأدم أراد الله أن يظهر به سره اليه ، وشيث وهو الولد  
الأول لأدم هو المظهر للفيض الالهي ، ونوح هو مظهر تنزيه الله عن  
كل نقص ، وإدريس كذلك ، ولذلك أضاف نوحا الى التسبيح  
وإدريس الى التقديس ، وإبراهيم عليه السلام - كان في مرتبة  
التهيم ، وهو شدة التوله والعشق لأن الحق تجلى له بجلال جماله  
فهام في ذلك الجمال المبرقع بالجلال ، وكان أسحق في مقام التحقق  
لأنه حقق رؤيا أبيه فيه بذبحه (١) ، وخص اسماعيل بالحكمة العلية ،  
وغلبت الروحانية على يعقوب والنور على يوسف ٠٠ وهكذا .

---

(١) رأيه في هذا أن الدببح اسحاق ، ولكن المعروف عند جمهور العلماء  
أن الدببح هو اسماعيل ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم: انا ابن  
الدبحين .

وقد عد ابن عربى لقمان من الأنبياء ووصفه بأنه من أهل مقام الاحسان وذلك لأن الغالب على حاله عليه السلام الاحسان بالشهود العلمى والحكمة والتوحيد والاسلام فى قوله تعالى « ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » وقوله « وآتيناه لقمان الحكمة » والحكمة والاحسان اخوان لأن الاحسان فعل ما ينبغي والحكمة وضع الشيء فى موضعه ، ويظهر ذلك فى وصيته لابنه : يابنى لا تشرك بالله أن الشرك لظلم عظيم<sup>(١)</sup> وقد اختلف العلماء فى شأن لقمان هل هو نبي أو حكيم ، « وهو لقمان بن باعورا ، ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وقيل : كان من أولاد أزد ، وعاش ألف سنة ، وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم ، وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام ، فلما بعث قطع الفتوى ، فقيل له : لم ؟ فقال : إلا اكتفى إذا كفيت ؟ » وقيل : كان قاضيا فى بنى اسرائيل « وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا ، وقال عكرمة والشعمى : كان نبيا ، وقيل : خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة »<sup>(٢)</sup> .

كما ذكر الشيخ الأكبر خبر النبى الذى أضاعه قومه وهو خالد بن سنان وكان مشهده الصمدية ، وهو نبى لم يبعث ، وأخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله عنه : هو نبى أضاعه قومه .

وكان من قصة خالد : أنه كان قوى الهمة ، والغالب عليه شهود الاحدية ، وكان هو وقومه يسكنون بلاد عدن ، فظهرت بينهم نار عظيمة خرجت من مغارة فأهلكت الزرع والضرع ، فصعد اليه قومه على حسب ما اعتادوا منه فى دفع الملعات ، حتى يدفع عنهم أذى تلك النار ، وكانوا مؤمنين بها فأخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه من

(١) شرح القاشانى على فصوص الحكم ص ٢٧٢ .

(٢) يتصرف من الكشف ج ٣ ص ٩٣ تفسير لقمان .



خلفها ويقول : يدا يدا ، حتى بردت النار ، فرجعت هاربة منه الى المغارة التي خرجت منها ، وهو يسوقها حتى ادخلها ، ثم قال لأولاده وقومه : انى ادخل المغارة خلف النار حتى اطفئها ، فأمرهم أن يدعوه بعد ثلاثة أيام تامة ، فانهم ان نادوه قبل انقضاءها فهو يخرج ويموت وأن صبروا خرج سالما وقد دفع عنهم مضرة النار ، فلما دخل صبروا يومين واستفزه الشيطان فلم يصبروا تمام ثلاثة أيام ، قارتابوا أنه هلك .

فصاحوا به فرجع عليه السلام من المغارة ويداه على رأسه من الألم الذى أصابه من صياحهم ، فقال لهم : ضييعتمونى وأضعتم قولى وعهدى ، وأخبرهم بموته وأمرهم أن يقبروه ويرقبوه أربعين يوما ، فانه يأتهم قطيع من الغنم يقدمها حمار أبتر مقطوع الذنب ، فاذا حازى قبره ووقف فلينبشوا عليه قبره فانه يقوم ويخبرهم بجلية الأمر بعد الموت عن شهود ورؤية ، فيحصل للخلق كلهم عين اليقين بما أخبرت به الرسل عليهم السلام .

ثم مات خالد ، قد فنوه ، فانتظروا مضى الأربعين يوما وورد قطيع الغنم فجاء القطيع كما ذكر يقدمه حمار أبتر ، فوقف حذاء قبره ، فهم مؤمنو قومه وأولاده أن ينبشوا عليه كما أمرهم ، حتى يخبرهم بصدق الأنبياء والنبوات كلها ، فأبى أكابر أولاده ، وقالوا : يكون علينا عارا عند العرب أن ينبش على أبينا فيقال فينا : أولاد النبوش ، وتدعى بذلك ، فحملتهم الحمية الجاهلية على ذلك فضيعوا وصيته وأضاعوه .

ثم بعد بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته بنت خالد فقال لها صلى الله عليه وسلم ، مرحبا يا بنت نبي أضاعه قومه (١) .

---

(١) شرح القاسانى على الفصوص من ٤٢٥ .

وقد وردت هذه القصصة في محاضرة الأبرار<sup>(١)</sup> وفي حياة الحيوان للدميري<sup>(٢)</sup> .

وختم الشيخ الأكبر فصوصه الحكيمية بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليكون مسك الختام وهو ترتيب طبيعي لتنسيق الكتاب، ويوضح ابن عربي رأيه في الحقيقة المحمدية على اعتبار أنه صلى الله عليه وسلم في مقام الفردية ، لأنه أول التعينات وكان أول دليل على ربه فهو أوتى جوامع الكلم التي هي مسسميات آدم ، فقد علم الله آدم الأسماء ، علم محمدا حقيقة هذه الأسماء ومعانيها . وهذا هو المراد بقوله عليه الصلاة والسلام : أعطيت جوامع الكلم . وقد أشار الى هذه الحقيقة في مؤلفاته الأخرى : مثل الفتوحات المكية وشجرة الكون .

#### رأى العلماء في الكتاب :

هذا وقد ذكر الأستاذ أحمد يوسف نجاتي في نفح الطيب أن العلماء اختلفوا فيما أورده فصوص الحكم ردا وقبولا ، فبعضهم أثنى عليه وتقبله بقبول حسن وشرحه ، ومن هؤلاء : ابن الزمكاني كمال الدين محمد بن علي الأنصاري الشافعي المتوفى سنة ٧٢٧ هـ ، وشرحه أيضا المولى عبد الرحمن بن أحمد الجامي المتوفى سنة ٨٩٨ هـ وشرحه غير هذين كثير ومتهم الشيخ عبد الرازق القاشاني وعلق على هذا الشرح الشيخ محمد الباروني .

وفي حياة الشيخ الأكبر قام تلميذه صدر الدين القونوي بشرح هذا الكتاب واستمرت بعد ذلك الشروح تتوالى ومن بينها الشروح

---

(١) ج ١ ص ٥٥ .

(٢) ج ٢ ص ٢٩٥ ط دار التحرير .

التي أشرنا إليها • وبذل في ذلك مجهودات وافرة تشهد بالمهارة وقوة الإدراك • وكانت هذه التفسيرات جميعها تتجه اتجاهها سنيا لا يتعارض مع ظواهر الشريعة وفي ذلك شهادة لابن عربي بأنه لم يناقض مذهب أهل السنة • وإن كان البعض من كبار الصوفية المتشككين مثل القارئ الهروي المتوفى سنة ١٠١٦ هـ • وكذلك القفطانى المتوفى سنة ٧٩١ هـ والشيخ إبراهيم محمد الحلبي الخطيب بجامع السلطان محمد خان المتوفى سنة ٩٥٦ هـ عارضوا ابن عربي في آرائه وألف بعضهم كتباً ترد على الفصوص •

وقد ترجمت أبواب الفصوص ترجمة موجزة الى الهندية ونشرت في مدينة موراس سنة ١٩٢٩م (١) •

وقد تأثر كثير من الصوفية بآراء ابن عربي في كتابه الفصوص وبخاصة في فكرة الحقيقة المحمدية التي سرعان ما اتجه اليها المادحون والشعراء والأدباء في قصائدهم وفي صيغ صلواتهم التي يمدحون فيها النبي ويصلون عليه •

ولعل البدوي وهو يكاد أن يكون معاصراً لابن عربي قد نحا هذا النحو فقد أثرت عنه هذه الصيغة « اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانية ، ولعة القبضة الرحمانية ، وأفضل الخليقة الانسانية ، وأشرف الصورة الجسمانية ، ومعدن الأسرار الربانية ، وخزائن العلوم الاصطفائية ، صاحب القبضة الأصلية والبهجة السننية والرتبة العلية ، من اندرج النبيون تحت لوائه فهم منه واليه • » (٢) •

---

(١) ابن عربي ص ٩٨ •

(٢) فتح الرسول ( صلوات للميرفتى ) •

ويبدو أن ابن عربي ليس أول قائل بهذه الفكرة فقد سبقه إليها الحلاج وأثر عن ابن مشيس أستاذ الشاذلي المعاصر لابن عربي هذه الصلاة :

« اللهم صل على من منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق ، وله تضاعلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونة ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ، ولا شيء الا وهو به منوط ، اذ لولا الواسطة لذهب - كما قيل - المتوسط ، صلاة تليق بك منك اليه كما هو أهله ، اللهم انه سر ك الجامع الدال عليك ، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك ، اللهم الحقني بنسبه وحققني بحسبه ، وعرفني آياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل ، وأكرع بها من موارد الفضائل ، واحملني على سبيله الى حضرتك حملا محقوقا بنصرتك واقذف بي على الباطل فأدمغه ، وزج بي بحار الأحدية ، وأنشطني من أحوال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس الا بها » (١) .

ومن صلوات سيدي أحمد بن إدريس التي تظهر فيها فكرة الحقيقة المحمدية واضحة قوله : « اللهم صل على طامة الحقائق الوجودية الكبرى ، وسر الخلوة الالهية ليلة الاسراء تاج المملكة الالهية ، ينبوع الحقائق الوجودية ، بصر الوجود وسر بصيرة الشهود ، حق الحقيقة العينية وهوية المشاهد الغيبية » .

قال شارح الصلوات محمد بهاء الدين البيطار : لا يخفى أن الحقيقة المحمدية أول التنزلات من الطمس الذاتي الذي لا يعبر عنه بعبرة ولا يرتقى اليه بإشارة ٠٠ وإن كانت هناك عبارة تشير اليه

---

(١) فتح الرسول ( صلوات الميرفتي ) .

فهي ما ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ، وكنت نبيا و آدم بين الماء والطين .

لقد كانت بشرية النبي صلى الله عليه وسلم نورا محضا حتى لقد ورد عنه قوله : انى لأراكم من وراء ظهري ، وكان نور المصطفى صلى الله عليه وسلم هو المعنى بروح الله المنفوخ في آدم حيث يقول الله تعالى ( ونفخت فيه من روحي ) وقد أشار الى ذلك المعنى سيدي على وفا قدس الله سره :

لو ابصر الشيطان طلعة نوره في وجه آدم كان أول من سجد  
أو لو رأى التمروذ بأهر حسنه عبد الجليل مع الخليل(وما مجد

ولعله يقصد بالطمس الذاتي ما ورد في الاثر القدسي : كنت كنزا مخفيا فاردت أن اعرف فخلقت الخلق فبى عرفوني .

أما طامة الحقائق الكبرى فهي تشير الى قوله تعالى :

« وما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

يعنى رأى حقيقته التى هى طامة الحقائق فهى آية ربه الكبرى ، ان لم يكن أكبر عنها ولا أشمل ولا أجمع فما زاغ بصره صلى الله عليه وسلم وما طغى .

أما المقصود بالخلوۃ الالهية فهو ما كوشف به النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من معرفة حقيقة نفسه ، تلك الحقيقة التى ظهرت في اقتداء النبيين عليهم السلام به في صلاة جامعة ، فهو امامهم وهم النائبون عنه في تبليغ دعوتهم الى أممهم ، فان الدين عند الله هو الاسلام ، ولذلك قال بعضهم في ذلك :

كل النبيين والرسل الكرام أتوا      نيابة عنه في تبليغ دعواه  
فهو الرسول الى كل الخلائق في      كل العصور ونابت عنه اقواه

ولقد ظهر ذلك واضحا في قوله تعالى : «وانذ اخذ الله ميثاق  
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم  
لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا  
اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين » .

## خاتمة

وبعد ، فقد تتبعنا خطوات هذه الشخصية العظيمة التي تركت  
اثارها واضحة في كل مكان حطت رحالها فيه •

وهي شخصية • تحتاج الى افاضــة أكثر في عرض مختلف  
الجوانب التي نذكرت والتي لم تذكر •

لقد كانت حياة الشيخ الأكبر سلسلة متواصلة من العمل  
والسعي والبحث والمعرفة والتجوال ، لقد أثار الله بصيرته فذاق  
وكشف وشاهد ووصل الى مكانة في المعرفة أطلق عليه من أجلها :  
سلطان العارفين • والعارف فسرهُ هو بأنه من أشعر قلبه الهيبة  
والسكينة وعدم العلاقة الصارفة عن شهود الحق • وفسرهُ أبو العباس  
المرسی بقوله : العارف لا دنيا له ، لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه •

وكانت حياة « ابن عربي » تصديقا لهذين التفسيرين • فهو لم  
تصرفه علاقة عن ربه ، ولم تكن له دنيا لأنه تركها لآخرته •

لقد كانت غايته المعرفة ، ومنذ نعومة أظفاره وهو مجد في سبيل  
هذه الغاية هجر من أجلها كل لذة ، واستعذب كل عناء ، وركب  
كل صعب •

لقد رأينا كيف صوبت اليه سهام الملام وكيف اعترضت طريقه  
المصاعب فلم يثنه ذلك عن غايته ، وهكذا كانت حياته حافلة بالجهاد

الأكبر . حتى تحقق بمختلف المقامات التي بدأها بالزهد العملي وانتهى بها الى مقام المعرفة وهو أعلى مقامات الوصول .

لقد أفاض سلطان العارفين في أسرار المعرفة وتحدث عن حقائق تركت صداها العميق في آفاق الفكر الاسلامي وأبرز للتصوف مفاهيمه العليا في نواحيه الأخلاقية والنفسية والروحية ، ولذلك يعده الدكتور مصطفى حلمي من أوفر المسلمين حظا من التصوف ويقول في ذلك « ولعل محيي الدين بن عربي قد أظهرنا على اختلاف العناصر الالهية والانسانية والكونية واتساقها في كثير من مصنفاته ، كما يقول : وليس من شك في أن ما يعرض له ابن عربي في مصنفاته يكفي لإظهار حقيقة التصوف الاسلامي وأنه ليس مجرد أشواق وأنواق ولا مجرد رياضات ومجاهدات ولا مجرد أحوال وأفعال وإنما هو بعد هذا كله فلسفة الهيبة وانسانية وكونية وإن هذه الفلسفة بخصائصها الاسلامية الخالصة هي معقد الطرافة ومناط الروعة فيما خلف ابن عربي وأشباهه من صوفية المسلمين<sup>(١)</sup> .

إن حياة الشيخ سلطان العارفين التي تألفت في آفاق الشرق الاسلامي على مدى ثمانين عاما ليست حياة شخص عاش هذه الحقبة من الزمن ثم راح . ولكنها حياة بدأت ومازال اثرها حيا باقيا بما خلفته هذه الشخصية من مناقب وآثار ، ومعارف تحيا عليها العقول والقلوب وتفتتات منها النفوس والأرواح . وتحلق في سمائها الخواطر والأذهان ٥

رحم الله « ابن عربي » ورضي الله عنه ٥

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما  
كثيرا والحمد لله رب العالمين ٥

عبد الحفيظ فرغلي القرني

---

(١) مجلة منبر الاسلام جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ .



## المصادر

- ١ - الفتوحات المكية ... .. لابن عربي
- ٢ - ذخائر الأملاق شرح مرجمان  
الأشواق ... .. لابن عربي
- ٣ - محاضرة الأبرار ومسامرة  
الأخيار ... .. لابن عربي
- ٤ - الأمر المحكم المربوط فيما يلزم  
أهل الطريق من الشروط ... .. لابن عربي
- ٥ - شجرة الكون ... .. لابن عربي
- ٦ - مواقع النجوم ... .. لابن عربي
- ٧ - شرح القاشاني على فصوص  
الحكم ... .. عبد الرزاق القشاني
- ٨ - الطبقات الكبرى ... .. الشعراني
- ٩ - اليوافيت والجواهر ... .. الشعراني
- ١٠ - الكبرى الأحمر ... .. الشعراني
- ١١ - ابن عربي حياته ومذهبه ... .. أسين بلايوس ترجمة د. عبد الرحمن  
يلوي
- ١٢ - شذرات الذهب ... .. لابن العماد

ترجمة د. حسين مؤنس	١٣ - الشعر الاندلسي ... ..
المقرئ - تحقيق احمد الرفاعي	١٤ - نفع الطيب ... ..
تحقيق شوقي غنيم	١٥ - المغرب في حلى المغرب ... ..
لابن حلكان	١٦ - وفيات الاعيان ... ..
د. محمد مصطفى حلمي	١٧ - ابن الفارض سلطان العاشقين
د. محمد مصطفى حلمي	١٨ - الحب الالهى في التصوف الاسلامي ... ..
د. عبد الحكيم حسان	١٩ - التصوف في الشعر العربي
د. على صافي حسين	٢٠ - الادب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري ...
محمد ابراهيم الجيوشى	٢١ - بين التصوف والادب ... ..
د. عبد الحليم محمود	٢٢ - ابو الحسن الشاذلى ... ..
د. جودت الركابى	٢٣ - في الادب الاندلسي ... ..
طه عبد الباقي سرور	٢٤ - رابعة العدوية والحياة الروحية في الاسلام ... ..
طه عبد الباقي سرور	٢٥ - اعلام التصوف الاسلامي ...
د. زكى مبارك	٢٦ - التصوف الاسلامي في الادب والأخلاق ... ..
د. ابو الوفا التفتازانى	٢٧ - ابن عطاء الله السكندري وتصوفه ... ..
عبد الكريم الجبلى	٢٨ - الانسان الكامل ... ..
لابن هبادة الرندى	٢٩ - شرح الرندى على حكم ابن عطاء الله ... ..

لابن مجيبة الحسنى	٣٠ - ايقاظ الهمم على شرح الحكم
د. احمد الشريانى	٣١ - التصوف عند المستشرقين ...
الرافعى	٣٢ - وحي القلم ... ..
لهروكلمان	٣٣ - تاريخ الادب العربى ... ..
لكلابادى	٣٤ - التصوف على مذهب اهل التصوف ... ..
للشيخ حسن وعنوان	٣٥ - مطهرة النفوس ودوى القلوب المستطاب ... ..
للشعرى	٣٦ - الرسالة القشيرية ... ..
للعمري	٣٧ - حياة الحيوان الكبرى ... ..
سلوك للميرضى	٣٨ - فتح الرسول ... ..
محمد بها الدين المبيطار	٣٩ - تفسير الكشاف للزمخشري
	٤٠ - شرح الصلوات الادريسية ...
	٤١ - دائرة المعارف الاسلامية ..
	٤٢ - دائرة المعارف البريطانية ...
	٤٣ - دائرة معارف البستانى ...
	٤٤ - دائرة معارف الشعب ...
	٤٥ - الموسوعة العربية الميسرة ...
	٤٦ - مجلة منبر الاسلام ... ..



## الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الاولى	٥
مقدمة الطبعة الثانية	٩
البيئة والعصر	١٥
نسبه ومولده ونشأته	٢٢
اقباله على طلب العلم ، وشيوخه في طلبه ...	٢١
سلوكه الطريق الصوفي ورحلاته في ذلك	٤٢
اخلاقه	٧٩
ابن عربي الأديب ...	٨٧
ابن عربي الصوفي	١١١
مجاهدة والذواق ومعارف	١٢٧
ابن عربي بين انتصاره وخصومه	١٥٥
آثار ابن عربي	١٧٥
خاتمة	٢٠٥
المصادر	٢٠٧

رقم الايداع ٨٦/١٧٠٩

الترقيم الدولي ٠ - ٠٨٦٥ - ٠١ - ٩٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



يتحدث هذا الكتاب - وهذه هي الطبعة الثانية منه - عن  
شخصية فريدة عاشت بين منتصفى القرنين السادس والسابع  
المجريين - وبلغت أقصى ما يمكن أن يبلغه إنسان من الكمال  
الروحي والعلمي والفلسفي .

وقد ترك الشيخ الأكبر أثره القوي في حياة الناس وعقولهم  
بسلوكه الطيب وبما خلفه من مئات الكتب التي تشهد بسعة  
المعرفة وعزارة العلم وروعة المشاهدات والفيوضات التي  
أفاضها الله على قلبه .

ومن أهم هذه الكتب الفتوحات المكية



To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)